

نام الطالب: محمد بن عبد الله  
 رقم الجلوس: 12345  
 تاريخ: 14/10/2023

## في الفترة من

بَحْثُ مُقَدِّمٍ لِدَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ

إعداد الطالب

خوبی اعلیٰ العرش

اشرف الدکتور

کتاب فی غیبت محمد و آل



۷۴۰ھ - ۱۹۸۷ء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## شكر وتقدير

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام  
على سيدى وقائدى محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه  
إلى يوم الدين .

إدعاءً منى لبعض الواجب الذى على فأننى أتقدم بالشكر الجزل  
لكل من أعاننى على اخراج هذا البحث بصورته هذه ، وأخص بالشكر أستاذى  
الجليل الدكتور ابراهيم نجيب محمد عوض رئيس قسم الدراسات العليا  
التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى والذى رعى هذا البحث وأشرف  
عليه منذ أن كان فكرة إلى أن رأى النور فجزاه الله عنى كل خير .

كما أتقدم بجزيل شكرى لجامعة أم القرى التى أتاحت لى ولزملائى  
فرصة الدراسة فى هذا البلد الحرام و أخص بشكرى القائمين على ادارة كلية  
الشريعة والدراسات الاسلامية على ما بذلوه تجاهنا من جهد يستحق الشكر  
والثناء .

كما أشكر اساتذتى فى قسم الحضارة على ما بذلوه لنا من علم  
ومعرفة فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

وختاماً أشكر أخوانى وزملائى الطلاب على تشجيعهم المستمر ونصائحهم  
المفيدة .

# المقدمة



### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .. وبعد :

فان الأرض التى يشغلها السودان بحدوده المتعارف عليها اليوم كانت تقوم عليها قبل فترة هذا البحث ممالك وسلطنات اسلامية مستقلة بعضها البعض وتتمتع كل سلطنة فيها بكامل سيادتها ولايربطها بغيرها من السلطنات والممالك إلا رباط الدين وحسن الجوار .

أولى هذه السلطنات وأعظمها أثراً هى سلطنة سنار، والتى كانت عبارة عن تحالف سياسى بين قبائل الفونج التى تنتسب إلى أحـد فروع البيت الامـوى . وبين قبائل العيـدلاب العربية، ولهـذا السبب كان كثير من المؤرخين والكتاب يطلقون على هذه السلطنة اسم سلطنة الفونج باعتبار أن الفونج هم الطرف الأقوى فى هذا التحالف، كما تطلق بعض المصادر على هذه السلطنة اسم السلطنة الزرقاء وذلك بسبب اللون الذى اكتسبته هذه القبائل نتيجة لاختلاطها بالعناصر الزنجية وكانت بداية هذه السلطنة فى سنة ١٥٠٤م حيث اتخذت سنار عاصمة لها وكان أول حكامها من الفونج عمارة دنفس ومن العيـدلاب عبد الله جمـاع وتعتبر دولة سنار من السلطنات الاسلامية التى عملت على نشر الاسلام كما كانت لها صلاتها بالعالم الاسلامى . وقد حكمت هذه السلطنة معظم السودان الشمالى وانتهت على يد اسماعيل بن محمد على فى عام ١٨٢٠م .

والى جانب سلطنة سنار كانت توجد سلطنة الفور فى الطرف الغربى من السودان حيث تسكن قبائل الفور الزنجية . ولايعرف تاريخ محدد لدخول الفور فى الاسلام ولا لبداية سلطنتهم . إلا أن هذه السلطنة قد استمرت فترة طويلة بعد زوال سلطنة سنار وانتهت فى عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٧٤م على يد القائد السودانى الزبير باشا رحمة . وهـذه السلطنة مثل سابقتها عملت على نشر الاسلام فى أفريقيا كما كانت لها

(١)

صلاتها بالعالم الاسلامى .

أما فى كردفان فقد كانت توجد سلطنتان صغيرتان هما سلطنة تغلى التى كانت تتمركز فى منطقة جبال تغلى وسلطنة المسبعات . ولا يعرف الكثير عن تاريخ هاتين السلطنتين إلا أن سلطنة المسبعات كانت قد دخلت فى حروب مع سلطنة الفور انتهت بسيطرة الفور عليها بينما استمرت سلطنة تغلى إلى قيام المهديّة .

أما السودان بحدوده المتعارف عليها اليوم فقد وجد حديثاً بعد أن ضم محمد على وأولاده من بعده هذه السلطنات السودانية إلى إدارته . ولقد كان من الموضوعات التى لفتت نظرى فى تاريخ السودان وأعطيتها اهتماماً كبيراً هذه الفترة التى أطلقت عليها مصادر التاريخ السودانى فترة التركية السابقة أو فترة الحكم المصرى التركى فى السودان . ورأيت أن ادرس هذه الفترة من حيث النظم التى كانت سائده فى الإدارة والتعليم والقضاء والمال والاقتصاد مع مقارنة كل نظام من هذه النظم بما يقابله فى فترة السلطنات التى سبقت هذه الفترة . وقد قصدت من هذه المقارنة ملاحظة التطور الذى يمكن أن يكون قد حدث فى هذه النظم .

وقد قسمت الموضوع إلى أربعة أبواب ، والأبواب إلى فصول كما يلى :

الباب الأول فى النظام الإدارى ويشتمل على :

- الفصل الأول فى النظام الإدارى من ( ١٨٢٠ - ١٨٤٨ م )
- الفصل الثانى فى النظام الإدارى من ( ١٨٤٩ - ١٨٦٣ م )
- الفصل الثالث فى النظام الإدارى من ( ١٨٦٣ - ١٨٨٥ م )

الباب الثانى فى نظام التعليم ويشتمل على :

- الفصل الأول فى نظام التعليم من ( ١٨٢٠ - ١٨٤٨ م )
- الفصل الثانى فى نظام التعليم من ( ١٨٤٩ - ١٨٦٣ م )

---

(١) انظر د. يوسف فضل حسن - مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية فى السودان الشرقى (١٤٥٠ - ١٨٢١) معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧١م (ص ٤٥) وما بعدها .

• الفصل الثالث فى نظام التعليم من ( ١٨٦٣ - ١٨٨٥م )

الباب الثالث فى النظام القضائى ويشتمل على :

• الفصل الأول فى النظام القضائى من ( ١٨٢٠ - ١٨٤٨م )

• الفصل الثانى فى النظام القضائى من ( ١٨٤٩ - ١٨٨٥م )

أما الباب الرابع فيتحدث عن النظام المالى والاقتصادى ويشتمل على:

الفصل الأول : النظام المالى والاقتصادى فى السودان —————

• ( ١٨٢٠ - ١٨٤٨م )

الفصل الثانى : النظام المالى والاقتصادى فى السودان —————

• ( ١٨٤٩ - ١٨٨٥م )

والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه ، خاصة وأن دراسة التاريخ الحضارى من الدراسات التى لم تجد اهتماماً كبيراً من الكتّاب والباحثين من المهتمين بتاريخ السودان حيث أن أغلبهم وجه جـــــل اهتمامه إلى التاريخ السياسى وأغفلوا دراسة التطور الاجتماعى والحضارى .

# الباب الأول

## النظام الإداري

ويحتوي على :

- (١) - النظام الإداري في السودان في الفترة من ١٨٢٠ - ١٨٤٨ م
- (٢) - النظام الإداري في السودان في الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٦٣ م
- (٣) - النظام الإداري في السودان في الفترة من ١٨٦٣ - ١٨٨٥ م

# الفصل الأول

النظام الإدارى فى السودان  
فى الفترة من ١٨٢٠-١٨٤٨ م

تمهيد :

(١) بعد أن تمكن الوالى العثمانى محمد على من السيطرة على مقاليد الأمور فى مصر وقضائه النهاى على سلطان المماليك سنة ١٨١١م ، قام بعدة حملات باسم السلطان العثمانى فى سوريا والجزيرة العربية ، كما قام بتأسيس دولة عصرية فى مصر تأثر فيها بالنظم الغربية .  
وفى سنة ١٨٢٠م اتجهت أفكار محمد على جنوباً نحو السودان بقصد ضمّه إلى دولته التى أنشأها .

وقد عزا المؤرخون الأسباب التى دفعت محمد على لضم السودان إلى الآتى :

(١) تأمين حدوده الجنوبية وذلك بالقضاء على فلول المماليك الذين هربوا بعد مذبحة القلعة جنوباً واستقروا باقليم النوبة وحول مدينة دنقلة وبدأوا فى شراء الأسلحة واعداد الجنود لتكوين جيش قوى يستعيدون به سلطانهم المفقود ، وقد خشى محمد على من تحالف المماليك مع سلطان سنّار أو تحالفهم مع ملك الحبشة فقرر القضاء عليهم .

(٢) كان محمد على يحلم بإنشاء دولة مترامية الأطراف ولذلك فكّر فى بناء جيش حديث يكون قوامه من السود الذين يتميزون بالقوة

(١) محمد على باشا - تركى الجنسية ولد فى سنة ١٧٦٩م فى مرفأ قولقة الذى يقع الآن فى بلاد اليونان . وكان موظفاً حكومياً صغيراً ثم تزوج ابنة عمدة قولقة وأنجب منها ثلاثة أولاد هم ابراهيم وطوسون واسماعيل . كان أول ظهوره فى مصر سنة ١٧٩٩م متطوعاً فى الجيش التركى حيث كان يتولى قيادة فرقة البانية وصلت سنة ١٨٠٣م إلى ماييزيد عن عشرة آلاف رجل . استفاد من الصراع بين المماليك والأتراك وتسلم زمام الأمور فى القاهرة بحجة المحافظة على الأمن وبعده قضائه على المماليك فى القلعة سنة ١٨١١م أصبح هو الحاكم الوحيد فى مصر .

انظر عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٦م (ص ١٦) ومابعدها ، أن مورهد - النيل الأزرق - ترجمة نظمى لوقا ط/دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥م (ص ١٨٥) ومابعدها .

والطاعة والشجاعة بدلاً من جيشه المكوّن من الأتراك والألبان والمغاربة والأكراد، الذين كثيراً ما يعصون الأوامر .

وقد ذكر الرحالة الانجليزى (هل) Hill أنّ المحرك الأول لمحمد على لفتح السودان هو الحصول على الرقيق اللازمين له للعمل فى الزراعة والصناعة والجيش ليحقق أحلامه عن طريقه . ويبدو من خلال المكاتبات التى كانت تتم بين محمد على وأبنائه فى السودان أنّ هذا الهدف (١) كان من الأهداف الأساسية لحملة السودان .

(٣) كذلك يعتبر المؤرخون أنّ الحصول على الذهب كان هدفاً من الأهداف التى سعى محمد على لتحقيقها حيث كان قد سمع عن كميات الذهب فى جبال بنى شنقول بشرق السودان . وفى فاز وغلى على الحدود الأثيوبية، ومما يؤكد حرصه على هذا الهدف اصراره على زيارة مناطق التنقيب بنفسه بعد ضم السودان . (٢)

(٤) بعض المراجع تشير إلى أنّ من دوافع محمد على فى هذه الحملة التخلص من جنوده الذين أصبحوا مصدر خطر وازعاج له فى مصر . (٥) من أسباب حملة محمد على إلى السودان طموح محمد على فى امتلاك وادى النيل من منبعه إلى مصبه .

(١) لمعرفة أسباب ضم السودان لمصر انظر : نعموم شقير - تاريخ السودان ط/دار الجيل بيروت ١٩٨١م (ص ١١٥)، د. مكى شيكة - السودان عبر القرون - دار الثقافة - بيروت (ص ١١٤)، عبدالله حسين المحامى السودان من التاريخ القديم إلى قيام رحلة البعثة المصرية - المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٥م (ص ٣٥)، د. شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩ (٩/٢) وما بعده - د. محمد فؤاد شكرى - صفحة من تاريخ السودان الحديث - مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة عدد ٨ المجلد الثانى ديسمبر ١٩٤٦م - (ص ٢٨ - ٣٢) Hill و Richard - *Egypt in The Sudan*. Oxford university press . London ١٩٥٩.

(٢) حسن أحمد إبراهيم - محمد على واستخدام الأرقاء السود - مجلة الدراسات السودانية - شعبة أبحاث السودان - جامعة الخرطوم العدد الأول - المجلد الثالث أكتوبر ١٩٧١ (ص ٩٨ - ٩٩) .

(١) وقد ذكر هذا السبب الرحالة وادنجتون .

(٦) ويغيب الدكتور محمد فؤاد شكرى أن من أكبر العوامل شأناً فى حملة السودان مطالبة أهل السودان أنفسهم بإنشاء حكومة قوية على يد محمد على تقضى على أسباب الفوضى المنتشرة فى بلادهم وتستبدل بها عهداً من النظام والأمن والطمأنينة والرخاء<sup>(٢)</sup> ويؤكد هذا وفود عدد من السودانيين من الحكام والملوك المغلوبين على أمرهم يطلبون العون لاستعادة سلطتهم على أن يعترفوا بالتبعية لمحمد على<sup>(٣)</sup> .

هذه هى أهم الاسباب التى رأى المؤرخون أنها دفعت محمد على لضم السودان لحكمه إلا أن الدكتور شوقى الجمل يرى أن هناك عوامل غيـر التى يراها المؤرخون، إذ يعتبر أن العوامل التى ذكرها المؤرخون ماهى إلا عوامل ثانوية أما العوامل الأساسية فهى :

- (١) عوامل طبيعية تتعلق بوجود النيل والصحراء وامتداد القطرين إلى بعضهما البعض يجعل من الصعب استغناء أحدهما عن الآخر .
- (٢) عوامل خارجية ويحصرها فى أطماع إنجلترا فى السودان ومصر فبادر محمد على بضم السودان حتى يقطع عليها الطريق .
- (٣) عوامل داخلية حيث لم تكن بالسودان قوة تستطيع الوقوف فى وجهه

- 
- (١) جورج وادنجتون - زميل بكلية الثالث بجامعة ويلز بايرلندا كان عمره سبعة وعشرين عاماً عندما جاء إلى مصر فى سنة ١٨٢٠م بصحبة قس من كلية يسوع فى البندقية والتقى بمحمد على وذهب فى رحلة إلى النيل الأعلى أثناء حملة محمد على إلى السودان . انظر آلان مورهد - النيل الأزرق - مرجع سابق (ص ١٣٥) .
  - (٢) انظر محمد فؤاد شكرى - مصر والسودان الوضع التاريخى للمسألة دار الفكر العربى - القاهرة (ص ٧ - ٨) .
  - (٣) من هؤلاء الشيخ نصر الدين ملك بربر والملك إدريس ولد ناصر من سنار وإدريس ولد عدلان من فازوغلى وأبو مدين من أقارب السلطان محمد الفغل سلطان دارفور - انظر د. شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل - مرجع سابق (١٠/٢) .



(١)

جيش محمد على .

ولكنه يرى أنَّ العوامل التي رجحت كفة ضم السودان عند محمد على

تنحصر فى عاملين :

(١) العامل الأول يتعلق بدواعى الأمن فى الولاية الأصلية مصر .

(٢) العامل الثانى يتعلق بالاهتمام بشئون البحر الأحمر وسواحل  
(٢)

وهذا العامل يتصل بامتداد نفوذ محمد على إلى سواحل الحجاز .

وعلى كل حال يصعب علينا تقديم أحد العوامل على العامل الآخر رغم

أنَّها تكاتفت سوياً ونجحت فى أن تقرر مصر أمر الذهاب إلى السودان، سواء  
كان ذلك لأسباب اقتصادية أو سياسية أو معنوية أو استراتيجية " .  
(٣)ضم السودان :

أعدَّ محمد على حملة تكونت من مغاربة وأتراك وألبان وأكراد إضافة

إلى مجموعة من العربان وقد بلغ تعداد هذا الجيش نحو سبعة آلاف وثمانمائة

مقاتل وقد قسم هذا الجيش إلى فرقتين :

الأولى بقيادة اسماعيل أصغر أبناء محمد على، وقوام هذه الحملة  
(٤)

أربعة آلاف مقاتل من عناصر مختلفة أكثرهم من العرب والمغاربة

والألبانيين والأتراك ومعهم أربعة وعشرون مدفعاً وألف وخمسمائة فارس

وكان مع الحملة بعض علماء الدين على رأسهم الشيخ أحمد السلاوى المغربى

الذى عين مفتياً للممالك السودانية .  
(٥)

(١) انظر د. شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل - مرجع سابق -

(٨/٢) وما بعدها .

(٢) انظر المرجع السابق (ص ٩) .

(٣) د. جلال يحيى - مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية فى القرن التاسع

عشر - دار المعارف ١٩٨٤م (ص ٣٢) .

(٤) أصغر أبناء محمد على من زوجته التركية ابنة حاكم قولة . قدم إلى

مصر بعد أن استتب الأمر لوالده . توفى فى أكتوبر ١٩٢٢م .

(٥) عبدالرحمن الجبرتى - تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار -

دار الجيل (٦١٢/٣) .

أما الحملة الثانية فقد كانت بقيادة محمد بك الدفتردار<sup>(١)</sup> محمد على .

الحملة الأولى كان خط سيرها مع النيل ومهمتها اخضاع سلطنة سنار  
أما الحملة الثانية فكانت مهمتها ضم كردفان إلى الادارة المصرية .  
سارت الحملتان من حلفا ولم تجد حملة اسماعيل أية مقاومة فـ  
دنقلة التي أصبحت مركزاً للمعاليك حيث سلم بعضهم لاسماعيل وهرب البعض  
الآخر جنوباً حيث تبعهم اسماعيل بعد أن ترك في دنقلة قوة من الجيش  
لحفظ الامن وتأمين إرسال الامدادات .

سارت الحملة جنوباً إلى سنار عاصمة دولة سنار المسماة بالسلطنة  
الزرقاء ولم تجد مقاومة والامن قبيلة الشايقية التي قاومت جيش<sup>(٢)</sup>  
اسماعيل ولكن تقدم جيش اسماعيل وتسليحه الحديث قصى على مقاومتهم .  
وفى بربر أعلن الملك نصر الدين ملك بربر ولائه لاسماعيل فأبقىاه  
اسماعيل في منصبه تحت إمرة محويك أورفالى الذى عين مديراً لبربر<sup>(٣)</sup> .  
ثم سار جيش اسماعيل من بربر إلى شندى حيث سلم له الملك نمـ

---

(١) محمد بك الاستانلى المعروف بالدفتردار . نشأ في الاستانة . كان من  
الموظفين الذين عينهم سلطان تركيا في مصر - عهد إليه محمد على  
بالإشراف على أعمال الخزينة وجمع الضرائب فلغت أنظار محمد على  
إليه لهفته ونشاطه وزوجه من ابنته الاميرة نازلى هانم ثم عينه  
حاكماً على السودان بعد مقتل اسماعيل فانتقم من قتلته ثم دعى إلى  
مصر ليستأنف عمله الأول في المالية . توفى في ظروف غامضة . انظر  
عبدالرحمن زكى - حكام السودان - المجلة التاريخية المصرية  
المجلد الأول ١٩٤٨ م (ص ٤٢٨) .

(٢) من قبائل شمال السودان . يسكنون على ضفاف النيل من نهاية الشلال  
الرابع إلى نصب وادى الملك في مسافة تزيد على مائتين من الكيلو  
مترات . انظر محمد عوض محمد - السودان الشمالى سكانه وقبائله  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٦ م (ص ١٨١-١٨٢)  
(٣) انظر د. شوقي الجمل - تاريخ السودان وادى النيل - مرجع سابق  
٢٦/٢) .

(١) ملك الجعليين ومنها إلى الحظاية وسنار حيث سَلَّم له الملك بادی ملك سنّار .

أمّا الحملة الثانية فقد اتجهت إلى كردفان عبر الصحراء ولم تجد أية مقاومة ، الأمن المقدم مسلّم الذي كان يحكم مدينة باره نيابة عن سلطان الفور ، وبمعركة باره سقطت كردفان في يد الجيش المصري .  
(٢)

- 
- (١) الجعليون ينسبون إلى ابراهيم الملقب بجعل ، وهو حسب الروايات أبى سعد بن فضل بن عبدالله بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم . ويسكنون شمال الخرطوم وعاصمتهم بربر . انظر محمد عوض محمد - السودان الشمالى - مرجع سابق ( ص ١٦٤ ) .
- (٢) للمزيد من التفاصيل حول حملات فتح السودان انظر : نعوم شقيـــــر تاريخ السودان - مرجع سابق ، د. مكي شيكـــــة - مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط - معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ١٩٧٢ م .

النظام الإداري في السودان قبل امتداد الإدارة المصرية



### النظام الإدارى فى السودان قبل امتداد الادارة المصرية .

يقول الدكتور السيد يوسف نصر فى كتابه الوجود المصرى فى أفريقيا من ١٨٢٠ - ١٨٩٩ م " عاشت معظم البلدان الأفريقية فى مطلع القرن التاسع عشر فى ظل نظام قبلى متخلف تمثل فى قيام الدويلات والممالك الصغيرة التى عاشت كل منها على حسب ما يحلو لها بعيدة عن مساهمة التطور الحضارى والتقدم العلمى <sup>(١)</sup> .

هذا الوصف ينطبق تماماً على الوضع فى السودان فى ذلك الوقت ، فقد كان السودان - كما سبقت الإشارة - تحكمه ثلاث ممالك أكبرها مملكة سنار التى كانت تحكم معظم السودان الشمالى ولكنها كانت فى أواخر أيامها ضعيفة مفككة ترهقها الصراعات ثم مملكة تغلى فى كردفان ومملكة الفور فى السودان الغربى . وكانت القبائل والمشايخ تنفوى تحت هذه الممالك الثلاث ولكن العلاقة بينها كانت اسمية فقد كان زعيم القبيلة يعترف بسلطة السلطان عليه ويقدم له قدرأ من المال ثم ينفرد بحكم القبيلة أو المشيخة ، وكان لا يوجد نظام واضح للحكم كما لا يوجد جهاز متكامل للقيام بأعباء الحكم .

و خلاصة القول أنه لم يوجد بالسودان قبل امتداد الادارة المصرية إليه ، دول أو حكومات بمعنى الكلمة ، تشرف وتنظم نواحى النشاط المختلفة فى البلاد ، إذ فيما عدا الضرائب والرسوم التى كان السلاطين والملوك يقومون بجمعها من التجار ، والمزارعين والبدو ، والحرص على تنظيم قوافل التجارة التى كان لهم فيها النصيب الأكبر ، فقد ترك كل شئ على طبيعته <sup>(٢)</sup> .  
يكيف نفسه وفق ظروفه الطبيعية الخاصة .

(١) د. السيد يوسف نصر - الوجود المصرى فى أفريقيا فى الفترة

من ١٨٢٠ - ١٨٩٩ م - الطبعة الأولى - دار المعارف ١٩٨١ م (ص ١٠٩) .

(٢) انظر د. نسيم مقار - الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر

والسودان ، دراسة فى العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية

١٨٢١ - ١٨٤٨ م - الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥ م (ص ٢٨ - ٢٩) .

ومملكة الفور فى ادارتها ونظمها لاختلف كثيراً عن مملكة سنّار من حيث أنّ كل مملكة تتكون من مشيخات صغيرة عمادها القبيلة الواحده وقد ظلت مملكة دارفور مستقلة إلى أن قدّر لها أن تفتح فى عهد الخديو اسماعيل .<sup>(١)</sup>

#### ادارة اسماعيل بن محمد على :

بعد فتح سنّار وكردفان أصبح السودان الشمالى تحت الحكم المصرى الذى كان يستمد سلطته من حكومة الاستانة حيث أنّ محمد على كان يعتبر نفسه والياً عثمانياً خاضعاً للسلطان العثمانى رغم النزعات الاستقلالية التى كانت لديه . "ولقد ترتب على الأوضاع التى كانت سائدة فى مصر والسودان عند تحقق الوحدة السياسية أن تكون مصر باشوية أو ولاية عثمانية وأن تكون حكومة القاهرة هى موئل السلطة فى شطرى الوادى، مصر والسودان مع تبعيتها للباب العالى صاحب السيادة الشرعية على مصر نفسها" <sup>(٢)</sup> وعلى السودان .

ولذا نجد أنّ محمد على باشا قد استأذن السلطان العثمانى فى فتح السودان فأذن له بذلك . ولما تم الفتح عين الامير اسماعيل ابن محمد على حكاماً على السودان بفرمان سلطانى حيث تم الفتح باسم السلطان العثمانى ، وعلى هذا الأساس قدّم السلاطين والرؤساء فى السودان ولاهمهم وعندما تنازل بادى الساس ملك سنّار عن عرشه فقد تنازل للسلطان العثمانى .<sup>(٣)</sup>

- (١) انظر ابراهيم شحاته حسن - مصر والسودان، دراسة وثائقية مقارنة فى الأصول التاريخية والفكرية للشورتين العربيه والمهدية - توزيع منشأة المعارف - الاسكندرية ١٩٨٠ م (ص ١٠٧) .
- (٢) محمد فؤاد شكرى - مصر والسودان - الوضع التاريخى للمسالمة مرجع سابق (ص ٧) .
- (٣) انظر د. زاهر رياض - السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الاستقلال ١٨٢١ - ١٩٥٣ م - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٦ م (ص ٥٨) .

وفى هذا الصدد نذكر أنّ الأمر الذى أصدره الباب العالى بشأن تعيين الأمير اسماعيل حكمداراً على السودان لم يوقع موقع التنفيذ كأجراء مباشر بل صدر تقليد الحكم لاسماعيل من محمد على رأساً . كما أنّه لم تأت بعد هذا الاجراء أية أوامر أخرى من الباب العالى بتعيين الحكمداريين فى السودان ، بل صار يصدر تقليدهم من محمد على مباشرة <sup>(١)</sup> .

بدأ اسماعيل فى ادارة الأقاليم التى خضعت لسلطة ولكن يبداً أن محمد على باشا شعر بأن اسماعيل لا يستطيع لقلّة خبرته أن يدير شؤون الجهات المفتوحة فأرسل اليه ابراهيم باشا <sup>(٢)</sup> . لعاله من خبرة بشؤون الحرب والادارة وعينه قائداً عاماً للقوات المصرية فى سنّار وكردفان . وصل ابراهيم باشا إلى سنّار فى نهاية أغسطس سنة ١٨٢١م وبقي مع اسماعيل فى سنّار بعض الوقت ولكنه أصيب بمرض سافر على إثره إلى القاهرة . أمّا اسماعيل فقد رجع من سنّار إلى واد مدنى التى اتخذها عاصمة لـ <sup>(٣)</sup> لصلاحيه جوها . ومنها سافر إلى شندى حيث لقي حتفه على يد ملكها نممر

(١) انظر محمد فؤاد شكرى- مصر والسودان الوقع التاريخى للمسألة مرجع سابق (ص ٨) .

(٢) كلمة باشا كلمة تركية مختلف فى أصلها الاشتقاقى . قيل من باشا أغا أى رئيس الأغوات أو كبير الخصيان وقيل أنّها من الكلمة الفارسية بادشاه وقيل أنّها من باش بمعنى الرأس . وفى مصر كانت تطلق على رجال الجيش إذا صاروا ألوية ، وعلى أعيان المدن من ووكلاء الوزارات ومحافظى الأقاليم وكبار التجار . وقد ألقى هذا اللقب فى مصر سنة ١٩٥٢م انظر د. أحمد السعيد سليمان - تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل - دار المعارف ١٩٧٩م (ص ٣٦) .

(٣) أحمد بن الحاج أبو على كاتب الشونة مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنّارية والادارة المصرية ، تحقيق الشاطر يصيلى عبدالجليل - مراجعة الدكتور محمد مصطفى زياده - دار إحياء الكتب العربية ١٩٦١م (ص ٨٩) .

(١)

وذلك فى أكتوبر ١٩٢٢م .

(٢)

ترتب على مقتل اسماعيل أن أصبح محمد بك الدفتردار المسئول  
الأول عن الإدارة والجيش المصرية بالسودان فقام بحملات إنتقامية لمقتل  
اسماعيل ابتداءً من النيل الأبيض وحتى شندى وقد قتل من الجعليين قرابة  
الخمسين ألفاً ، الأمر الذى أعطى السكان انطباعاً سيئاً عن الحكم الجديد .  
وحرصاً من محمد على على سمعة نظام الحكم الجديد فقد استدعى  
الدفتردار إلى القاهرة .

وفى الصفحات التالية سنستعرض إدارة محمد على باشا للأقاليم  
السودانية وسنتعرف على ايجابياتها وسلبياتها والهيكل الإدارى الذى  
قامت عليه وأهم الحكام الذين أمروا على البلاد مع ذكر منجزاتهم .

#### حكمادارية اسماعيل باشا :

شهد السودان على عهد محمد على عدداً من الحكام كان أولهم اسماعيل  
ابن محمد على الذى صدر أمر تعيينه من السلطان العثمانى . وقد مارس  
اسماعيل صلاحياته كحاكم أثناء الفتح حيث نجده قد أقر بعض الملوك

(١) تضاربت روايات المؤرخين فى سبب مقتل اسماعيل ولكن معظمها يؤكد  
على فداحة الفرائب التى حاول اسماعيل فرضها على الأهالى وإهانتة  
للملك نمر .

(٢) كلمة دفتر يونانية بمعنى جلد الحيوان لأنه كان يكتب عليه ، وقد  
دخلت العربية قديماً وفيها ثلاث لغات الدفتر بفتح الدال كجعفر  
ومن العرب من يقول دفتر بالتاء على البدل والدفتر بكسر الدال  
على وزن درهم والدفتر جماعة الصحف أو الكراس ودخلت كلمة دفتر  
الفارسية أيضاً بلفظها وبمعنى جماعة الصحف وأما دار ففارسية  
ومعناها صاحب أو القيم . فالدفتردار لغويًا هو صاحب الدفتر  
وكان الدفتردار بمثابة وزير المالية وفى مصر العثمانية كان  
هذا المنصب يعنى ناظر المال أو كبير الكتبة .

انظر د. أحمد السعيد سليمان - تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتنى  
من الدخيل - مرجع سابق (ص ٩٨ - ١٠٤) .

(٣) انظر د. شوقى الجمل - تاريخ سودان وادى النيل - مرجع سابق  
ج ٢ (ص ٢٩) .



والمشايع الذين أذعنوا له فى مناصبهم - وبعد وصوله إلى سنّار اتخذها عاصمة له ، وفى هذه الأثناء حضر أخوه الأكبر ابراهيم باشا ليساعده فى وضع الأسس الادارية والعسكرية لهذا الاقليم حيث أنّ ابراهيم قد اكتسب تجربة كبيرة من خلال حروبه فى سوريا والحجاز كما سبقت الإشارة .

نزل ابراهيم فى فواحي سنّار وظل الأخوان يجتمعان ويتشاوران وأخيراً استقر رأيهما على القيام بحملتين للحصول على السود .

الأولى يقوم بها ابراهيم باشا إلى مناطق الدنكا على النيل الأبيض .  
والثانية يقودها اسماعيل إلى جبال الصعيد المتاخمة لأثيوبيا  
لأنّ والدهما يلح فى طلب الزنوج للجنديّة . (١) وقد سار اسماعيل بحملته إلى جبال الصعيد أمّا ابراهيم فقد سار قليلاً فى جهات النيل الأبيض  
ولكن المرض اشتد عليه فرجع إلى سنّار .

وقبل مغادرته سنّار إلى القاهرة قام بتقدير مايمكن جمعه من الضرائب .

ولتنظيم الادارة رأى ابراهيم أن يجرى احصاءً تقريبياً لعدد القرى فى الأقاليم السودانية من أفواه الذين يوثق بكلامهم وكانت النتيجة أن قرى سنّار والحلفاية تبلغ ثلاثمائة قرية وفازوغلى مائة قرية وقرى كردفان ألف وخمسمائة قرية . ورأى ابراهيم أن يعين قائممقام مع عشرة من الفرسان وعشرة من المغاربة على كل من ١٣ - ١٧ قرية (٢) ويقدر أنّه يمكن الحصول على ألف أو ألفين من الريالات من كل قرية . (٣)

هذا وقد كوّن اسماعيل قبل خروجه فى حملة الصعيد لجنة من سعيّد أفندى وكيله والمعلم حنا الطويل والأرباب دفع الله ولد حمد وذلك

(١) انظر د. مكى شيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١١٤) .

(٢) يذكر الآن مورهد أنّ الريالات التى كانت مستخدمة فى السودان فى هذه الفترة هى الريالات الأسبانية المعروفة بريالات ماريّا تيريزا انظر النيل الأزرق (ص ٢٦٦) .

(٣) انظر د. مكى شيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١١٥) .

لتقدير الضرائب فاجتمعت هذه اللجنة وفرضت ضرائب باهظة حيث فرضت على سنار ١١١٠٠ كيسه وحلفا ٢٩٤ كيسه وجهات النيل الأبيض ٣١٤ كيسه وقد بلغ مجموع ما فرضته من ضرائب ١١٧٠٨ كيسه أى ما يعادل ٥٨٥٤٠ جنيه<sup>(٢)</sup>.

وقد اعتبرت هذه الضرائب باهظة لان السكان لم يألفوها . وقد كانت هذه اللجنة لجهلها بحال السودان تقدر الضرائب قياساً على ما هو موجود فى مصر مع الفارق الكبير فى القياس " فاهل السودان آنذاك أغلبيتهم تتعامل بالذرة والدمور كنقد والريالات المتداولة بين الناس قليلة والسودانى الذى يريد أن يقوم بتأدية هذه الضريبة قد يعوزه السوق الذى يمكن أن يبيع فيه ماشيته .<sup>(٣)</sup>

بعد تقدير هذه الضرائب قامت اللجنة باقفال الدفاتر التى قدرت فيها الضرائب وأرسلتها لمصر للموافقة عليها .

وإزاء هذا الوضع فرّ فريق من السكان إلى الحبشة وفريق آخر بدأ يفكر فى الثورة على النظام الجديد .

ولمّا عاد اسماعيل من حلمته ورأى هذا الوضع بدأ فى استمالة الأهالى حتى يعودوا إلى سابق اطمئنانهم ووعدهم خيراً فيما يتعلق بالضرائب وبعث بعض جنوده ليلحق بالدفاتر التى أرسلت إلى مصر لإرجاعها .

وقد ذكر كاتب الشونة أنه قد خفضها بالفعل حيث يقول : " وعرضت عليه دفاتر المطالب وشكت إليه الرعية من عظم الكتابة لأنه وضع على صاحب الحمار خمسة ريال وكذلك صاحب الشاه فحصلت له الرقة العقلية والرحمة الاسلامية فتجاوز عن ذلك وعمل عليهم ريالين وأمرهم فى الخلاص بالسهولة والمياسرة والرفق بالفلاحين " .<sup>(٤)</sup>

(١) الكيسة : تعادل خمسمائة قرش .

(٢) انظر الشاطري صلي عبد النجلى - معالم تاريخ سودان وادى النيل ط الثانية - مكتبة العرب ١٩٦٦م القاهرة (ص ١٣٨)، وضرار صالح فرار تاريخ السودان الحديث - دار مكتبة الحياة بيروت ط الرابعة ١٩٦٨م (ص ٤٤) .

(٣) انظر د. مكى شبيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١١٨) .

(٤) انظر كاتب الشونة - مخطوطة كاتب الشونة - مرجع سابق (ص ٩) .

ولكن باحثاً حديثاً يقول : " وبالرغم من أنَّ اسماعيل اكتشف أنَّها جائرة (يعنى الفرائث) إلا أنَّه لم ينقص منها شيء بل زاد فى بعضها — وبديء فى جمعها عام ١٨٢٢م " (١) . ولكنى أرجح مقاله كاتب الشونة — من تخفيض للفرائث نظراً لمعاصرته للأحداث .

لم يطب المقام لاسماعيل وجنده فى سنار وذلك لرداءه مناخها كما ذكرنا — وقد عرفت بذلك منذ القدم — فرحل عنها اسماعيل إلى واد مدنى إلى الشمال من سنار وبنى فيها الشكنات ومكاتب الحكومة كما رتب حكومة للقرى قوامها قائممقامات لكل عدد منها ويساعد القائمقام مشايخ الأخطاط .

فكر اسماعيل فى السفر إلى مصر بعد غياب دام سنتين واتجه صوب مصر ومعه مائتين وخمسين خيلاً ولكنه لقي حتفه على يد الملك نمر فى شندى (٢) .

أمّا فى كردفان ففى أيام قليلة سيطر الدفتردار على الأبيض العاصمة وأجزاء كبيرة من كردفان وقسم المنطقة إلى خمسة أقسام إدارية هى خورس وباره وكشعر وأبو حراز وديرا بينما بقيت منطقة البقارة والنوبا خارج هذا التقسيم (٣) .

ولكن محمد على باشا وجه الدفتردار بعد مقتل اسماعيل باعطاء كردفان لأحد السلاطين أو الملوك على سبيل الاقطاع لتتفرغ الإدارة المصرية لحكومة سنار ورأى محمد على هذا رأى لأنه لم تمض سنتان تقريباً على حكمه فى السودان حتى حدثت الثورات وحركات التمرد وقتل ابنه ولكن

- 
- (١) ضرار صالح ضرار — تاريخ السودان الحديث — مرجع سابق (ص ٥٢) .  
 (٢) انظر د. مكى شبيكة — تاريخ شعوب وادى النيل مصر والسودان — دار الثقافة — بيروت (ص ٣٤٣) .  
 (٣) عوض عبدالهادى العطار — تاريخ كردفان السياسى فى المهدية — ١٨٨١ - ١٨٩٩م — المجلس القومى لرعاية الآداب والفنون — وزارة الثقافة والاعلام — جمهورية السودان الديمقراطية — ط الأولى ١٩٧٣م (ص ٢٢) .

الدفتردار لم يوافق على هذا الرأى بحجة أنه لم يبق فى كردفان من يستطيع حكمها، فصرف النظر عن هذا الرأى وترك بالأبيض حامية لحفظ الأمن وقفل راجعاً لأقليم سنار<sup>(١)</sup> .

تولى الدفتردار السلطة العسكرية والادارية فى السودان بعد مقتل اسماعيل وظل يحتل هذا المنصب وتلك السلطة حتى أكتوبر ١٨٢٤ م . ولقد أثرت عملية انتقامه لاسماعيل على علاقته بالأهالى فى بعض المناطق فاستدعى الى مصر وحل محله عثمان بك جركس<sup>(٢)</sup> .

#### منجزات ادارة اسماعيل :

استطاع اسماعيل باشا أن يحقق بعض الأغراض التى أرادها والده من ضمها للأراضى السودانية ومن ذلك :

(١) أنه استطاع تأمين حدوده الجنوبية ببسط سلطته عليها وقضائه على

قوة المماليك التى كانت مصدر خطر يهدده .

(٢) فى مجال الأرقاء السود لم يوفق اسماعيل بالصوارة التى كان والده

يحلم بها حيث لم يستطع الوصول إلى مناطق السود فى جنوب السودان

وجبال النوبة . حيث أن إبراهيم باشا منعه المرض من القيام بحملته

فى النيل الأبيض . أما اسماعيل فلم يكن ناجحاً فى حملته إلى

جبال الصعيد إذ أنه لم يأت بأكثر من ٤٧٧ رجلاً يصلح للجندية

على الرغم من خطابات والده التى يركز فيها على هذه المهمة

بقوله : " وإن المقصود الأصل من هذه التكاليف الكثيرة والمتاعب

الشاقة ليس جمع المال كما كتبنا ذات مرة بعد أخرى بل الحصول

على عدد كبير من العبيد الذين يصلحون لأعمالنا ويجدرون بقضاء

مصالحتنا<sup>(٣)</sup> .

(١) د. مكى شبيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١٢٣) .

(٢) د. جلال يحيى - مصر الأفريقية - مرجع سابق (ص ٣٥ - ٣٦) .

(٣) دفتر معية تركى - مكاتبة رقم ٣٢٥ - بتاريخ غرة القعدة سنة ١٢٣٧ هـ

نقلًا عن مكى شبيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١١٧) .

(٣) أمّا موضوع الذهب الذى كان محمد على مهتماً به إلى درجة كبرى كما وصفه أحد المهندسين المشتركين فى التنقيب فقد اهتم به اسماعيل كذلك، فقد مرّ أثناء غزوه لأعالى النيل الأزرق على إقليم فازوغلى وفتش أماكن استخراج الذهب وشدّد على زعيم المنطقة (١) لارشاده على أماكنه وملا جوربين من ترابها وأرسله إلى مصر .

ورد محمد على فى ٨ شعبان سنة ١٢٣٧هـ قائلاً : " وقد جاء الجوربان واطلعنا على معدن الذهب الذى يحتويانه ولقد استقدمت من أوروبا أستاذاً عاقلاً نابغاً فى العلم ملماً بطبايع (هكذا) المعادن وسرسله إن شاء الله تعالى إلى تلك الديار ليقوم بالبحث والتحرى عما أفاض الله عليها من المعادن وسيطوف معكم بتلك الديار بعد موسم الأمطار ويتردد على المواضع التى اطلعتم عليها فيعين المواضع التى يرى وجود المعدن فيها يحتبين من حقيقة الحال بمقتضى صنعته ثم يقدم تقريراً بتوقيعه عن نتيجة أبحاثه سلباً أو إيجاباً " (٢) .

حقيقة إن أعظم إنجازات اسماعيل باشا هى توحيد السودان لأول مرة فى وحده سياسية تحكمها إدارة واحدة " فقد انضوت تحت لواء الحكم المصرى جميع الأقاليم السودانية التى تم فتحها على يد اسماعيل والدفتردار وهى النوبا وسنار وكردفان وجميع توابعها وملحقاتها من الشعوب والقبائل الرحل المنتشرة فى الصحراء (٣) بالرغم من أن اسماعيل لم يستطع إنشاء جهاز للحكم قوى وفعال وذلك لأن محمد على كما يبدو لم يكن قد أعدّ بادية ذى بدء خطة شاملة التنظيم لحكم الأقاليم السودانية تقوم على دراسة كاملة لظروفها وأحوالها، وكذا الاحتمالات والمصوبات التى قد تواجهه عند حكمها . ومن ثم فقد جاء النظام الذى

- 
- (١) انظر الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى - مرجع سابق (ص ٥٧) .  
 (٢) انظر د. مكى شبيكة - تاريخ شعوب وادى النيل - مرجع سابق (ص ٣٣٦) .  
 (٣) د. نسيم مقار - الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى - مرجع سابق (ص ٤٠) .

وضع لحكم السودان وقد غلب عليه طابع التنظيمات الادارية التى كان معمولاً بها فى مصر وقتذاك ، رغم الاختلاف الظاهر بين ظروف وأحوال البلديين - فالسودان كان النظام القبلى هو السائد فيه والمواطنون لم يألَفُوا أن تكون علاقاتهم بالحكم مباشرة حتى فى المناطق التى قامت فيها الممالك والسلطنات ، إذ كان الخضوع لرئيس القبيلة وهذا بخلاف ما كان جارياً فى مصر وقتذاك حيث لم يكن للنظام القبلى او العشائرى وجود (١) يذكر .

وانصافاً لاسماعيل فانه لم يستبح ممتلكات الأهالى أو أعراضهم وأنه كان يدفع أجرة الجمال للحملة وأثمان الغلال والمواشى للمؤن . (٢)

وقد ذكر الرحالة إنجلس الذى كان يرافق الحملة أن بعض الخدم والجند قد سلكوا مسلحاً مخالفاً لما أصدره من أوامر بشأن معاملته الأهالى فأنزل بهم العقاب الصارم ودفع للأهالى تعويضاً عما أخذ منهم (٣) أولئك الافراد .

هذا وقد كان محمد على يرغب فى أن تساس البلاد السودانية بطرق أكثر انسانية ، إلا أن الحكام الذين أرسلهم لم يكونوا على نفس المستوى (٤) من التفكير فأساءوا الى حكم محمد على فى السودان .

---

(١) انظر الشاطر بصيلى عبدالجليل - معالم تاريخ السودان وادى النيل - مرجع سابق (ص ١٣٧) .

(٢) انظر ده مكى شيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١٢٦) .

(٣) انظر الشاطر بصيلى - المرجع السابق (ص ١٣٣) .

(٤) انظر ضرار صالح ضرار - تاريخ السودان الحديث - مرجع سابق (ص ٥٠) .

### ملاح النظام الادارى فى فترة محمد على .

ذكرت أنَّ محمد على لم يكن قد أعد خطة مدروسة لإدارة الأقاليم السودانية وذلك يرجع فى اعتقادى إلى جهل محمد على التام بالأقاليم السودانية ولذلك ترك الأمر لقواده . ولم يكن لمصر أن تفعل أكثر مما فعلت فى ذلك الحين لان امتداد الادارة ليشمل شطرى الوادى كان أول تجربة من نوعها، ومما يدل على أن الحملة لم تكن مزودة بخطة واضحة أنها تركت الأمر فى المناطق التى تسلمت ولايتها فى طريقها إلى سنار فى أيدي المشايخ المحليين والكشاف<sup>(١)</sup>، وبعض الجنود من المرتزقة المعروفين بالباشبورق فى المدن الرئيسية . وفى هذا مافيه من تجزئة للمسؤولية الادارية، وبخاصة فى بلاد واسعة الأرجاء كالسودان، لا تربط بينها مواصلات سريعة . وكان من أثر هذه التنظيمات إحياء التقاليد القديمة بشأن تحصيل الضرائب، مما كان له أسوأ الأثر على المدى البعيد<sup>(٢)</sup> .

### الهيكل الادارى .

#### (١) الحكمادار :

جعل على رأس الادارة فى السودان حاكم له السلطة العسكرية والمدنية المطلقة ويتبع ديوان الداخلية بمصر . هذا الوالى يطلع عليه أحياناً مأمور عموم بلاد السودان ويعينه والى مصر وتمدر إليه من

- (١) الكشاف جمع كاشف وهم فى الأصل من الجنود الأتراك الذين كان السلطان سليم الاول قد أرسلهم لغزو النوبا ففتحوها حتى الشلال الثالث واستقروا فيها وكانت عاصمتهم الدر واستمروا فى حكمهم إلى قيام الثورة المهدية . انظر محمد أحمد محبوب - الحكومة المحلية فى السودان - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ١٩٤٥م (ص ٢١) .
- (٢) انظر الشاطر بصيلى - معالم تاريخ سودان وادى النيل - مرجع سابق (ص ١٣٧ - ١٣٨)، ضرار صالح ضرار - تاريخ السودان الحديث - مرجع سابق (ص ٥٢) .

الوالى مباشرة الأوامر والتعليمات التى يقوم بتبليغها للمديرين  
والمأمورين فى أقاليم السودان المختلفة . وإليه يرجع هؤلاء الحكام  
فى مختلف الشئون المتعلقة بالادارة دون الرجوع لحكومة القاهرة .  
وبالجملة كان هو المسئول المباشر أمام والى مصر عن ادارة الأقاليم  
السودانية .<sup>(١)</sup>

ويدخل ضمن اختصاصات الحكماء التفتيش على أعمال الموظفين  
والقيام بجولات تفتيشية فى المديرية والمراكز المختلفة وبخاصة  
عند وقوع حوادث رشوة أو اختلاسات مالية . وفى تلك الحالة تتولى لجان  
فنية فحص أوراق وحسابات الجهة التى تقع فيها مثل هذه الحوادث .  
وهو ما يعرف بنظام التفتيش المالى . كذلك جرت عادة الحكماء  
على عقد مجالس للمشورة تضم المديرين وكبار الموظفين للتشاور فى  
المسائل الهامة وإرسال قراراتها لحكومة القاهرة . وقد كان على  
الحكماء بصفة عامة أن يقدموا للجناب العالى تقارير دورية أو شهرية  
يبسطون فيها أحوال المديرية المختلفة وسير الأعمال بها .<sup>(٢)</sup>  
ولفظ الحكماء يحمل إلينا فكرة أن الادارة فى السودان كانت عسكرية  
إذ كان كل من شغل منصباً إدارياً فى الحكومة الجديدة من السلك  
العسكرى .<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) انظر عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - مرجع سابق (ص ١٨٦) .  
د. شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل ج ٢ مرجع سابق (ص ٣٣) وقد  
ذكر ضرار صالح ضرار فى تاريخ السودان الحديث مانحه : " عيّن  
محمد على حاكماً على السودان أطلق عليه فى سنة ١٨٢٤م لفظ  
الحكماء وكان يتمتع بالباشوية وأعطيت له السلطات العليا  
الادارية والتنفيذية والعسكرية " . مرجع سابق (ص ٥٣) .  
(٢) لفظ يقصد به والى أو الخديو .  
(٣) انظر نسيم مقار - الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى - مرجع سابق  
(ص ٤٤ - ٤٥) .  
(٤) زاهر رياض - السودان المعاصر - مرجع سابق (ص ٦٥) .



(٢) المديرون :

كذلك قام محمد على بتقسيم السودان الى مديريات بلغت فى نهايـة حكمه سبع مديريات هى دنقلة، بربر، الخرطوم، كردفان، سنار، فازوغلـى والتاكة . وعين لكل مديرية مدير وحددت حدود كل مديرية وضم اليها العرب الرحل الضاربين فى وديانها . وقد كان من فوائدها هذا النظام أن قلل العصبية القبلية التى كانت متحكمة فى زمن الفونج . ويخضع المدير مباشرة لرئاسة الحاكم العام "الحكمدار" ويرأس قوة من الجند لحفظ الأمن فى المديرية ويساعده فى شئون الادارة وكيل وعدد من معاونين والكتاب وقاضى ووكيل قاضى ومفتى ومجلس أهلى وضبطية .<sup>(١)</sup>

ويجمع المدير فى يده السلطة العسكرية والمدنية . وقراراته نافذة فيما عدا الشئون الهامة التى يرجع فيها إلى الادارة المركزية فى الخرطوم .

أما الشئون القضائية فكان القاضى هو الذى يفصل فيها ويصدر الأحكام طبقا للشريعة الاسلامية، أما مهمة المدير فهى تنفيذ هذه الأحكام .<sup>(٢)</sup>

أما الشئون المالية والضرائبية فى المديرية فقد اختص بها المباشر أو الباشكاتب وهو الذى كان يتولى تقدير الضرائب وتوزيعها على أقسام المديرية المختلفة ويقوم بعمل حسابات المديرية لتقدم للخزانة العامة فى القاهرة فى الوقت المعين . ويكون ذلك بجمع دفاتر حسابات الأقسام التى تضمها المديرية، وعمل حساب إجمالى لها فى دفتر خاص يصدق عليه مدير المديرية والحكمدار ويشفع بالمستندات المالية اللازمة ويعاون الباشكاتب فى الشئون المالية والضرائبية الصراف ويتولى رؤية الحسابات النقدية فى المديرية . وفى المناطق التى يكثر فيها التعامل

- 
- (١) يطلق كثير من المؤرخين على دولة سنار اسم دولة الفونج أو السلطنة الزرقاء لأن القاشمين على الحكم كانوا من قبائل الفونج .
- (٢) عبدالرحمن الرافعى - مصر محمد على - مرجع سابق (ص ١٨٦) .
- (٣) انظر د. نسيم مقار - الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى - مرجع سابق (ص ٤٧) .

بالسلع التى تصنع محلياً كالأقمشة ويقدمها الأهالى من حساب الضريبة المقررة عليهم كما هو الحال فى مديرية دنقلة مثلاً، كان يعين فيها صراف آخر لرؤية أمور الجوانات والقماش . وكذلك فى المناطق التى كان يكثُر فيها التعامل بالذهب والفضة وتكون أكثر المعاملات التى ترد لخزانة المديرية أو تصرف فيها من هذين المعدنين كما فى مديرية سنار وفازوغللى ، كان يعين منها صراف مختص باختيار الذهب والفضة (١) وضبط عيارهما ويعرف بالمعيارجى .

كذلك قسمت المديرية إلى عدد من الأقسام أو المراكز (٢) على كل منها حاكم يعرف بالكاشف أو المأمور أو الناظر وهو ضابط فى الجيش وله سلطات واسعة يستقيها من المدير ويرأس عدداً من العساكر وكاتبين للحسابات وصراف (٣) .

هذه الأقسام أو المراكز يضم كل منها عدداً من القرى على كل قرية منها شيخ يختاره القرويون ليمثلهم ويكون مسئولاً عنهم أمام الكاشف أو المأمور .

كذلك كان على كل قبيلة من قبائل البدو الرئيسية شيخ مسئول أمام حاكم المنطقة التى تعيش فيها القبيلة .

وكانت مهمة الكاشف أو المأمور أو الناظر ( وهذه كلها تسميات لوظيفة واحدة ) هى الاشراف على شئون الزراعة والأمن فى مركزه وتحصيل الضرائب بمعاونة الجند ومشايخ القرى .

ولقد كان للمشايخ وغيرهم من الزعماء المحليين نصيب فى إدارة شئون البلاد وخاصة فيما يتعلق بشئون جمع الضرائب وغيرها من المظبوطات الحكومية من المواطنين . هذا وقد كان بعض الحكمداريين

(١) انظر نسيم مقار - الأسس التاريخية للتكامل - مرجع سابق (ص ٤٩ - ٥٠) .

(٢) قسمت مديرية كردفان مثلاً إلى خمسة مراكز .

(٣) انظر ضرار صالح ضرار - تاريخ السودان الحديث - مرجع سابق (ص ٥٢) .

يأخذون برأى الثقاء منهم فى بعض المشكلات العامة كمشكلة المتأخرات من الضرائب وفرار الأهلىين من دفعها .

وبصفة عامة حرصت الادارة المصرية فى السودان على الابقاء على المشايخ والملوك الذين أظهروا الولاء خلال عمليات ضم الأقاليم السودانية فى مراكزهم يتمتعون بشئ من السلطة ليعاونوا رجالها من المديرين والكشاف فى الحكم .

لعل أبرز ميزات هذا النظام الذى وضعته الادارة المصرية لحكم السودان وذلك بتقسيمه الى أقسام إدارية لكل منها إدارة محلية ، للعنصر الوطنى نصيب فيها ، وتمثل الحكومة المركزية فى الخرطوم ، ويخضع الجميع لأوامرها وتعليماتها - لعل أبرز ميزاته - أنه يجعل جميع المواطنين فى مختلف المناطق والجهات التى شملتها الادارة المصرية مسئولين مسئولية مباشرة أمام حكومة وإدارة واحدة ، وبذلك أخذ نظام القبائل والعشائر والخفوع لزعامات مختلفة فى الزوال التدريجى مما مهد فى نهاية الأمر السبيل لوحدة البلاد وقيام دولة تشرف على جميع نواحى الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية وتعمل على تقدمها .

ويرى الدكتور زاهر رياض أن العلاقة بين المشايخ والمأموريين أو علاقة هؤلاء المأموريين بالحكماء لم تكن واضحة ، فبينما كان الحكماء يحاول أن يجعل نفسه مركز السلطة فى السودان ومنه تصدر الأوامر إلى المأموريين ، كان هؤلاء الأخيرون يحاولون التخلص من سلطته (١) بالكتابة إلى القاهرة رأساً .

والملاحظ على هذا النظام الإدارى الذى طبقه قادة محمد على فى السودان أنه لنظام يكاد يكون مطابقاً للنظام الذى أنشأه محمد على فى مصر ، فنظام الادارة المصرية بالسودان قام على بسط السلطة الإدارية الحكومية فى كافة أوجه النشاط الإدارى وفى مختلف مناطق السودان بقدر ماتسمح به إمكانيات هذه الادارة ووسائل المواصلات القائمة فى هذا البلد .

(١) انظر زاهر رياض - السودان المعاصر - مرجع سابق (ص ٦٩) .

وهذا الاتجاه الإدارى إنما ينبع من الجهاز الإدارى الذى أقامه محمد على فى مصر والذى ارتبط بتنظيم مصر تنظيمًا شاملاً بغية استغلال مواردها جميعها والسيطرة على مناطقها كلها، هذا التنظيم الذى شكّل جانباً أساسياً فى قيام دولة مصر الحديثة .<sup>(١)</sup>

وقد اعتبر محمد على الأقطار السودانية جزءاً من الأقطار المصرية تسرى فيها جميعها نظم واحده ويجرى الانفاق عليها من خزينة واحده .<sup>(٢)</sup>

(٣)

حكمادارية عثمان بك جركس البرنجى :

جاء ليحل محل الدفتردار فى حكم السودان ويعتبر بذلك ثالث حكمادار ولكن بعض المؤرخين يعتبرونه أول حكمادار لأن ملامح النظام الإدارى قد اتفحت فى عهده بينما اقتضت جهود اسماعيل والدفتردار على الفتح وتشبث السلطة . ولكنى أرى خطأ هذا الرأى لأن تعيين اسماعيل باشا كأول حكمادار قد جاء من السلطان العثمانى إلى محمد على . أمّا الدفتردار فلم يحاول محمد على إبعاده عن إدارة البلاد إلا بعد أن ارتبط فى أذهان السكان بعملياته الانتقامية البشعة .

وصل جركس إلى السودان سنة ١٨٢٤م . وكانت الحالة آنذاك فى السودان قد وصلت إلى درجة تحتاج إلى شخص معتدل وحازم يبعث فى النفوس الطمأنينة ويعيد الثقة بين الحكام والمحكومين ويقضى على عوامل الفوضى والاضطراب التى أوجدتها حملات الدفتردار الانتقامية . وقد أرسلت مع عثمان بك جركس قوة من الجيش المصرى الجديد الذى أعيد تنظيمه

(١) انظر د. ابراهيم شحاته حسن - مصر والسودان - مرجع سابق (ص ١١١) .

(٢) د. محمد فؤاد شكرى - مصر والسودان الوضع التاريخى للمسألة مرجع سابق (ص ٩ - ١٠) .

(٣) اضطلع فى البداية بقيادة الألاى المصرى الموجود فى السودان ثم تولى الحكم بعد استدعاء الدفتردار . توفى بالجدري ودفن فى الخرطوم وقد ترك ولداً وبناتاً . انظر عبدالرحمن زكى - حكمادارو السودان - المجلة التاريخية المصرية - المجلد الأول ١٩٤٨ - مرجع سابق (ص ٤٢٩) .

وتدريبه على الأسس الحديثة التى كانت متبعة فى ذلك الوقت فى الجيوش  
(١)  
الأوربية .

كما أرسلت معه نخبة من معاونين لمساعدته فى تنظيم الإدارة فى  
سنار ومن هؤلاء سليمان بك الخربوطلى الذى عين قائمقام فى الأبيض .  
(٢)  
وجد عثمان أن واد مدنى لاتصلح كمركز لإدارة الأقاليم السودانية  
التي امتدت إليها الإدارة المصرية، ولغت نظره موقع قرية صغيرة على النيل  
الأزرق على بعد ميل تقريباً من نقطة التقائه بالنيل الأبيض، وكانت  
هذه بداية نشأة مدينة الخرطوم التي أخذت تنمو بسرعة حتى أن بعض  
الذين زاروها سنة ١٨٢٦م دهشوا من التغيير الذى طرأ عليها فى خلال  
عامين فقط من اختيار عثمان جركس لها كمركز لإدارته .

وكان اختيار هذا المكان للعاصمة الإدارية اختياراً موفقاً فهو  
مكان وسط بالنسبة للسودان وعلى الطريق الرئيسى للقوافل المتجهة  
إلى القاهرة كما رأينا فى مفترق الطرق النهرية للجنوب .  
(٣)

رسم عثمان بك جركس خطته لوضع الفرائب الجديدة بعد حقبة الاضطراب  
والفوضى ووصف بانه " كان فظاً غليظ القلب نكل بالناس أثناء زياراته  
فى الجزيرة قواقليم القصارف واتسم عهده بالظلم والقسوة التى عرف بها  
عهد الدفتردار، وقيل أن قبل أن تتم له إقامة ثمانية أشهر فى اقليمه  
الجديد أصيب بداء السل وقضى نحبه وكان أول دفين من الحكام فى  
العاصمة التى أسسها .  
(٤)  
(٥)

- 
- (٢) د. شوقى الجمل - تاريخ سودان وادى النيل - مرجع سابق ج٢ (ص ٤٦) .  
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .  
(٤) يذكر د. جلال يحيى أن عثمان جركس مات مقتولاً سنة ١٨٢٦م انظر  
مصر الأفريقية - مرجع سابق (ص ٣٦) كما أن عبدالرحمن زكى قد ذكر  
انه مات بالجدرى كما سبق فى ترجمته .  
(٥) السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١٢٥)، عبد الرحمن الرافعى  
عصر محمد على - مرجع سابق (ص ١٨٩) .

(١) • وقد عم البلاد القحط والوباء فى أيامه •

#### حكمدارية محوبك :

علم محوبك مدير بربر بوفاة عثمان بك جركس حكمدار السودان فخلف فى الحال إلى الخرطوم واستلم الحكومة إلى أن ورد الأمر بتعيينه حاكماً على سنار خلفاً لعثمان بك • بعدها رجع إلى بربر وأقام بها مدته ثم قفل راجعاً إلى الخرطوم ليقوم بهانهاثياً •

قضى محوبك فى الحكمدارية بغزة أشهر وكان رجلاً عادلاً حيث غيّر السياسات الظالمة، وأغرى الأهالى بالرجوع إلى أوطانهم التى هجروها بسبب حملات الدفتردار من ناحية وفداحة الضرائب التى وضعها عليهم عثمان جركس من ناحية أخرى • كما منع عساكر الجهادية من التعدى على الأهالى • وقد حالفه الحظ فى يمينه بان هطل الغيث وفاض النهر ودر الفرع (٢) وعم الرخاء بعد أيام القحط والجذب والمرض التى شملت عهد عثمان جركس • ويعتبر محوبك أول من فكر فى إشراك الأهلىين فى حكومة بلادهم إشراكاً

حقيقياً وقد هدته حصافته إلى الاستعانة بآراء الشيخ عبدالقادر الزين شيخ مشايخ الجزيرة - هذا وقد بنى محوبك بناية خاصة للإدارة الحكومية فى الخرطوم ، كما بنى ثكنة لإقامة الجند وأمر بحفر الآبار فى المناطق البعيدة عن النيل والتى تقع فى طريق القوافل أو التى يتجمع فيها (٣) عدد من الأهالى وذلك لتوفير المياه الصالحة للشرب • (٤)

وقد أطلق على منصب محوبك ناظر بلاد السودان حيث أن كردفان كانت تحت إدارة سليمان بك الخربوطلى - كما سبقت الإشارة - وكان يحكمها

(١) د. محمد صبرى - الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر

القاهرة - مطبعة مصر ١٩٤٨م (ص ١٠) •

(٢) د. مكى شبيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١٢٠) •

(٣) انظر شوقى الجمل - تاريخ سودان وادى النيل - مرجع سابق (ص ٢٧) •

(٤) عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - مرجع سابق (ص ١٩٠) •

(١)  
طوال فترة عثمان بك جركس ومحبك . وفى خطاب مرسل للمعية من حاكم  
كردفان سليمان بك الخربوطلى يذكر فيه أنَّها عانت الكثير بسبب القحط  
الذى اجتاحتها لعدم نزول أمطار لمدة عامين ممَّا ترتب عليه جفاف كثير  
من المحاصيل التى زرعها المصريون فى الوديان حول مدن باره والطياره  
وغيرها من مدن كردفان - لكن الأمن الذى ساد المنطقة والجهود التى بذلتها  
الادارة الجديدة ساعدت على تخفيف وطأة المجاعة . كما أرسل سليمان بك  
لمصر عينة من الحديد من جبال كردفان لاختبارها وكذلك كمية من الصمغ  
(٢)  
العربى وريش النعام والعاج .

(٣)  
حكمدارية على خورشيد :

فى ٢٨ من ربيع الأول سنة ١٢٥١هـ الموافق ٢٤ يوليو ١٨٢٥م عين محمد  
على باشا ابن أخته خورشيد باشا حكمداراً على السودان وبعث إليه  
بالخطاب التالى :

" حضرة أمير الأمراء الكرام وكبير الكبراء الفخام وصاحب المجد  
والاحتشام خورشيد باشا مديراً لأقاليم السودانىة الجسيمة التى هى احدى  
الأقاليم المصرية الممنوح له لقب حكمدار تلك الأقاليم منعماً عليه برتبة  
الميرميران (أمير لواء) الجليلة دام اقباله . اعلم أنَّ توجيه همته  
إلى العناية بسكنة هذه الأقاليم التى كلفت بتنظيم أمورها تنظيمًا  
حسنًا وبادارة شئونها ادارة طيبة ، وكذلك نجاحك فى القيام بخدمات تشكر  
عليها فى هذا السبيل بفضل الكفاءة التى هى صفة خالده تلازم شخصك  
دواماً وبفضل النبوغ الذى يشرق فى جبينك دائماً ، قد زاد عطفى الخاص

- 
- (١) لفظ المعية يقصد به الخديو وحكومته .  
(٢) انظر شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل - ج ٢ مرجع سابق (ص ٤٧) .  
(٣) ابن شقيقة محمد على - تولى الحكم بعده محبوك - نال رتبة البكوية  
ثم الباشوية . وصفه الرافعى بأنه أعظم ولاية السودان شأنًا  
وأنبهم ذكراً وأحسنهم سيرة وأطولهم عهداً . انظر عبد الرحمن  
الرافعى - عمر محمد على - مرجع سابق (ص ١٩٠) .

عليك حتى أصبح اعجابى بك مضاعفاً ، فوجب أن أكافئك بمكافأة اظهـاراً  
لهذا الاعجاب، فأصدرت أمرى اليك لتبشيرك بأننى مع ابقائك مديـــــراً  
لهذه الأقاليم قد أنعمت عليك برتبة الميرميران الجليلة وبوسام رفيع مرمع  
بالجواهر من هذه الرتبة ، فاذا علمت أن هذا الانعام معاً يشرح صدرك ويعلى  
جبينك ويرفع اسمك حتى يصل عنان السماء ، فأرنى نشاطك فى هذا السبيل  
أيضاً ، تقديراً من بعد الآن لهذا العطف الجليل الذى بزغت شمسـه عليك بهذا  
البزوغ الجميل، وقم بجولات متواصلة فى فيافى البلاد السودانية لــــيــــلاً  
ونهاراً كالأنجم السيارة السبعة فى سبيل تمشية أمور البلاد تمشية حسنة  
والعناية بها كل العناية ، وس كافة الأهالى بسياسة طيبة واجعل الاهتمام  
يبسط العمران والرفاهية فى هذه الأقاليم كالأقاليم المصرية نصب عينيك  
كما هو المنتظر منك من بعد الآن حتى تستحق به المزيد من عطفى الذى  
مازال متجلياً عليك من القديم بلا شك فينبغى أن تعمل بهذا الأمر فتجنب  
المخالفة (١) .

- ومن هذا الخطاب يمكن أن نخلص إلى عدد من الملاحظات منها :
- (١) الانعام الذى كان ينعم به محمد على - من الرتب والنياشين - على  
ولاته حتى يقوموا بأعمالهم كاملة وأسلوب التشجيع والمكافآت  
يعتبر من الأساليب الفعالة فى نظم الادارة .
  - (٢) أمر محمد على هذا الحكمدار بالقيام بجولات تفتيشية فى بلاد  
السودان وذلك بقصد تسيير أمور البلاد والوقوف على مشكلاتها .
  - (٣) توجيه الحكام بسياسة الأهالى سياسة طيبة والعمل على راحتهم .
  - (٤) يعتبر محمد على أن الأراضى السودانية جزءاً من الأقاليم المصرية  
ولذلك نجده يسعى لتطويرها وتعميرها مثلما فعل بمصر .
- (٢)  
هذا وقد وصل خورشيد باشا إلى السودان فى سنة ١٢٥١هـ وتسلم

---

(١) د. محمد فؤاد شكرى - الحكم المصرى فى السودان ١٨٢٠ - ١٨٨٥م - دار  
الفكر العربى ١٩٤٧م (ص ٢٤٥ - ٢٤٦) .  
(٢) انظر مخطوطة كاتب الشونة (ص ١٢٠) .



الادارة من محوبك وشملت ادارته فى البداية الخرطوم وسنار . أمّا  
كردفان فقد كانت فى ذلك الوقت تحت ادارة رستم بك خلفاً لسليمان بك  
(١)  
الخريوطلى وكانت اتصالاته تتم مع القاهرة مباشرة .

توسعت ادارة خورشيد بعد ذلك حيث شملت فى سنة ١٨٢٦م اقليم بربر  
الذى كان تحت ادارة محوبك . وفى سنة ١٨٣٢م أُضيفت إليه كردفان التى  
كانت تحت ادارة رستم باشا . ثم تلاها اقليم دنقلة فى سنة ١٨٣٣م فأصبح  
مديراً للسودان بلقب باشا . ويبدو أنّ محمد على قد أدرك أنّ تركيز  
(٢)  
الادارة فى يد خورشيد القريب من مركز الحوادث أفضل من تقسيم السودان  
لادارات متعددة ومنفصلة تتلقى أوامرها من القاهرة رأساً .

بمجرد وصول خورشيد إلى الخرطوم عقد مجلساً مع كبار ضباط جيشه  
لبحث حالة الاقليم الذى وقع تحت ادارته، والوسائل المقترحة للنهوض به  
وقد أبرق خورشيد لمحمد على بتقرير حول هذا المجلس . وعقد محمد على  
جلسة خاصة لمجلس المشورة لبحث هذا التقرير . وقد حضر هذه الجلسة  
(٣)  
الدفتردار وحنا الطويل وموسى الكاشف وغيرهم ممن كانوا بالسودان .

وقد أشار التقرير بنوع خاص للحالة الاقتصادية ولعجز الأهالى  
عن دفع المطلوب منهم من الضرائب . وقد تحدث موسى الكاشف فى هذا  
(٤)  
الاجتماع قائلاً : " أمّا الحكام الذين كانوا هناك ( يقصد فى السودان )  
منذ مده عثمان بك جركس لغاية الآن، لم يبحثوا عن شيء ما ولم يقوموا  
بأى عمل فلم تعمر البلاد وظلت آخذة فى الخراب - أعنى ذلك أنه عند

(١) انظر عبدالرحمن زكى - حكام السودان - المجلة التاريخية  
المصرية ج١ مرجع سابق (ص ٤٢٩) .

(٢) انظر د. شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل ج٢ مرجع سابق (ص ٤٨) .

(٣) مجلس المشورة نواه لنظام نيابى أنشاه محمد على بمصر سنة ١٨٢٩م ويضم  
العلماء وكبار موظفى الحكومة وأعيان القطر المصرى ويرأسه ابراهيم  
باشا ابن محمد على . عدد أعضائه ١٥٦ عضواً منهم ٣٣ من كبار  
العلماء والموظفين و ٢٤ من مأمورى الأقاليم و ٩٩ من كبار أعيان  
القطر المصرى . انظر عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - مرجع  
سابق (ص ٦٠٨) .

(٤) انظر د. شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل ج٢ مرجع سابق  
(ص ٤٨) وما بعدها .

فصل أى حاكم وتعيين آخر بدلاً منه ، لم تكن تجرى بينهما محاسبة ولا كان الحاكم المفصول . يسلم البلاد إلى خلفه . . . وقد طلب استخـدام كتاب فاذا تم هذا التفتيش كما يريده مولانا فان الكتاب المرسلين إلى تلك الديار سيوزعون على الأعمال التى تحتاج إليهم لاحتياج البلاد إلى أمثالهم ، لأن الاقليم ملك فسيح ، وقد كان علم الكتابة مهملًا فى العهد القديم ، وقد طلبنا الآن كتابًا للحاجة الماسة بهم (هكذا) ولغبط أمور الديوان<sup>(١)</sup> .

كان خورشيد رجلًا حليماً متدينًا كريماً ، عمل جهده فى رفع المعاناة عن الناس بعد المجاعة التى اجتاحت البلاد سنة ١٢٤٠ - ١٢٤١ هـ ومما قام به فى هذا المجال أشار إليه كاتب الشونة بقوله : "إن الأمير خورشيد باشا لما كثر التعب على المسلمين أخرج مائة أردب من نفسه وتصدق بهـا وأمر ببيع مائة (هكذا) مثلها من الديوان لأجل بيعه للسعة على المسلمين ، وأمر بصلاته الاستسقاء وخرج لها وصلاتها وهو فى غاية الشفقة على المسلمين<sup>(٢)</sup> " .

إضافة إلى ذلك عمل خورشيد بنصيحة سلفه محو بك باشارك العناصر الوطنية فى الإدارة فاتخذ الشيخ عبدالقادر الزين مستشاره الأول فى شئون الحكم وإدارة البلاد . وبمعاونة الشيخ عبدالقادر بدأ خورشيد فى حل المشكلات التى جابهته ، وكانت أهم تلك العقبات هى فرار السودانيين من أوطانهم إلى تخوم الحبشة ودارفور والبحر الأحمر حول سواكن التى كانت تحت حكم العثمانيين وواليتهم فى جده ، وكان من آثار تلك الهجرات أن قلّ الزرع واستغلال الأراضى وهرب عدد من الرعاة بثروتهم الحيوانية وقلّ السكان فى القرى وتعذر جمع الضرائب<sup>(٣)</sup> .

(١) الشاطر بصيلى عبدالجليل - معالم تاريخ السودان وادى النيل

مرجع سابق (ص ١٤٣) .

(٢) مخطوطة كاتب الشونة (ص ١١٩) .

(٣) انظر فرار صالح فرار - تاريخ السودان الحديث - مرجع سابق (ص ٦٠) ،

د. مكى شبيكة - مختصر تاريخ السودان الحديث مطابع دار الثقافة ، بيروت

١٩٦٥ م ص ٢٨

(٤) المرجع السابق (ص ٦١) .

أشار الشيخ عبدالقادر على خورشيد بأن يعفى مشايخ القبائل من الضرائب وكذلك الفقهاء لأنه إذا اطمأن هؤلاء لنزاهة الحكم اطمأنست العامة وعادوا إلى أوطانهم . كذلك اقترح عليه بأن تلغى متأخرات الضرائب وأن يعطى الأمان لكبار الزعماء الفارين ومن معهم . وسار هو شخصياً كرسول من خورشيد إلى بعض هؤلاء الزعماء . كذلك أقنع الشيخ عبدالقادر خورشيد باشا بعدم تطبيق التجنيد الاجبارى الذى كان محمد على قد طبقه فى مصر وطلب من خورشيد تطبيقه فى السودان (١)

كذلك طلب خورشيد أن ترسل له من مصر طائفة من المزارعين لتدريب الأهالى على الزراعة واستطاع بذلك أن يتوسع فى زراعة الشعير والذرة والقطن والقمح والنيلة وغيرها من المحاصيل التى أخذت تزدهر فى السودان إضافة إلى الموالح وغيرها من الفواكه . وقد تحقق ذلك بفضل توفير مياه الري بحفر الترغ وتعميم استخدام السواقي . كما اهتم أيضاً بالثروة الحيوانية ومنتجاتها، كذلك أرسل إلى مصر بعض السودانين لتعلم بعض الصناعات والحرف وممارستها فى بلادهم . (٢)

كما قام خورشيد بتوسيع فتوحات مصر فاحتل القلابات فى شرق السودان وكان موقعها هاماً من الوجهة الحربية والاقتصادية لوقوعها بالقرب من حدود الحبشة، فجعل بها حامية ثابتة . وأخضع جبال قللى وغزا قبائل الشلك وقبائل سيدرائته . (٣)

أما فى مجال المواصلات فقد نجح خورشيد إلى حد كبير فى تيسير المواصلات النهرية بين مصر والسودان، بالإضافة لربط أجزاء السودان الشمالى التابعة للإدارة المصرية ببعضها عن طريق السفن النيلية، وقد أخضع

(١) نعيم شكير - تاريخ السودان - مرجع سابق (ص ٢١٨) .

(٢) ذكر الدكتور مكى شبيكه أن الخولية الذين أرسلوا من مصر كانوا عددهم فوق المائة . انظر السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١٢٨) .

(٣) انظر د. شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل ج ٢ مرجع سابق (ص ٤٨) .

(٤) انظر عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - مرجع سابق (ص ١٩٠) .



وقد وصف الشيخ أحمد كاتب الشونة وداع الأهالى لخورشيد باشا —  
بقوله :

"إن رحيله صعب على الأهالى جميعاً وصاروا يتباكون بالدموع حتى  
قيل أن الشيخ عبدالقادر الزين هجر نفسه من الأكل والشراب يومين حزناً  
على فراقه" (١) .

هذا وقد شهد لخورشيد الأجانب الذين زاروا السودان خلال فترة  
إدارته . وقد استرعى انتباههم التغيير الذى شمل مختلف نواحى الحياة  
فى السودان والأمن الذى أصبح مستتباً يعكس ماكان معروفاً فى الماضى (٢) .  
تحدث هؤلاء الأجانب عن ظاهرة الرق التى لاحظوها فى المجتمع السودانى  
كما لاحظوا كذلك أن بعض الجند والضباط يعطون رواتبهم رقيقاً لانقضاء  
فنقلوا هذه الملاحظات إلى قنصل إنجلترا العام فى مصر المستر كامبـل  
الذى كان يتمتع بثقة محمد على وتقديره — فنقل بدوره هذه الملاحظات  
إلى محمد على الذى تأثر وكتب إلى الحكمدار فى السودان يأمره بإبطال  
ذلك وعندما استلم الحكمدار هذا الأمر جمع مجلساً كبيراً للنظر فيه  
وفى بعض الأمور الأخرى التى تتعلق بالأمن العام والمالية . فاجتمع  
المديرون فى الخرطوم ومعهم ٢٧ من مشايخ الأخطاط والأقسام على رأسهم  
شيخ مشايخ جزيرة سنار الشيخ عبدالقادر الزين وقرروا العمل بالأمر  
الكريم وتوزيع هذا الرقيق على الجهات لبيع، وتدفع أثمانه مرتبات (٣) .

وهذا الاجراء فى اعتقادى نوع من التحايل على النظام، فبدلاً من إلغاء  
الرق وتحرير هؤلاء المساكين بيعوا ودفعت أثمانهم مرتبات للجند .  
وقد كان هذا المجلس أول مجلس من نوعه يعقد فى الحكمدارىة

(١) مخطوطة كاتب الشونة (ص ٥٠) .

(٢) من هؤلاء الأوربيين الذين زاروا السودان فى هذه الفترة روبرت  
اللمانى وادولف فيثاك دى يلفوف والرحالة الفرنسى كومب وبالم  
وهوسكنس الانجليزى وعالم الآثار ليسوس .

(٣) انظر دى مكى شبيكة — السودان عبر القرون — مرجع سابق (ص ١٣١) .

للنظر فى الشئون العامة .

وبعد سفر خورشيد الى القاهرة خلفه على الحكمдарية أحمد باشا  
أبو ودان .

(١)  
حكمдарية أحمد باشا أبو ودان :

يعتبر أحمد باشا من أقدر حكام السودان . ودامت فترة حكمه  
للسودان خمس سنوات تقريبا، حيث تولى الحكم فى ربيع الأول سنة ١٢٥٤هـ اثر  
مغادرة خورشيد إلى مصر . وقد أوصاه خورشيد بالشيخ عبدالقادر الزين  
فقرّبه، ولم يقطع أمرا يتعلق براحة الرعية الا بمشورته، وشرع فى الحكم  
بحسن سياسة وبعد نظر، فنظم الدواوين والمديريات وحسّن حال الكتبة  
والموظفين . ثم التفت الى أمر الفسط والربط فمنع تعدى العساكر على  
الفلاحين ووطد الأمن فى البلاد، حتى أمن المسافرين والمقيم فى كل نواحي  
البلاد . " وبذلك اطمأن الأهالى وزادت عمارتهم وخصبت أرضهم حتى صار  
أردب الذرة بخمسة قروش وأوقع الله هيبته فى قلوب العباد ومع أنه لم  
يكن بذى اللسان ولا سفاكا للدماء، بل كان وقورا كثير الصمت وكان  
أوامره ونواهيه مقصورة على ما قلّ ودلّ كقوله افعلوا أو لاتفعلوا، ولم  
يجسر أحد على مخالفتها . وسرت هيبته إلى جميع فروع الحكمдарية حتى  
قليل أن الموظفين والمأمورين فى الجهات كانوا يتوهمون أنه مقيم بينهم

- (١) أحمد باشا جركس المعروف بأبى ودان كان من معاليك مصطفى بك  
شقيق زوج محمد على . اقترن باحدى بنات محمد على . رافق ابراهيم  
باشا فى حملة الشام كما اشترك فى حروب الحجاز . أرسل إلى  
السودان على رأس قوة من الجيش لمساعدة الحكمدار خورشيد باشا  
وتسلم الحكمдарية منه . فى عهده زار محمد على السودان . توفى  
بالحمى وقيل أنه مات مسموما بواسطة زوجته وكانت وفاته فى  
رمضان سنة ١٢٥٩هـ . شيدت له زوجته مقبرة رائعة البناء فى الخرطوم .  
انظر عبدالرحمن زكى - حكمدارو السودان - المجلة التاريخية  
المصرية - المجلد الأول - مرجع سابق (ص ٤٣٠ - ٤٣١) .
- (٢) انظر عبدالرحمن زكى - حكمدارو السودان - المجلة التاريخية  
المصرية - المجلد الأول ١٩٤٨م (ص ٤٢٨) .
- (٣) انظر د. شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل (٥٠/٢) .

يسمع ويرى فيحذرون فيما يفعلون كل الحذر<sup>(١)</sup>.

وقد تم في عهد أحمد باشا فتح التاكة واخضاع الاقليم الشرقى وزيارة محمد على للسودان .

#### زيارة محمد على للسودان :

بعد نحو عشرين عاماً تقريباً من امتداد الادارة المصرية الى السودان . قام محمد على باشا في أكتوبر سنة ١٨٣٨م برحلة الى السودان وكان عمره اذاك سبعين عاماً تقريباً، وقد تحمل في هذه الرحلة الكثير من المشقات والصعاب وكاد يهلك غرقاً في النيل بسبب انكسار سفينته .<sup>(٢)</sup>

وقد نشرت جريدة الوقائع المصرية نص تقرير هذه الرحلة .<sup>(٣)</sup>

هذا وقد اختلف المؤرخون في أهداف هذه الرحلة إذ يرى محمد فؤاد شكرى أن محمد على باشا عندما فتح السودان كان يستند الى نظرية "الخلو" بمعنى أن محمد على عندما فتح السودان كان السودان خالياً من تبعيته لأية سلطة وعليه كان غرض الباشا من رحلته اذاعة نظرية الخلو والاستناد عليها في صون وحدة وادى النيل ، أى بقاء شطريته

- 
- (١) نعوم شقير - تاريخ السودان - مرجع سابق (ص ٢٢٠) .
  - (٢) انظر شوقى الجمل - تاريخ سودان وادى النيل (٥٢/٢) .
  - (٣) عدد رقم ٦١٨، صدرت بالاسكندرية في ٦ صفر ١٢٥٥هـ الموافق ٢١ أبريل ١٨٣٩م . انظر د. محمد فؤاد شكرى - مجلة كلية آداب القاهرة العدد الثامن المجلد الثانى (ص ٤٤) وهذا النص موجود في مركز أبحاث تاريخ مصر المعاصر، عملية السودان ، رحلة ساكن الجنان مولانا الكبير محمد على الى السودان - مترجمة عن وثيقة تركية - محفوظة في ملف المتفرقات من المحفظة نمرة ١٢٣ عابدين . انظر د. حسن أحمد ابراهيم - رحلة محمد على باشا الى السودان ١٨٣٨ - ١٨٣٩م - كراسة رقم ١٥ معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية - جامعة الخرطوم (ص ٣٢) .

(١)

مصر والسودان فى نظام سياسى واحد .

على أن معظم المؤرخين يرون أن محمد على فى هذا العام كان يمسر بأزمة مالية حاده دفعته إلى البحث عن مصادر ذات عائد سريع . ولمَّا كانت له محاولات لاستخراج الذهب فى السودان فقد قام بهذه الرحلة ليكشف بنفسه على هذا الموضوع .<sup>(٢)</sup> ويدل على شبيكة على أزمة محمد على المالية بأن جيوش محمد على كانت تحتل سوريا منذ ثمان سنوات وتضخمت المصروفات دون أن توازن بما يعادلها من إيرادات ولذا كان الباشا يلح على أحمد باشا حاكم السودان فى إرسال الصمغ ليفرج بعض الشئ من الضائقة المالية . ولما طلب أحمد باشا ربط مرتبات لمشايخ القبائل والقرى أبدى الباشا اعتراضه دون أن يمنعه منعاً باتاً . وأخيراً فكَّر فى الاهتمام بأمر المعدن ورأى أن يقوم برحلة إلى السودان خصيصاً لهذا الغرض . وطلب أولاً أن يأتى إلى مصر مصطفى بك الذى كان مشرفاً على شئون المعدن وسافر بالفعل بمعية خورشيد<sup>(٣)</sup> .

ولعل محمد على باستدعائه للمشرف على شئون المعدن أراد أن يأخذ تقريراً قبل سفره .

وتقرير الرحلة يؤكد على الغرض الذى من أجله قامت إذ يقول :

" ويتضح من هذا أن معدن الذهب موجود بالفعل فى هذه البلاد ولهذا اعتزم جنابنا العالى زيارة السودان لما فى هذه السياحة من مبررات حسنة . وقرر الوصول إلى حقيقة هذا التبر" .<sup>(٤)</sup>

(١) د. محمد فؤاد شكرى - مصر والسودان، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر - القاهرة ١٩٥٨م (ص ١٢) . والغريب أن الدكتور شكرى نفسه ينقل عن محمد على فى موضع آخر أن هدف رحلته الحصول على المال حتى يتمكن من إرضاء الباب العالي أو الانفصال عنه . انظر مجلة آدب القاهرة - الجزء الثامن - المجلد الثانى (ص ٣٥ - ٣٦) .

(٢) انظر المؤرخون شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل (٢/٥٣، ٥٢)، نعوم شقير - تاريخ السودان (ص ٢٢)، مكى شبيكة - السودان عبر القرون (ص ١٣٤)، د. حسن أحمد إبراهيم - رحلة محمد على باشا إلى السودان (ص ١٤) .

(٣) انظر مكى شبيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١٣٤) .

(٤) د. حسن أحمد إبراهيم - رحلة محمد على باشا إلى السودان - مرجع سابق



كذلك قابل محمد على فى رحلته هذه المشايخ المحليين فقد استقبل الشيخ عبدالقادر الزين والشيخ راديس ولد عدلان شيخ الهمج والشيخ أحمد أبو سن شيخ الشكرية وسائر مشايخ العربان والقرى فقابلهم بالبشر والايناس وأمر لهم بالكس على حسب رتبهم .

تبين لمحمد على من خلال لقاءاته مع الأهالى والحكام استغلال كثير من الموظفين لسلطتهم من أجل الاثراء والاتجار فى الرقيق إلى حد أن ارتفعت الأصوات بالشكوى منهم . فألغى محمد على منصب الحكمدار وجعل أحمد باشا مديراً للخرطوم وسنار والجزيرة وجعله كما جعل بقية المديرين يتصلون به فى القاهرة رأساً فى كل أمر من أموره كى يأخذهم بالشده والحزم وجعل الحكمدار لايزيد من كونه منظماً للعمل بين المديرين .

كما عمل محمد على على القضاء على أسباب الاستياء بتقنين سلطة الحكام والمأمورين، وعزل من ثبت عليه سوء ادارته، كما فعل حين عزل حاكم كردفان وهيئة أركان حربه وعدداً من الكتبة وقدمهم جميعاً إلى المحاكمة وصودرت أملاكهم ، كما أفهم الباقين أن خطة الحكومة ترمى إلى التقدم بهذه البلاد وأهلها نحو الحكم الصالح ، فأوصاهم بتكريم شيوخ السودان ورؤسائه الذين قلدهم الأوسمة والبسهم كساوى التشريفه وقربهم إلى مجلس الحاكم واستمع إلى آرائهم وطلب منهم النصح فى كثير من الأمور، فكان ذلك سبباً فى اختفاء كثير من أسباب الشكوى .

وصل محمد على إلى مناطق فازوغلى فى ١٨ يناير ١٨٣٩م بصحبة الحكمدار أحمد باشا وهناك أنشأ مدينة عرفت بمدينة محمد على كانت عبارة عن معسكر متكامل بغرض التنجيم عن الذهب . وقد بنيت فى هذه المدينة مساكن العمال وشيدت المستشفيات وثكنات الجند وقصر محمد على .

- 
- (١) انظر نعيم شكير - تاريخ السودان - مرجع سابق (ص ٢٢١) .
  - (٢) انظر د. زاهر رياض - السودان المعاصر - مرجع سابق (ص ٦٦) .
  - (٣) انظر المرجع السابق (ص ٧١)، د. جلال يحيى - مصر الأفريقية - مرجع سابق (ص ٣٧) .
  - (٤) انظر د. مكى شيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١٣٥) .

وبعد أن شاهد محمد على العمليات الأولى لتصفية وصهر المعادن قفل راجعاً من فازوغلى إلى الخرطوم التى أقام بها أياماً قليلة ، ثم عاد إلى مصر عن طريق صحراء النوبة من أى حمل إلى وادى حلفا فى مارس سنة ١٨٣٩م وقضى فى رحلته خمسة أشهر (١) .

#### — فتح التاكة :

بعد سفر محمد على إلى القاهرة فكر أحمد باشا فى توسيع رقعة إدارته بأن يفتح بلاد التاكة الغنية بمواردها ، فتجهز لذلك وسار بجيشه إلى شندى ومنها إلى فوز رجب فخضعت له بعض القرى وتقدم فى هذا الاقليم الشرقى ولم يجد مقاومة إلا من قبائل الهدندوة التى قاتلت الجيش ولكنهم طلبوا الصلح والمفاوضة فتم لهم ذلك (٢) وأقام معسكره فى المنطقة التى عرفت فيما بعد بمدينة كسلا التى أنشأ فيها الاستحكامات وشيد بها مبانى لمقر الحكومة وكانت هذه هى بداية تأسيس مدينة كسلا التى أصبحت عاصمة الاقليم الشرقى فيما بعد (٣) .

وقد دهش أحمد باشا لخصوبة الأراضى حول كسلا التى يروىها نهر القاشى وبنى سداً يحول المياه نحو أراضى جديدة حتى تجف الغابات التى كانت تروىها هذه المياه حتى لا تكون كميناً طبيعياً للعربان الخارجين على سلطة الحكومة ووجد أن الأهالى يستخدمون أنواعاً من السدود ويزرعون القطن والذرة . ومن الأقاليم التى بسط أحمد باشا سيطرته عليها رتب مديرية جعل كسلا عاصمة لها .

- 
- (١) عبدالرحمن الرافعى ، عصر محمد على : مرجع سابق ص ١٩٢ . ويذكر الرافعى ان البحث عن الذهب لم يفضالى نتيجة ترضى محمد على .  
 (٢) انظر د . مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، مرجع سابق ص ١٣٦ .  
 (٣) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ، مرجع سابق ص ٢٢٢ .

وبعد أن أقام شهراً ترك بها مديراً وحامية عسكرية ورجع إلى الخرطوم (١)

بعد فتح التاكة رسمت خارطة السودان وقسمت إلى سبع مديريات وهي  
فازوغل و سنار وكسلا وبربر ودنقلة وكردفان . وجعل قمنندان الجنود في  
كل مديرية مديراً عليها وجعلت الخرطوم مركز السودان ومقر الحاكم العام (٢) .

بدأت الاشاعات حول نية أحمد باشا أبوودان في الانفصال بالسودان عن  
مصر وذكرت تلك الاشاعات أنه بدأ يكتب سلطان تركيا بذلك فأرسل له محمد علي  
عدة خطابات لكي يأتي إلى القاهرة ولكنه تباطأ مما أزعج محمد علي فأرسل  
له قوة من الجيش ولكن أبوودان مات فجأة وقيل أنه مات مسموماً حتى اضطر  
محمد علي أن ينفى عن نفسه تهمة قتله وذلك حين قال لورثته " والله  
العظيم وبالله الكريم أننى لا أحمل في نفسى للبasha المرحوم شيء من  
السخط ولا أشك في إخلاصه وإنى لأقدر مبلغ جهوده وقيمة خدماته وأعرف ما كان  
يكنه لى من المودة والولاء وأنا واثق من ذلك " (٣) .

وبوفاته تضعف حال الحكمدارية واختل نظامها واستغل كل مديـــــر  
بمديريته وصار يفعل فيها ما يشاء (٤) .

لقد هذا أحمد باشا حور خورشيد باشا فأحسن السيرة بين الأهالى  
وحبب فيه الأمراء ورؤساء القبائل من السودانين وأتم عمل خورشيد باشا  
في تعمير مدينة الخرطوم وتنظيم المديريات وضم العرب الرحل الصناريين  
في أوديتها وبذلك انتظمت ادارتها وجلب من مصر كثيراً من الحيوانات

(١) انظر مكى شيكة : تاريخ السودان عبر القرون ، ص ١٣٧ .

(٢) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان ص ٢٢٣ ومحمد مبرى : الامبراطورية  
السودانية في القرن التاسع عشر ص ١٤ .

(٣) مكى شيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٣٧ .

(٤) نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ١٢٣ .

والنباتات النافعة فتحسنت الزراعة وارتقت شئونها ونشطت الصناعة فـ في ترسانة الخرطوم واستكثر من السفن الاميرية في النيل وزاد من طرق المواصلات فاستسعت حركة التجارة والمعاملات بين مصر والسودان والبلاد القاصية في اواسط افريقيا ، وصارت الخرطوم ملتقى المتاجر وكثر ورود التبـ وريش النعام والعاج والصمغ اليها (١) .

دفن أحمد باشا في الخرطوم وخلفه في ادارة السودان أحمد باشا المنكلى .

#### — ادارة أحمد باشا المنكلى : (٢)

بموت أحمد باشا أبو ودان انتهى عهد الحكم داريين العظام فـ في السودان ، ولم يفكر محمد على في تعيين حاكم قوى الشخصية حتى لاتحدثه نفسه بالانفصال بالسودان عن ادارة محمد على (٣) . ولذلك نجد محمد على يلجأ إلى نظام اللامركزية حيث نجده قد عين أحمد باشا المنكلى منظمًا للسودان لاحكامداراً إذ جعل مهمته تنحصر في تنظيم عمل المديرين الذين أصبحوا يتصلون بالقاهرة مباشرة . وكان محمد على قد أصدر امره بتعيين اللواء حسن باشا لمديرية دنقله التي وسعت حدودها حتى المتممة وشندى وأمين باشا للجهات العليا من السودان وهي التي تبدا من المقمة وشندى وتشمل الخرطوم والنيل الأبيض والجزيرة حتى ود مدنى والأقسام الشرقية للنيل الأزرق وسليمان باشا لمديرية سنا بـ وهي مايلي ود مدنى جنوباً من الجزيرة حتى حدود فارو على وشرق النيل الأزرق كأقسام القصارف ورشاد وأرض العطيش والقلايات وسليم باشا لمديرية فارو على وهي اكمال النيل الأزرق وفرهاد باشا لمديرية التاكة ومصطفى

(١) انظر عبدالرحمن الرافعى - عصر محمد على - مرجع سابق ص ١٩١ .

(٢) أحمد باشا المنكلى من قادة الجيش المصرى في بلاد الشام والحجاز

بتركيا كما شغل منصب ناظر الجهادية بمصر ثم بعد ذلك أصبح حاكماً

على السودان . أصيب بمرض الروماتيزم وتوفى بمصر في مارس سنة ١٨٦٢م

ودفن بالامام الشافعى . انظر عبدالرحمن زكى - حكام داروا السودان -

المجلة التاريخية المصرية . المجلد الأول ١٩٤٨م ص ٤٣١-٤٣٢ .

(٣) انظر مكى شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١١٧ .

باشا لمديرية كردفان (١) .

وكانت وظيفة المنظم هي التنسيق بين عمل هؤلاء المديرين وتوزيع العساكر على مديرياتهم وكذلك توزيع الكتب والموظفين والمساعدة في استتباب الامن وكان محمد على يستبشر خيراً بالنظام الجديد ويقر بأن من كانوا يحكمون البلاد قبل هذا النظام وخاصة في المديريات لم يكونوا من ذوي الكفاءة والمقدرة ويقول للمنظم في احدى مكاتباته أن بلاد السودان من البلاد التي تدر الكثير من الخيرات غير أن الذين عينوا لادارة مختلف جهاتها حتى الآن لم يكونوا من طراز اللوآات الذين اختيروا أخيراً لتولى شئونها ولذا لم تتقدم البلاد السودانية وظلت في حاجة إلى الادارة الرشيدة الحازمة " (٢) .

لم تكن مهمة المتكلى بالمهمة السهلة ولا كان النظام الجديد بالنظام المفيد كما توقع محمد على . فقد بادره المديريون بعدم الطاعة والانقياد لأوامره لعلمهم أنه ليس حكمداراً ولاسلطة له عليهم وكانوا يتمثلون بالقاهرة مباشرة . وأصبحوا مستقلين بمديرياتهم خاصة مدير الخرطوم الذي أعلت للأهالي أنه الحاكم والمتصرف ولاسلطة فوقه فاذا تقدم الأهالي بعرائض شكواهم إلى المتكلى وحولها المتكلى إليه قام هو بالتنكيل بالأهالي لأنهم تجاوزوه . وبلغ من غضب المتكلى على مدير الخرطوم أن شكاه في مكتابة طويلة إلى الباشا (٣) . ويبدو أن محمد على قد أدرك أن الأحوال في السودان لا يمكن أن تصلح إلا بعودة الحكمدارية . ولكن من ينتخب لهذا المنصب يجب ألا يكون في قوة ومطامع أحمد باشا أبو ودان .

(١) المرجع السابق ص ١٣٨ .

(٢) دفتر ٦٣٩ معية تركي وشيقة رقم ٣٥٣٧ بتاريخ ٢٤ ذى القعدة ١٢٥٩ هـ نقلاً

عن مكى شبيكة: السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٣٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٠ .

على الرغم من ان أحمد باشا المتكلى كان لا يتمتع بسلطات واسعة إلا أنه استطاع أن يقضى على ثورة أهالى التاكة وجنودها الذين شاروا لسوء ادارة الموظفين وعدم كفاءتهم اضافة الى تأخير مرتباتهم لأكثر من ستة أشهر. حيث جدد المتكلى جيشاً كبيراً وسار لقتالهم ومعه الأرباب محمد دفع الله والشيخ عبدالقادر النزين والشيخ أحمد أبوسلف كبير الشكرية فأسر رؤوس العمدة وعاد بهم إلى الخرطوم حيث تم اعدامهم (١) .

امتازت فترة المتكلى فى السودان بالاهتمام الزائد بترحيل المواشى من كردفان والنيل الأبيض لمصر وكانت ترد المكاتبات من مصر ملحة بضرورة ارسالها وجهرت لها محطات على النيل ميتدثة من الترعة الخضراء (٢) على النيل الأبيض ومنتهية بأسوان وعددها خمس وتسعون محطة . كما نشطت فى عهده حركة التجارة بالمراكب فى النيل الأبيض . ورأى المتكلى أن تحتكر الحكومة التجارة فى سن الفيل والريش وهى التجارة التى تأتى من جنوب السودان ، بدلاً من أن تترك للأجانب ولكن محمد على خشى أن يفسر هذا الاحتكار بأنّه تعدياً على الامتيازات التى يتمتع بها الأجانب فى ممتلكات الدولة العثمانية . (٣)

كما نلاحظ فى فترة المتكلى ورود المكاتبات من مصر بارسال بذرة القطن المزروع فى السودان إلى القاهرة . كما اهتمت ادارة كردفان برفاهية الأهالى وحمايتهم من الآفات الزراعية حيث أنها جندت العساكر والأهليين لمقاومة خطر الجراد وابطادته .

(١) انظر نعيم شكير - تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٢٣ .

(٢) الترعة الخضراء ترعة بدأ الخديو محمد سعيد فى حفرها فى النيل الأبيض إلى كردفان ولكن توقف العمل فى حفرها . انظر محمود طلعت : غرايب

الزمان فى فتح بلاد السودان مطبعة الاسلام بمصر ١٣١٤ هـ ص ٣٣ .

(٣) انظر مكى شيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٤١ .

حاول المتكلى التخفيف عن المواطنين حيث طلب من محمد على تخفيض الضرائب المربوطة على الأهالى ، ولكن الباشا رد عليه بقوله : " يا أحمد هل مرادك أن اتخلى عن بلاد السودان باستئذانك منى بالتجاوز عن تلك المقادير من النقود من المديرية المذكورة من غير موازنة يدعى أن الوارد لايقوم بالمنصرف أم تريد أن تتظاهر بانك مخلص فى عبوديتك ؟ اجمع الباشوات المديرين واعمل معهم مقايسة بين كل مديرية مصرفاً ووارداً بعد تنزيل ما أردت تنزيله فان كان الوارد يغطى المنصرف فيكون ذلك التنزيل فى محله وأما إذا كان الوارد أقل فانظر فى صورة حسنة توجد لها للموافقة بين المنصرف والوارد وأخبرنى بها " (١) .

عموماً كانت الادارة فى هذه الفترة رشيدة لابس بها سوى مظاهر من اختلافات ومشاكسات بين الحكام أنفسهم .

بقى أحمد باشا المتكلى فى الخرطوم الى اواخر سنة ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥م ثم عاد الى مصر ومعه الأوياب محمد دفع الله والشيخ عبدالقادر الزين فأنزلهما محمد على باشا فى المسافرين خانة وأمر باكرامهما وبعد ثلاثة أيام طلبهما وكلمهما بلا واسطة فأعجب بذكاء الشيخ عبدالقادر وفصاحته وقال : " ماكنت أظن أن بلاداً ليس فيها شيء من أسباب التمدن والتهديب كبلاد السودان يخرج منها مثل هذا الرجل " (٢) . وأمر له بنيشان وعين لضيافته ياوراً فطاف بهما فى جميع دواوين الحكومة والأماكن المشهورة فى مصر (٣) .

- 
- (١) دفتر رقم ٣٧٦ صادر عن ديوان المعية وثيقة رقم ٢٨٧٧ بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٦٠ هـ نقلا عن المصدر السابق ص ١٤٠ .
- (٢) نعوم شقير - تاريخ السودان . مرجع سابق ص ١٢٣ .
- (٣) انظر محمد صبرى : الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ، مرجع سابق ص ١٥ .

- حكمدارية خالد باشا : (١)

بعد تجربة المنظم ونظام اللامركزية أرجع محمد علي نظام الحكمدارية فعين خالد باشا خسرو حكمداراً على السودان وأكد ذلك في فرمان تعيينه الذي بعث به إلى المديرين والقضاة والعلماء والنظار والمشايخ ، وكان الحكمدار الجديد ورعاً تقياً هادئ النفس ولكنه ليس على غرار خورشيد باشا وأحمد باشا أبوودان من حيث القوة والكفاءة . (٢)

في محرم سنة ١٢٦١ هـ الموافق يناير سنة ١٨٤٦ م حضر إلى الخرطوم الحكمدار الجديد ومعه الأمير باب محمد دفع الله والشيخ عبد القادر الزين الذين كانا في زيارة إلى مصر كما سبق أن ذكر وكذلك حضر معه الشيخ الهيثمي قاضياً على السودان (٣) .

والظاهر أن محمد علي في هذه المرة بث عيونه وأرصاده كما يقول أحد الباحثين وذلك ليرى مسلك الحكمدار الجديد فكانت النغمة الغالبة في مكاتباته للحكمدار هي بلغنا واتمّل بنا (٤) .

بعد تأسيس مديرية كسلا كان عربانها يهربون إلى سواكن ومصوع اللتين كانتا تحت السيادة العثمانية وذلك فراراً من دفع الضرائب أو أي التزامات حكومية أخرى فرأى محمد علي أن يطلب من الباب العالي ضم سواكن ومصوع إلى ممتلكاته في السودان نظير مبلغ من المال يدفع سنوياً إلى خزينة جده فوافقت حكومة الاستانة على ذلك (٥) .

---

(١) خالد باشا خسرو من استانبول ويحتمل أن يكون تركياً بالرغم من أن البعض يرون أن جنسيته يونانية . يعرف في السودان بأبي عهود

Hill, Richard - *Egypt in the Sudan* - op cit p. 82.

(٢) انظر د. مكي شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٢٠ .

(٣) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ١٢٣ .

(٤) انظر د. مكي شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٤٢ .

(٥) انظر: محمد صالح فرار : تاريخ سواكن والبحر الأحمر . الدار السودانية

للكتب . الطبعة الاولى ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م - ص ٥٨ .



تجدد كذلك فى عهد حكمدارية خالد باشا الاهتمام بالذهب ثانية حيث وصلت تقارير تفيد أن منطقة شيو فى جبال النوبة بهامى الذهب بمقادير عظيمة ويزيد فى جودته على ذهب قازوغلى فجهزت الحملات العسكرية لتوسيع ممتلكات الحكومة فى المناطق التى يظن وجود الذهب بها فى جبال النوبة وأرسل عدد كبير من الأسطوانات وآلات استخراج الذهب وتصفيته وسبكها مع عدد من المهندسين والأطباء والكتّاب والمحاسبين وذلك من أجل الحصول على هذا المعدن النفيس (١) .

قضى خالد باشا أكثر مدته فى الأسفار فذهب إلى التاكة ثم عاد منها إلى جبال قازوغلى ومنها إلى كردفان ليشرف على استخراج الذهب (٢) .

فى هذه الفترة تدهورت صحة محمد على باشا لما أصاب مصر من الأوبئة ولم يعد قادراً على القيام بمهامه فتولاها ابنه الأكبر ابراهيم باشا فى منتصف سنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨م وكان ابراهيم نفسه مريضاً فاشتد عليه المرض بغتة وتوفى فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨م فتولى زمام الأمور عباس باشا بن طوسون ابن محمد على. وفى ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩م توفى محمد على بعد أن أسس لأبنائه دولة عظيمة استمرت حتى قيام الثورة المصرية فى ١٩٥٢م (٣) .

استمر خالد باشا حكمداراً على السودان حتى أوائل عهد عباس ولكن فى أواخر عهده " وجدت الفرصة أمام الموظفين الماليين الأقباط فى استغلال جهل رؤسائهم الأتراك للتعقيدات الحسابية ولم يوجد بذلك من يقف بينهم وبين الشعب السودانى لمنع الاستغلال والظلم وزاد الأمر سوءاً . موت محمد على سنة ١٨٤٩م فاختلف بموته ذلك المحرك الفعال المؤثر فى أحداث السودان" (٤) .

(١) انظر مكى شبيكه : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٤٣ .

(٢) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٢٤ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٢٤ .

(٤) د . ابراهيم شحاته حسن : مصر والسودان . مرجع سابق ص ١٠٨ .

### أهم منجزات ادارة محمد على :

حكم محمد على السودان حوالى تسعة وعشرين عاماً كانت السنـوات الست الأولى منها فى الفتح غير مستقرة وقد تمكنت هذه الادارة من احراز بعض النجاحات فى بعض المجالات نذكر منها :

أولاً : العمارة وتأسيس المدن :

أ - مدينة الخرطوم :

يقول المؤلف الفرنسى مسيو ديهيران فى كتابه السودان المصرى فى عهد محمد على : " إن المصريين حينما فتحوا السودان لم يختاروا بلدة من بلاده القائمة مثل بربر أو سنار أو الأبيض عاصمة لأملأهم بل أنشأوا عاصمة جديدة هى الخرطوم ولم يكن فى مكانها قبل الفتح المصرى سوى محلة صغيرة للميادين تتكون من عدد من البيوت المبنية من القش والطين وكانت شوارعها عبارة عن حواري ضيقة وبحالة قذرة بسبب تراكم أكوام القمامة التى يتكاثـر عليها الذباب والبعوض ، وكان يسكنها عدد قليل من السكان " (١) . وفى سنة ١٨٢٢م أسس بها معسكر ثابت للجند . وفى سنة ١٨٣٠ اتخذها خورشيد باشا مقراً للحكم بعد أن سبقه إليها عثمان باشا جركس . فصارت الخرطوم منذ ذلك الحين عاصمة السودان . وقد تم اختيار هذا الموقع لأهميته الاستراتيجية حيث يلتقى النيلان الأبيض والأزرق وهو موقع وسط بالنسبة للسودان . كما أنها فى ملتقى الطرق بين مصر وأفريقيا . وقد أقيمت فيها العماء والمباني منذ انشائها وأهمها سراى الحكومة التى كانت مبنية بالطوب الأحمر ومؤلفة من دورين وكانت فخمة المنظر . وسراى مديرية الخرطوم مقر مدير المديرية والموظفين ومسجدان ، أحدهما كبير بناه خورشيد والآخر صغير أقيم من بعده . كما كانت بهـا

---

(١) هرست - النيل - ترجمة احمد الشربيني ص ٢٨٤ نقلًا عن السيد يوسف نصر الوجود المصرى فى إفريقيا . مرجع سابق ص ١١٤ .

دار لاحتى البعثات الدينية النصرانية أنشئت سنة ١٨٤٨م فى أواخر عهد محمد على . كما أنشئت بها ثكنة كبيرة للجنود فى شرق المدينة ومستشفى ومعمل للبارود تصنع فيه ذخائر الجيش ومخازن للمؤن والمهمات . كذلك كانت بها ترسانة كبيرة كانت تشمل مسبكاً للحديد ومعملًا للنجارة وفيها بنيت السفن النيلية التى أخذت تنقل الجنود والمتاجر على النيل ويتخلل تلك العماثر الكبيرة بهوت للسكن . وكان خورشيد باشا قد وزع الأخشاب ومواد البناء على السكان حتى يشيدوا منازلهم على طراز حديث (١) . وقد أكسب المدينة موقعها على النيل روعة وجمالاً كما زادها الحداثق التى أنشأها المصريون حولها رونقاً ونضرة وكانت هذه الحداثق كما ذكر بعض الكتاب تشغل مساحات واسعة من الأرض كما أنها موضع عناية القائمين بها . ولها منظر بديع وكان معظمها يحاذى النيل الأزرق ولا يفصلها عنه إلا رصيف ضيق وفيها كل ما تنبت الأرض من الخضرة والتين والبرتقال والليمون والموز والنخيل والدوم ويتألف من مجموعها منظر بهيج يدخل السرور فى نفوس القادمين (٢) .

وبعد تأسيس المدينة صارت ملتقى للتجارة القادمة من أنحاء السودان ، وباطن أفريقيا أو الواردة إليها من مصر والخارج فازدهر العمران فيها وصارت محطة تجارية عظيمة على مستوى أفريقيا . كما أنها صارت مركزاً للرحلات والاكتشافات الجغرافية والعلمية ومرسى للسفن النيلية التى تنتقل فى أنحاء النيل الأزرق والأبيض .

كما تزايد مع الزمن عدد سكانها فقد جاءها الناس من مختلف أنحاء السودان كسائر وبربر ودثقلة وشتدى وغيرها وقدموا إليها للتجارة كما أقام

(١) انظر الدكتور محمد ابراهيم ابوشليم : تاريخ الخرطوم ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٢ الثانية ١٩٧٩م ، ص ١٧-١٨ .

(٢) انظر ديهيران - السودان المصرى فى عهد محمد على ، ص ١٢٠ نقلاً عن : الرافعى : عصر محمد على ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

فيها الموظفون ورجال الجاوية وبلغ عدد سكانها في نهاية عصر محمد علي حوالى الثلاثين ألف نسمة (١)

ب - مدينة كسلا :

بعد فتح اقليم التاكة وضمه إلى أملاك الحكومة المصرية ففي السودان أنشأ أحمد باشا أبوودان حكمدار السودان في ذلك العهد مدينة كسلا وكان أغلب سكانها من المصريين وكانت محصنة بسور منيع من الحجارة وبه أبراج ومعدات الدفاع متوفرة في المدينة منذ انشائها (٢) .

وقد ذكر المسيو ديهيران أن مدينة كسلا أنشئت على عهد أحمد باشا وذلك أنه أثناء فتح التاكة اتخذ معسكره على نهر الفاش بسفح جبل كسلا ولما غادرها ترك بها حامية شايّة من الجنود فأقبل عليها الأهالي المجاورون واتخذوها موطناً لهم وبذلك تأسست مدينة كسلا التي تعتبر من أهم مدن السودان (٣) .

ج - مدينة محمد علي :

كذلك أنشئت مدينة محمد علي على النيل الأزرق سنة ١٨٤٠م في اقليم سنار على بعد ٢٥ ميلا جنوب الرميرص وجعلت عاصمة مديرية فازو غلى وقد بنى محمد علي باشا نحو خمسة أميال جنوبا قصراً ومعملاً لاستخراج الذهب (٤) وكانت أبعاد القصر هي ١٦ x ١٦ x ٨ أمتار أما أبعاد المستشفى فكانت ٦٠ متر طولاً وستة أمتار وكسور عرضاً وثلاثة أمتار ونصف ارتفاعاً . كما أنشئت شكنات للجنود المكلفين بحراسة تلك الجهات (٥) . وكان بها شونتتين ومبنى

(١) انظر د. السيد يوسف نصر : الوجود المصري في أفريقيا . مرجع سابق ص ١١٤ -

(٢) انظر ابراهيم فوزى : السودان بين يدي غردون وكتشتر - القاهرة ، ١٣١٩ هـ ص ٦٥ .

(٣) ديهيران السودان في عهد محمد علي نقلاً عن الرافعي . عصر محمد علي مرجع سابق ص ١٩٦ .

(٤) انظر عبد الرحمن الرافعي . عصر محمد علي ص ١٩٦ .

(٥) د. السيد يوسف نصر : الوثائق التاريخية للسياسة المصرية في أفريقيا في القرن التاسع عشر . دار المعارف ط ١٠ الأولى ١٩٨٠م ص ٩٨ - ٩٩ .

للجبخانة وديوان على شاطئ النيل الأزرق كما حفر بها بئران ولكن هـــــ  
المدينة لم تعمّر إذ أنّها هجرت بمجرد وقف أعمال التنقيب عن الذهب ولكن بقيت  
آثارها حتى اليوم (١) .

### - حفر الآبار :

قامت الادارة المصرية فى السودان بحفر عدد من الآبار فى عهد  
الحكمдар محو بك وفى عهد أخرى . والغرض من حفر هذه الآبار هو توفير مياه  
الشرب فى المناطق البعيدة عن مصادر المياه وخاصة فى المنطقة الواقعة بين  
كورسكو وأبو حمد . وقد بدأ الحفر فى هذا الآبار منذ سنة ١٨٤٠م وكان محمد على  
قد عين البكباشي (٢) محمد أفندى للإشراف على حفر هذه الآبار بعد أن زوده بعدد من  
القرى بلغ حوالى ٦٤ قرية من الحجم الصغير وستة قرب من الحجم الكبير بالإضافة  
الى تزويد البعثة بما يلزمها من مؤن وخلافه (٣) .

وكان من المهندسين الأجانب الذين عينوا فى هذه البعثة المهندس ايموبك  
الذى رفض السفر مع البعثة بحجة أنّه يعمل فى منجم الفحم فى السودان ولكن  
لما عهد محمد على بذلك أصدر أمره إلى مجلس الشورى لى يعين مهندساً غيره  
فاختير المهندس حافظ أفندى ومعه رزق الحتاني خبير حفر الآبار والذى صرف له  
مقدماً مرتب شهرين زيادة على حصوله على يومية قدرها ستة قروش (٤) .

(١) د . حسن أحمد ابراهيم . رحلة محمد على باشا إلى السودان . مرجع سابق ص ١١ .

(٢) ينباشى او بكباشى كلمة تركية مركبة وتعنى رأس الألف وهى رتبة  
عسكرية عثمانية استبدلت بها الآن كلمة مقدم . انظر د . احمد السيد  
سليمان تاصيل ماورد فى تباريخ الجبرتي من الدخيل ص ٤٤ .

(٣) دفتر ٢٠٩ معاونة اقاليم وثيقة ٦٩٨ فى ١٧ رجب ١٢٥٦ نقلًا عن الوجود  
المصرى فى أفريقيا ص ١١٢ .

(٤) دفتر ٢١٠ صادر ديوان المعاونة وثيقة ١٤١٩ فى ٢٠ جمادى الاولى سنة ١٢٥٩  
الموافق ١٨٤٣م .

كان محمد على يتابع سير العمل فى حفر الآبار فكان يسأل من وقت لآخر عن عدد الآبار التى تم حفرها وعن المسافة التى تقع بين كل بئر والأخرى وكان يبحث رئيس البعثة أن ينجز حفر هذه الآبار فى وقت قصير (١) .

لم يقف محمد على عند حفر الآبار فقط بل نجده يصور أو امره فى سنة ١٨٤٣م إلى ديوان المدارس يطلب منه حفر قناة فى طريق العتومور الكائن بين كورسكو وأبو حمد وقد أسند ديوان المدارس هذه المهمة إلى المهندس دارنو الذى اصطحب معه كلا من المهندس محمد سليمان وعبد الرحمن عمر وهما من مدرسة الهندسة . وقد زود أعضاء هذه البعثة بالأدوات والمهمات اللازمة لعملية الحفر . وكان قد صرف مقدماً لدارنو جميع مرتباته بالإضافة إلى تخصيص ذهبية لكى تنقله من القاهرة إلى أسوان ومن هناك يركبون الجمال إلى مواقع العمل (٢) .

هذا ولم يقتصر حفر الآبار على منطقة كورسكو وأبو حمد فقط بل امتد إلى المنطقة الواقعة بين سواكن وبربر وذلك بحفر عدد آخر من الآبار وقد عين للكشف عن هذه المنطقة اليوزباشى أحمد أفندى الذى كان برفقته حسن خليل شيخ قبائل العبابدة وكان الغرض من إرسال هذه البعثة هو معرفة المناطق التى يمكن حفر الآبار فيها (٣) .

#### — الأمن ووحدة البلاد :

لعل من أعظم انجازات إدارة محمد على أنه أعطى للسودانيين حكومة مركزية موحدة بسطت سلطانها وقانونها على مساحة واسعة من البلاد وهى وإن لم تكن حكومة مستبدة عادلة إلا أنها وضعت الأسس الأولى لتوحيد السودان من الناحية

(١) دفتر ٣٢١ المعاونة وثيقة ١٥٤٢ فى ٨ ربيع ١٣٥٩ نقلا عن الوجود المصرى

فى إفريقيا ص ١١٦ .

(٢) دفتر ٢٨٩ ديان المعاونة وثيقة ١٦٢٨ فى ٢٨ جمادى الثانى ١٢٥٩ هـ نقلا عن

الوجود المصرى فى إفريقيا ص ١١٦ .

(٣) دفتر ٢٠٩ معاونة اقاليم وثيقة ٣٩٤ فى غرة ربيع الثانى ١٢٥٩ هـ نفس المرجع

والصفحة السابقة .

القومية والادارية والمالية والقانونية ، فقوضت بذلك أركان الممالك الصغيرة التى تقسم البلاد وتضعفها ، ووضعت نظاماً أحدث على كل حال ممّا كانت عليه السلطنة الزرقاء . وباخضاع القبائل السودانية إلى حكمية استطاع محمد على أن يقضى كذلك على الحروب الاهلية التى كانت تقوم بين القبائل بل بين العشائر المختلفة من القبيلة الواحدة" (١) .

وقد تحدث عن إستتباب الأمن فى الديار السودانية فى الفترة المشار اليها عدد من الرحالة الذين زاروا البلاد كما سبقت الإشارة الى ذلك (٢) .

#### - الرحلات الكشفية :

اهتم محمد على بالرحلات العلمية لاكتشاف أصفاء السودان النائية وبذل مجهوداته فى الكشف عن منابع النيل وتشجيع الباحثين والعلماء حتى صارت الخرطوم مركزاً للرحلات الجغرافية بغرض الكشف عن منابع النيل وأواسط أفريقيا (٣) ولما عاد محمد على من رحلته إلى السودان تولى بنفسه تنظيم الحملات والرحلات البعيدة المدى للكشف عن منابع النيل ، فأرسل البكباشى سليم بك قبطان فى ثلاث حملات متعاقبة كانت موضع إعجاب علماء الجغرافيا ورواد الاكتشاف حتى أن المسيو ديهيران الفرنسى قد قال " إن محمد على بانفاذه الرحلات والبعثات لاكتشاف منابع النيل قد حقق الأمل الذى كان يطمح اليه علماء الجغرافية وكافة رجال العلم فى عصره " (٤) .

بدأت الحملة الأولى لاكتشاف منابع النيل سنة ١٨٣٨م فقد طلب محمد على من حكام السودان أن يعدّ عدداً من المراكب اللازمة لنقل الجنود الذين يقومون

(١) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٦٦ .

(٢) انظر شوقى الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ج ٢ ، ص ٥٠ .

(٣) انظر الرافعى : عصر محمد على . مرجع سابق ص ٢٠٠ .

(٤) المرجع السابق ونفس الصفحة .

بالكشف عن منابع النيل ويتضح ذلك من خطابه الذى جاء فيه " لقد صدر الأمر  
العالى بتجهيز الذهبيات الثلاث التى ستقوم الى البحر الأبيض ( النيل الأبيض )  
مزودين بمدفعين خفيفين لاستعمالهما ضد اللصوص وقطاع الطرق فينبغى لذا تكتم  
الكريمة أن تنتخبوا ستة مدافع متينة جداً من هذا النوع بكافة مهماتها  
وقذائفها وأن تكون سليمة من كل غيب وخلل بحيث يتم ذلك بمعرفة القميودان:  
سليم الذى سيأتى من أجل السفر الى النيل الأبيض نظراً لان المسافة التى ستقطعها  
هذه الذهبيات طويلة (١) .

أما الحملة الثانية فقد غادرت الخرطوم فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٤٠م لاكمال  
مباداته الحملة الاولى التى كانت قد وصلت الى جزيرة جانكير عند خط العرض  
٤٢ ، ٤٤ ولم تستطع المسير نحو الجنوب أبعد من ذلك .

أما الحملة الثالثة فقد غادرت الخرطوم فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤١م ولكتها  
لم تحرز نجاحا يذكر إذ أنها عادت من نفس الموقع الذى عادت منه الحملة  
السابقة .

وكان من أهم نتائج هذه الحملات الثلاث أنها ألقت الضوء على القبائل الزنجية  
التي تقطن المنطقة الممتدة على طول النهر ابتداءً من الخرطوم وحتى جزيرة  
جانكير زيادة على ذلك فأُنْهذه الحملات الثلاث تمكنت من ربط شمال السودان  
بجنوبه وفتحت الطريق أمام تجارة الجنوب لتتجه نحو الشمال وبالعكس  
كما أنها مكنت الاوربيون من التوغل الى قلب افريقيا (٢) .

وهذه الاكتشافات كما يشير الرافعى قد مهدت السبيل للرحلات التى جاءت  
من بعد الى أن تم اكتشاف منابع النيل . فلا نزاع فى أن الرحلات والحمـلات

(١) دفتر ٣٠٢ معاونة الجهادية وثيقة ٣١٠ فى ٣ جمادى الاخرة سنة ١٢٥٤ هـ الموافق  
١٨٣٨م نقلًا عن د. السيد يوسف نصر : الوجود المصرى فى افريقيا . مرجع سابق  
ص ١١٧ .

(٢) انظر د. السيد يوسف نصر . المرجع السابق ص ١١٩-١٢٠ .





الجانب السلبي الآخر في هذه الإدارة هو فساد الموظفين الذين غلب عليهم الطمع " فقد كانوا آفة الإدارة في السودان إذ كان شغلهم الشاغل هو الإشراف عن طريق الرشوة وابتزاز الأموال من السكان واحتكار بعض التجارة لأنفسهم والاختلاس أحياناً . ولبعدهم عن القاهرة كانوا آمنين من أعين محمد علي وبذلك أدخلوا الفساد في الحكم إلى بلاد لم تعرف عن ذلك شيئاً من قبل بسبب بدائية نظامها الإداري السابق الذي لم يعرف الضرائب أو احتكار التجارة " (١).

#### — الحكم على الإدارة المصرية خلال عهد محمد علي :

اختلف حكم المؤرخين والباحثين على الإدارة المصرية في السودان اختلافًا متباينًا فبعضهم اعتبرها شرًا محضًا ولعل هؤلاء كانوا ينظرون إليها من خلال حملات الدفتر دار وفداحة الضرائب وسوء الإداريين . وبعض الباحثين غلب عليها صفة السوء مع ذكر بعض المحاسن " على أنه يجب أن يعترف بأن الحكم المصري التركي لم يكن شرًا كله بل كانت له حسنات في النظام التربوي وفي الإدارة والتنمية الاقتصادية " (٢) . وبعضهم اعتبر أن معظمها كان خيرًا (٣) . ومعظمهم ذكر السلبيات بجانب الإيجابيات (٤) وهؤلاء هم أصحاب النظرة الموضوعية من الكتاب والباحثين .

ولكن هناك حقائق هامة يجب أخذها في الاعتبار عند الحكم على هذه الإدارة ،

وهي :

١- لا ينتظر أن يحدث تغيير كامل في أحوال السودان بمجرد امتداد الإدارة المصرية

إليه وذلك للآتي :

أ- وجود استحالة مادية لأحداث تغيير شامل وذلك لبعد المسافات في

السودان .

(١) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٦٨ .

(٢) محمد أحمد محبوب : الديمقراطية في الميزان . دار النهار للنشر . بيروت ،

١٩٧٣ م ص ٢٤ .

(٣) كمشال على ذلك انظر : د . نسيم مقار : الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادي . مرجع سابق .

(٤) كمشال على ذلك انظر الدكتور رافت غنيمى الشيخ . مصر والسودان في العلاقات

الدولية . عالم الكتب ١٩٧٩ م ص ٩٠ وما بعدها .

- ب - انعدام وسائل المواصلات إلا القديم منها .
- ج - قيام حكومة واحدة يخضع لها الجميع أمر مفاجئ وجديد على المجتمع السوداني .
- د - هناك عادات متأصلة في هذا المجتمع تحتاج لعشرات السنين لاستئصالها كتجارة الرقيق مثلاً .
- ٢ - إن امتداد الإدارة المصرية للسودان وماتبه من استتباب للأمن أتاح الفرصة لزوار كثيرين للحضور للسودان فبدأوا يكتبون عن السودان ولذا ظهرت أشياء كثيرة قديمة قرنت خطأ بالحكومة الجديدة .
- ٣ - ارتبطت الإدارة في السودان بالإدارة في مصر فنظم الإدارة في السودان، نقلت من مصر والمديرون الذين أوفدتهم الحكومة المصرية للسودان تكونوا وتدريبوا في الإدارة المصرية .
- ٣ - البيئة السودانية كانت لها خواصها المختلفة عن البيئة المصرية ونذكر من أوجه الاختلاف مثلاً :
- أ - بعد المسافات وقيام عقبات مما يترتب عليه صعوبات خاصة في ذلك الزمن .
- ب - تنوع موارد معيشة السكان في السودان بعض الأقاليم زراعية وبعضها رعوى بينما في مصر نجد الزراعة والتجارة .
- ج - المجتمع السوداني في ذلك الوقت يقوم على العصبية القبليّة بينما في مصر نجد أنّ القبليات لا دور لها .
- د - الحكم الموحد في السودان جديد وغير مألوف بعكس مصر .
- هـ - الاقتصاد السوداني في ذلك الوقت اقتصاد بدائي قوامه التبادل بالسلع بينما التعامل في مصر بالنقود . (١)

---

(١) انظر د. شوقي الجمل : تاريخ السودان وادي النيل ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣١-٣٢ .

وأخيراً فإن كانت لنا كلمة يمكن أن تقال في خاتمة هذا الفصل هي —  
أن إدارة محمد علي في السودان كجهد بشري فيها السلبيات والايجابيات ولا يمكن  
أن تكون إلا كذلك مادام أنها جهد بشري .

...

# الفصل الثاني

النظام الإداري في السودان  
في الفترة من ١٨٤٩-١٨٦٣ م

### أولاً : النظام الإدارى فى عهد عباس الأول : (١)

ذكرت فى الفصل السابق أن إبراهيم باشا الابن الأكبر لمحمد على تولى الحكم فى حياة والده فى منتصف سنة ١٨٤٨م ولكن المرض اشتد عليه وتوفى فى نوفمبر سنة ١٨٤٨م وخلفه عباس الأول بن طوسون بن محمد على الذى كان غائباً فى مكة أثناء وفاة إبراهيم باشا .

اهتم عباس بحكم مصر وشغلته مشاكله مع أفراد أسرة محمد على عن الاهتمام بالسودان أو اكمال كشف منابع النيل التى كان جده محمد على قد بدأ فيها (٢) .

عندما تولى عباس مقاليد الحكم فى مصر كان الحكمدار فى السودان هو خالد باشا خسرو الذى يبدو أن عهده قد انتهى إلى عكس ما بدأ به فى بداية عهده وصفته المصادر والمراجع بالورع والتقوى ولكنه فى نهاية عهده حسب بعض هذه المراجع قد اتخذ منصبه أداة للغنى " ولم يكفه ما كان يأخذ من رشوة أو ابتزاز للأموال الناس بل امتدت يده أيضاً إلى الأموال الحكومية حيث حول مبالغ كبيرة لمصلحته الشخصية وفى نوفمبر سنة ١٨٤٩م وجد أن هذا الحكمدار قد اختلس حوالى نصف مليون جنيه مصرى مما كان له أسوأ الأثر على تقدم البلاد ، كما سبب لادارة ضائقة مالية " (٢)

(١) تولى عباس الأول بن طوسون بن محمد على حكم مصر فى حياة جده محمد على فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٤٨م بعد وفاة عمه إبراهيم باشا . وعلى اثر توليه مقاليد الحكم ذهب إلى الاستانة لتقديم فروض الطاعة والولاء للسلطان العثمانى وعاد منها فى ١٣ فبراير ١٨٤٩م واستمر يحكم مصر حتى سنة ١٨٥٤م حيث أدى عدم وفاقه مع أسرة محمد على إلى اغتياله .

انظر عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل . دار المعارف . الطبعة الثالثة ١٩٨٢م ص ١٥ وما بعدها .

(٢) انظر عبد الرحمن الرافعى . عصر محمد على - مرجع سابق ص ٢٠٠ .

حاول عباس باشا تلمس مشكلات السودان الادارية فعرف أن من أسباب سوء الإدارة، اعتقاد الإداريين بأنهم في منفى وأنهم يجب عليهم أن يفتنوا في المدة التي يقضونها في السودان . . " وكان لهذا الشعور السائد أثره النفسى على الإداريين المصريين والأتراك إذ يبلغ الضيق بهم مبلغاً عظيماً وينظرون إلى السودان والسودانيين بمنظار أسود وليس لديهم الاستعداد للعمل من أجل رفاهية السودانيين " (١) .

ولذلك نجد أن عباس قد قرر أن يجعل فترة الخدمة في السودان محددة فكان على الإداريين الذين يعملون في دنقله في شمال السودان أن يمكثوا ثمانية أعوام . وفي الخرطوم ست سنوات وفي كل من كردفان وسنار وفازوغلى والتاكة أربع سنوات . ولا يصح لأي موظف أن يغادر مقر خدمته إلا إذا حضر من يحل محله ولا يسمح له بالذهاب إلى مصر أثناء تلك الفترة إلا بشهادة طبية تمتحن صحتها في القاهرة ويعاقب الطبيب والموظف إذا ثبتت اللياقة الطبية . وإذا أُلِف الموظف الإقامة في مركز خدمته وطلب البقاء وكانت الشهادة عن عمله مرضية فله أن يبقى مدة أخرى (٢) .

أما في مجال تخفيف حدة الرشوة والتي كانت منتشرة بين الإداريين والموظفين كبارهم ومغارهم فقد حاول عباس أن يعالج ذلك الداء بوضع موظفين برتب عالية في الوظائف المسئولة ، وكانت أول خطوة قام بها في تعيين المديرين من رتبة الأميالى (أمير لوا ٦) بعد ان كان في رتبة القائم مقام من قبل (٣) . ويرى باحث آخر أن العكس قد حدث حيث يقول " وجاء عباس الأول بسياسته التي ترمي إلى أضعاف قوة موظفيه وممثليه واختار لحكم السودان حكماً أقل من رتبة أمير لوا ٦ وكان يقوم بارسالهم لفترات قصيرة يحل بعدها حكام غيرهم فلا تتاح

(١) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٧٠ .

(٢) د. مكى شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٤٨ .

(٣) ضرار صالح ضرار : المرجع السابق ص ٧٠ .

لاحد منهم فرصة ادراك حقيقة الظروف المحيطة بالسودان وادارته» (١) .

وللحقيقة فأن محمد على هو الذى كان يعين الحكام من ذوى الرتب المفضلة فى أواخر أيامه وذلك خوفاً من المطامع كما أشرنا . أمّا عباس فقد رفع رتب الحكام والموظفين اعتقاداً منه بأن الموظف المسئول إذا كان فى رتبة عالية وتناول مرتباً أعلى خفت حدة رغبته فى استلام الرشاوى كما أن رتبته العظيمة وكبرياءها سوف تمنعانه من قبول الرشوة» (٢) .

كذلك أعاد عباس توزيع بعض المديريات حيث كانت تتداخل فى بعضها أحياناً أو تكون المديرية أكبر من أن يديرها مدير واحد ولذلك نجد أن عباس قد فصل دنقلة عن وبربر وجعلهما مديريتين بدلاً من واحدة وهذا أفاد كثيراً أنه جعل فى تلك المساحة الشاسعة الامتداد مديرين يقومان بتصرف شئونها بدلاً من مدير واحد . ولما كانت فازوغلى وسنار مرتبطتين ببعضهما دون اتساع كبير فقد دمجهما فى مديرية واحدة حتى يوحد بين مشكلات السكان فى تلك المنطقة (٣) .

وفى عهده ظهر أن السودان مازال فى حاجة الى أعداد كبيرة من الكتيبة والمحاسبين حتى يتم تنظيم الادارة الحكومية وخاصة النواحي المالية ، ووضع أسس صحيحة للحسابات والمراجعة المالية ونتيجة لهذه الحاجة فقد وفدت على السودان أعداد كبيرة من الأقباط للقيام بذلك العمل . وكان التعيين والبحث عن الذهب من أبرز المعوقات التى واجهتهم لأنهم بعد مراجعة الصرف والدخل وجدوا أن استخراج الذهب يكلف أكثر مما يربح وهذا مما جعل عباس باشا يأمر بإبطال العمل فى استخراج الذهب من السودان (٤) .

(١) د. إبراهيم شحاته حسن : مصر والسودان . مرجع سابق ص ١٠٨-١٠٩ .

(٢) انظر ضار صالح ضار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٧٠ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٧١ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .



(١) عبد اللطيف باشا (١) :

رأى عباس باشا أنَّ الحكمدارية لا يصلح لها مثل خالد باشا وأنه لابد  
من إيجاد نوع أصلح لمنصب الحكمدار . فاستدعى خالد باشا وأرسل بدلاً منه  
عبد اللطيف باشا فى ربيع الآخر سنة ١٢٦٦ هـ الموافق فبراير سنة ١٨٥٠م وصل  
عبد اللطيف باشا إلى الخرطوم حاكماً عاماً على السودان . وكانت الأحكام قد اختلفت  
كثيراً فى مدة سلفه فما أن دخل الخرطوم حتى انهالت عليه الشكاوى ضد خالد  
باشا (٢) فكان من الأعمال الأولى التى قام بها عبد اللطيف باشا أن أثبت على خالد  
باشا اختلاس بعض أموال الحكومة فاستصفى منه ألف كيس وردها إلى الخزينة  
العمومية (٣) . ثم شرع فى الأحكام فأزال المظالم وبيث روح العدل فى البلاد .

أقرّ الحكمدار لائحة يسير العمل بمقتضاها في السودان كما تم في عهده  
دمج فازوغلى في سنّار كما فصلت دنقله من بربر . كذلك دعمت الادارة الحكومية  
في عهده بعدمن الكتاب والمحاسبين والأطباء . كذلك اهتم عبداللطيف باشا  
بعمارة الخرطوم فجدد من المباني الحكومية ديوان الحكمدارية وديوان  
المديرية وأنشأ المطبعة الحكومية ومحكمة العموم والأجزخانة وقشلاقــــــــــــات  
الطوبجية<sup>(٤)</sup> وكلهابناها بالطوب الأحمر . كذلك أنشأ لطيف باشا مدرسة أميرية  
برئاسة رفاعة رافع الطهطاوى الذى حضر الى الخرطوم ومعه كثير من الكتبة<sup>(٥)</sup>  
والمعلمين<sup>(٦)</sup> .

- (١) جركسى الاصل من أمراء الأسطول المصرى كان قد حكم عليه بالاعدام ثم عفى عنه وعين حاكماً على الصعيد قبل أن يعين حاكماً على السودان. انظر عبدالرحمن زكى حكمدارو السودان، والمجلة التاريخية المصرية فى ١٩٤٨ ص ٤٣٢.
- (٢) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٧١.
- (٣) انظر وكى شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٤٧.
- (٤) تعنى معسكرات المدفعية . انظر تاصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ص ١٤٣.
- (٥) لترجمته انظر عبدالرحمن الرافعى : عصر محمد على . مرجع سابق ص ٤٧٠.
- (٦) للمزيد من التفاصيل حول هذه المدرسة انظر فصل نظام التعليم فى عصر عباس من هذا المبحث .

كذلك عزل لطيف باشا الشيخ إدريس عدلان من شياخة جبال الفونج وولـي ابن أخيه عدلان محمد مكانه . كما ضرب حسن مسمار ملتزم الجمارك وصادر أمواله ثم حبسه كما عزل حسن خليفة العبادي ملتزم سكة عتمور أبي حمد من المشيخة وصادره أيضاً وقلد المشيخة أخاه حسن خليفة . ويلاحظ أن عبد اللطيف باشا كلما عزل شيخاً أو مستولاً عين قريباً له وذلك لاستحكام النظام القبلى فى اعتقـادى حيث أن القبيلة يمكن أن ترضى بعزل شيخها أو أحد أبنائها ولكنها لاترضى أن تؤخذ المشيخة أو أى وظيفة أخرى منها لتعطى لغيرها من القبائل .

كذلك قلد لطيف باشا الشيخ عبد القادر الزين وظيفة معاون الحكمـارية مع مشيخة مشايخ الجزيرة كما أحسن معاملة الشيخ أحمد أبوسن (١) .

وفى هذا العهد توالى دخول الرهبان والمبشرين فى السودان وأنشئت القنصليات بالخرطوم وكانت أولها القنصلية النمساوية وقد طلب لطيف باشا من مصر ارسال مترجم يكون واسطة للمخاطبة بين الحكومة والقناصل ورد الجـواب العالى بأن تكون المكاتبات باللغة العربية كما فى مصر آنذاك . كما شهدت حكمـارية لطيف باشا أيضاً نشاطاً من التجار الأوربيين فى أنحاء السودان وخاصة بعد إنشاء القنصليات وزادت الحركة التجارية فى النيل الأبيض زيادة ملحوظة (٢) وهذا النشاط جعل الحكمـدار يلجأ إلى بعض الاجراءات التى يمكن أن تمنع نشاط التجار الأوربيين أو تحد منه . ومن هذه الاجراءات إقتراحه بمنع هؤلاء التجار من المتاجرة وأن تحتكر الحكومة تجارة العاج وسن الفيل ثم يشتريها التجار فيما بعد من الحكومة وبالمزاد . كذلك حاول الحكمـدار أن يجعل تجارة الصمغ مـعبئة

- 
- (١) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان ص ٢٢٤ . ود . محمد صبرى : الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر . مرجع سابق ص ١٥ .
- (٢) انظر د . مكى شبيكه : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٤٨ .

المنال بالنسبة للتجار الأوروبيين فأصدر الأوامر الصارمة للمديرين وخاصة  
فى كردفان بأن يُحدّد سعقر قنطار الصمغ بستين قرشاً وأن الحكومة تقبله بذلك  
الثلث مقابل الضرائب المطلوبة . وأمر بالألا يسمح للأهالى ببيع صمغهم بأقل  
من ذلك الثمن وإذا خولفت هذه الأوامر فالعقاب يحل بالبائع والمشتري فالبائع  
يعاقب بالضرب إذا ما باع بأقل من السعر المحدّد وكذلك شيخ بلدته وكذلك  
التاجر والمشتري وقد روى القصل الإنجليزي أن مدير كردفان ضرب أحد التجار  
الإنجليز بيده تنفيذاً لذلك الأمر (١) .

ولهذا فإن القناصل الأوروبيين فى الخرطوم وقعوا عريضة ضد لطيف باشا  
اعترضوا فيها على منع التجارة التى هى من امتيازات الأوروبيين فى البلادان  
العثمانية كما ادعوا بأن الحكمدار أساء إلى الرهبان الكاثوليك فى الخرطوم  
وظلمهم مما اضطر عباس باشا إلى استدعاء لطيف باشا إلى القاهرة وتعيين رستم  
باشا مكانه .

#### — رستم باشا (٢) :

فى سنة ١٢٦٧ هـ الموافق ١٨٥١م عين رستم باشا حاكماً على السودان ،  
فذهب إلى الخرطوم ومنها إلى وادى مدنى التى عاد منها مريضاً حيث توفى فى  
الخرطوم سنة ١٢٦٨ هـ الموافق ١٨٥٢م ودفن هناك . وكل الذى تذكره المصادر عن فترة  
حكمه أنه حضرت فى هذه السنة من مصر لجنة للنظر فى أحوال السودان (٣) وقد  
خلفه على الحكمدارية اسماعيل حقى أبوجبل .

- (١) انظر مكى شبكة : السودان عبر القرون ص ١٤٨ .
- (٢) جركسى الأصل . قيل أنه تلقى تعليمه فى فرنسا . أصابه المرض فى واد مدنى  
وتوفى ودفن بالخرطوم انظر المجلة التاريخية المصرية - المجلد الاول  
١٩٤٨م ص ٤٣٢ .
- (٣) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٢٦ .

## ٣- اسماعيل باشا أبوجبل : (١)

حضر إلى السودان في رمضان سنة ١٨٥٢م حيث قام بجولة تفتيشية شملت الجهات الشرقية من السودان ثم رجع إلى الخرطوم وبقي فيها حتى صدور الأمر برجوعه إلى مصر وكانت مدته قصيرة ولم يحدث فيها تغيير يذكر في الإدارة (٢)

## ٤ - سليم باشا الجزائري (٣) :

في شعبان سنة ١٢٦٩ هـ الموافق مايو سنة ١٨٥٣م عين سليم باشا حاكماً على السودان بدلاً من اسماعيل حقي أبوجبل فذهب إلى الخرطوم على غير إرادته وأقام بها متمارفاً مدة قصيرة ثم استدعى إلى القاهرة ليرسل بدلاً عنه على باشا سري ولم يحدث خلال فترة سليم باشا أي حدث غير عادي (٤) .

## ٥ - علي باشا سري : (٥)

في جمادى الأولى سنة ١٢٧٠ هـ الموافق فبراير سنة ١٨٥٤م عين علي باشا سري حاكماً على السودان فذهب إلى الخرطوم ولم يخرج منها إلا إلى سنار ثم عاد إلى

(١) ابن سليمان بن أبي بكر حامل لواء السلطان محمود. من أشرف بلدة موريدي بالاناضول. كان والده قائماً للبلدة المذكورة ولد سنة ١٨١٨م وقد عني والده بتربيته . أرسل إلى مصر سنة ١٩٣٢م لتلقي العلم. بعد تخرجه عمل بالجيش المصري . اشترك في حروب الشام والحجاز والسودان . صار حاكماً للسودان . بعد استدعائه إلى مصر اشترك في الحرب التركية الروسية . أصبح رئيساً لمجلس طنطا ثم عين ناظراً للجهادية . ثم رئيساً لمجلس الأحكام . انظر عبد الرحمن زكي : حكام السودان - المجلة التاريخية المصرية م ١ ١٩٤٨ مرجع سابق ٤٣٢-٤٣٣ .

(٢) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٢٦ .

(٣) تولى عدة وظائف في السودان منها حاكم فازوغلي ثم استدعى ليتولى حكم الصعيد ثم أرسل حاكماً للسودان ولكنه مرض بالحمى فأعيد إلى الصعيد . المجلة التاريخية م ١ ١٩٤٨ ص ٤٣٣ .

(٤) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٢٧ .

(٥) توفي في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٥٥م - انظر المجلة التاريخية المصرية م ١ ١٩٤٨ ص ٤٣٤ .

مصر بعد فترة قصيرة وقد ملا جيو به من مال البلاد ولاسيما من جزيرة سنار (١) .

وفى شوال سنة ١٢٧٠ هـ يوليو ١٨٥٤ م توفى عباس الأول مقتولاً فى قصـره وخلفه سعيد باشا ابن محمد على على حكم مصر والسودان (٢) .

ويمكن أن نلاحظ على ادارة عباس الملاحظات الآتية :

(١) إن اهتمام عباس باشا بالسودان كان اهتماماً أقل بكثير من اهتمام جـده محمد على وربما يرجع ذلك إلى انشغال عباس بمشكلاته مع بقية أفراد أسرة محمد على الذين اختلفوا معه واتهمه بعضهم بالرجعية بينما هاجـم جزء منهم إلى الاستانة خوفاً من بطشه .

(٢) أعتبر بعض المؤرخين أن عباس باشا اتخذ من السودان منفى ينفى فيه من يغضب عليهم لدرجة ان اسم السودان أصبح مجرد سماعه مرعباً (٣) .

(٣) إن هذه الادارة لم تحقق أية نجاحات باستثناء فترة الحكم دار عبد اللطيف باشا وذلك راجع فى ظنى إلى التغير السريع الذى كان يتم فى منصب الحكمدارية حيث يلاحظ أنه مابقى حكم دار فى منصبه أكثر من عام وبعضهم بفضة أشهر فقط . الأمر الذى لم يمكنهم من التعرف على البلاد ومشكلاتها وبالتالي عجزوا عن وضع تصور لحلولها .

(١) نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٢٧ .

(٢) انظر عبدالرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ج١ مرجع سابق ص ٢٤ وما بعدها .

(٣) عبر عن هذه الحقيقة ريتشارد هل بقوله :

*ABBAS made Free use of the Sudan as a place of banishment. In Egypt Fazughli came to be popular word for dire punishment, men in danger of the law were seen to shudder when the word was spoken. Hill, Richard - Egypt in the Sudan. op cit P. 87.*

(٤) لم تفلح هذه الادارة فى منع الرشوة واستغلال النفوذ وكان عباس باشا —  
فى بداية حكمه قد عزم على منعها .

(٥) ظهرت فى فترة هذه الادارة الجاليات والبعثات التنصيرية التى استقرت  
فى الخرطوم وبدأت حملاتها التنصيرية .

ثانياً : نظام الادارة فى عهد سعيد باشا : (١)

تولى محمد سعيد باشا حكم مصر والسودان فى ١٨ يونيو سنة ١٨٥٤م أى بعد  
وفاة ابن أخيه عباس الأول مباشرة . وقد اعترف به السلطان العثمانى وسافر  
سعيد إلى الاستانة لتقديم فروض الطاعة وعاد فى نفس العام إلى مصر . وقد كانت  
ثقافة سعيد باشا أوربية وذلك لتعلمه فى أوروبا واجادته اللغة الفرنسية والانجليزية  
وقد أثرت فيه هذه الثقافة وجعلته أكثر قرباً من الأوروبيين (٢) .

بعد توليه الحكم شغل سعيد نفسه فى البداية بمشكلات مصر الداخلية فاهتم  
بالتنظيم الادارى فى مصر فأنشأ المجلس الخصوصى وجعل من اختصاصه مناقشة  
الأوامر ذات الصلة العامة وذلك قبل عرضها على الوالى ، وكذلك مناقشة اللوائح  
الادارية . زيادة على ذلك فانه أنشأ ثلاثة دواوين هى ديوان الداخلية  
والمالية والحربية ، اضافة الى ذلك فأنه أصدر قانون ملكية الأراضى الزراعية  
سنة ١٨٥٤م الذى بمقتضاه خول للفلاحين الحق فى ملكية الأراضى والانتفاع بها وحق

(١) سعيد باشا ابن محمد على . ولد سنة ١٨٢٢م بالقاهرة . اهتم به والده

اهتماماً شديداً وثقفه ثقافة عالية حيث بعثه إلى أوروبا لتلقى العلم .  
بعدها اختار له السلك البحرى حيث تدرب فى البحرية وأصبح قمنداناً لأحدى  
بوارج الأسطول المصرى . تولى السلطة فى ١٨ يونيو سنة ١٨٥٤م . انظر  
الرافعى : عصر اسماعيل — ج ٢ مرجع سابق ص ٢٩ .

(٢) انظر د . السيد يوسف نصر : الوجود المصرى فى أفريقيا . مرجع سابق ص ١٣١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٢ .



عين سعيد أخاه الأمير عبد الحليم (١) باشا حكمداراً على السودان وذلك لشدة اهتمامه بحل مشكلات هذه البلاد وقد جاء في فرمان التعيين الذوجهـ سعيد باشا إلى أهل السودان مايلي : " تحيطون علماً وتدركون معرفة وفهماً أنه لما كان من أقص آمالنا إدخال جميعكم في سلك العمار والرفاهية . وقد كثرت إلى الحكمدارية السلف أوامرنا العديدة . واستمرت إليهم التنبيهات الأكيدة باقامة شعائر العدل ونشر الوية اليمن والإيمان وهم عجزوا عن القيام بالوفى وهكذا كان من اللازم أن أجرى ذلك بتعيين من نشق به بالاهتمام باجرى (هكذا) هذه الأمور وبذل كمال الاعتنى (هكذا) . اقتضت ارادتنا بذل كمال المنة إليكم بان عيناً جليل المقام كبير الكبراء الفخام ذو المجد العزيز عبد الحليم باشا حكمداراً عليكم " (٢) .

وفى أول مدته ذهب الأمير عبد الحليم إلى الخرطوم وبقي فيها فترة وجيزة ذهب بعدها إلى النيل الأبيض ولكن انتشر في هذه الفترة مرض خبيث أطلق عليه المصادر الهوا ١٠ الأمفر ولعله مرض الكوليرا . وقد مات به من أهل السودان عدد كبير منهم الشيخ عبد القادر الزين شيخ مشايخ الخرطوم وسنار وقد كان رجلاً فاضلاً سديد الرأي وقد حضر دفنه الحاكم العام ووكيله وجميع وجهاء البلاد وعيين ابنه الزبير مكانه فخدم في الخرطوم مدة ثم سافر إلى مصر حيث عين معاوناً في نظارة الداخلية . كما توفى بنفس المرض الشيخ ياسين شيخ مشايخ كردفان وعدد من العلماء والأعيان ولما اشتد المرض نصح الأطباء الأمير عبد الحليم بترك الخرطوم والسفر إلى القاهرة . فسافر إليها ولم يعد لمقر حكمداريته ثانية (٣) .

(١) الأمير عبد الحليم هو نجل محمد على وشقيق سعيد الاصغر .

(٢) انظر مكي شبيكه : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٥٣ .

(٣) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ص ٢٢٦ .



وفي جماد الثاني سنة ١٢٧١ هـ الموافق فبراير سنة ١٨٥٥م وصل الخرطوم  
على باشا شركس حكمداراً على السودان خلفاً للأمير عبد الحليم .

وفي عهده وبعد زوال الرباء ذهب سعيد باشا إلى السودان لتفقد  
أحواله فوصل الخرطوم في ١٦ يناير سنة ١٨٥٧م فساءه حاله جداً وفكر في إخلاء  
البلاد لما رأى الظلم الذي لحق بالرعية ولكن أعيان البلاد ومشايخها توسلوا  
إليه بالحاج أن يعدل عن رايه وقالوا له إذا أخليت البلاد عمت الفوضى  
لإمالة وربما لحق أذاها مصر فعدل عن رايه (١) .

وكان سعيد باشا قد اصطحب معه في هذه الرحلة فرقة سودانية وجهزت له  
نحو ألف وخمسمائة جمل لنقله وحاشيته وجنده عبر الصحراء . وقد وضع الغرض  
من رحلته هذه في منشور أصدره إلى ناظر الجهادية جاء فيه " إن عدم دخول  
بلاد السودان التي هي أجزاء من ممتلكاتنا تحت الاقتان والنظام حتى الآن ، مع  
أن مقصدنا ومطلوبنا تقدمها وعمرانها لأمر موجب للأسف جداً . والحق يقـال  
وليس بقاؤها على ما هي عليه الآن من الأمور التي يجوز تحملها . وبما أنني صممت  
العزيمة منذ مدة على أن أرى تلك البلاد وأتبين أحوالها وأوضاعها وأقف على  
مايجول فيها أولاً بقصد السياحة وثانياً تحت حاجة النزهة فعزمت على أن أذهب  
إليها بذاتي لكي نفع لها فيما بعد النظم التي تكفل عمران تلك البلاد والحوالي  
وتكون بها الرفاهية للرعايا والاهالي " (٢) .

وما إن وصل سعيد باشا إلى بربر في طريقه إلى الخرطوم حتى انهالت عليه  
العرائض من كثير من السكان يتظلمون فيها من حكامهم ومشايخهم وأقاربهم  
فراعتهم تلك الحالة ورأى بعينيه حالة البؤس التي كانت بادية على الأهليين .

(١) انظر نعوم شقير ص ٢٢٨ ومحمد صبرى : الامبراطورية السودانية في القرن التاسع  
عشر ص ١٦ .

(٢) مكى شبيكه : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٥٤ .

واستنتج أن هذه الحالة التي تردت فيها البلاد بسبب ظلم الحكام وتخمرت فى ذهنه فكرة اللامركزية . وتنظيف البلاد من الجيش الجرار من الحكام والعساكر ورأى أن يناط جمع الضرائب بالأهلين أنفسهم وأن تؤلف مجالس وجمعيات دورية منهم تنظر فى الشئون العامة مع المديرين (١) .

بدأ سعيد بتنفيذ هذه الأفكار وهو فى طريقه من بربر إلى الخرطوم ، حيث أصدر أمراً بالغاء الحكمدارية وارسال سجلاتها إلى القاهرة . وصار كل اقليم يتبع مباشرة لحكومة القاهرة وصارت مصر والسودان وحدة ادارية واحدة وأنقسم السودان الى أربع مديريات هى مديرية التاكة ، مديرية كردفان ، مديرية دنقلة مع ضم بربر إليها وشملت المديرية الرابعة اتحاد مديريات سنار والخرطوم ومأمورية النيل الأبيض (٢) .

اضافة إلى هذه الاجراءات قام سعيد باشا بتخفيض ضريبة الاطيان الزراعية وضريبة السواقي ومنع الجند من جمع الضرائب واناطة ذلك بمشايع القرى بعد الحصاد لاقبله وقد أمر سعيد بعقد مجلس فى الخرطوم للنظر فى راحة الأهالى من بدو وحضر ويتألف من جميع المديرين فى المديريات وأعيان البلاد ومشايخها اضافة الى أنه ألغى الضرائب المتأخرة وسن القوانين لجمع الضرائب وأمر باعطاء " سركى " لكل مزارع بيده ليدفع ما عليه من الضرائب على أقساط فى السنة وكلما دفع قسطاً قيد ذلك فى السركى الذى بيده كما قيد فى يومية الصراف وجعل من الأهالى مديرين ومأمورين ونظار أقسام ومعاونين بمرتبات شهرية من الحكومة وأمرهم بلبس الملابس العثمانية مثل الحكام الأتراك (٣) .

(١) انظر الشاطر بصلى عبد الجليل : معالم تاريخ السودان وادى النيل ، مرجع سابق ص ١٤٦ . ومحمد أحمد الجابرى : فى شأن الله أو تاريخ السودان كما يرويه أهله . الناشر : دار الفكر العربى ، بدون تاريخ ص ٢٤ .

(٢) انظر د . ابراهيم شحاته حسن : مصر والسودان . مرجع سابق ص ١١٠ .

(٣) محمد أحمد الجابرى : فى شأن الله . المرجع السابق ص ٢٤-٢٥ .

وقد حاول سعيد أن يثبت سياسته فى صورة لائحة تأسيسية يرسى بهـــــــــــــــــا  
جهاز الادارة فى السودان على أسس سليمة فأصدر مرسومه الأول فى الخرطوم  
فى ٢٦ يناير سنة ١٨٦٧م وقد وجهه إلى مديرى المديرىات (١) .

تحدث سعيد فى بداية هذا المنشور عن المعاناة التى يعانىها الأهالى  
بسبب الظلم والظنك الذين يتحملهما الشعب كما تحدث عن زيارته لبربر ومافعل  
فيها من إجراءات ضرائبية طالباً من المديرين أن يحدوا حدوه ليحققوا العدل  
ويزيلوا الظلم واقترح تكوين مجلس فى الخرطوم . كذلك أمر سعيد بتسريح الكشاف  
الذين كانوا يحكمون الأقاليم . كما حث فى مرسومه المديرين بأن يشجعــــــــــــــــوا  
المواطنين على الاستقرار والزراعة .

أمّا فيما يخص النواحي القضائية فقد طلب أن تقسم هذه السلطة بين  
المشايع والمديرين كما اقترح عليهم تنظيم الارض وتوزيعها .

وتحدث المرسوم كذلك عن الضرائب وكيفية جمعها من البدو الرحل وسكان  
الجبال كما طلب من الحكام الاهتمام بسكان الجبال والعمل على ترقيةهم والسيـــــــــر  
بهم نحو التمدن والاستقرار . كذلك أمر فى مرسومه بالألا يترك إنسان فى السجن  
مدة طويلة دون محاكمة . وفى نهاية المرسوم حاول سعيد أن يضع وسيلة تمكنه  
من متابعة مايدور فى السودان فاقترح تنظيمًا للبريد ومحطاته . كما طلب من  
المديرين اخباره سريعاً إذا تعرفت مديرياتهم لأية اعتداءات وأخبرهم عن  
استعداده للحضور إلى السودان متى ما يحتاجون إليه . كما أكد لهم أنهم لن يفلتوا  
من عقابه إذا أصاب الأهالى مكروه من قبلهم أو من قبل المشايخ .

أمّا المرسوم الثانى من المراسيم الأربعة التى جعلها سعيد أساساً لحكمه  
فقد كتبه من القاهرة يؤكد فيه على سياسته الضرائبية وذلك خوفاً منه على

المواطنين حيث اعتقد أن المرسوم السابق غير مفسر بصورة واضحة . ولما كان معظم أهالى البلاد أميين فقد خشى سعيد أن يعتقدوا أن المتأخرات السابقة لازالت عليهم وأنهم مدينون بها إلى الحكومة ولذلك أراد أن يطمئنهم وبعث بهذا المرسوم الذى هو عبارة عن مذكرة تفسيرية لما سبق أن أعلنه فى موضوع الضرائب (١) .

أما المرسوم الثالث فقد تناول فيه الأراضى ومساحاتها وكيفية قياسها ووجه المديرين للعمل بما جاء من نظام منعاً للتظالم (٢) .

وستناول هذه المراسيم الثلاث عند الحديث عن النظام الاقتصادى والمالى فى هذه الفترة بشئ من التفصيل والدراسة .

وفى المرسوم الرابع تحدث سعيد عن توزيع العساكر والضباط بين مديريات السودان المختلفة .

أثناء وجود سعيد باشا بالسودان أرسل خطاباً إلى ملك الحبشة يعرفه فيه بطبيعة هذه الزيارة حتى لا تفهم على أنها نوع من الاستعداد لحرب الأحباش وقد جاء هذا الخطاب " تعلقنا ارادتنا بالمرور على من كان تحت أنظارنا من الأقاليم السودانية الملحقة بجهاتنا المصرية فوصل الآن ركبنا إليها وحل موكبنا لديها بقصد النظر فيما عليه أهلها من الأحوال والتثبت بأسباب إبلاغهم فى كيفية معاشهم لدرجة الرفاهية وإكمال هذا غاية قصدنا ، لا قصد لنا سواه ، وإن لكل أمرى مانوى ، وحيث كان بيننا وبين حضرتكم من حسن الجوار وقرب الدار ، وصلة المصالح التجارية التى هى أقوى صلة بين أعضاء العائلة البشرية ، فقد رأينا من الاقتضاء أن نوجه لحضرتكم هذا الخطاب لتعلم به حقيقة ما قصدناه لقربنا من هذه الجهة من حسن النية وما هو قائم بيننا من طيب ، وما نحن مصمون عليه من الاستمرار على حسن المعاشرة لحق المجاورة " (٣) .

(١) انظر نص هذا المرسوم فى ملاحق هذا البحث .

(٢) انظر محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى . مرجع سابق ص ٣٥٦ .

(٣) دفتر رقم ١٨٨٦ اواخر عربى وشيقة ١٣ ص ١٠ فى جمادى الاولى ١٢٧٣ هـ نقلاً عن الوجود المصرى فى أفريقيا ص ١٣٥ .

وهذا الخطاب يعكس لنا أى نوع من الحكام كان سعيد باشا كما يعكس مدى ثقافته واهتمامه بعلائق الجوار حتى يستتب الأمن فى البلاد ويتجه حكامها إلى عمرانها وإسعاد سكانها. وقد كان لهذا الخطاب أثره الفعال فى العلاقات الأثيوبية المصرية التى اتسمت بالتوتر والعداء طيلة الفترة الماضية ، والدليل على ذلك أن ملك الحبشة طلب من سعيد باشا أن يرسل له أحد القسوس المصريين كي يقوم بالوعظ فى كنائس الحبشة وقد استجاب سعيد لهذا الطلب فأرسل اليه ملك الحبشة خطابا جاء فيه " بخصوص وصول حضرة القديس البطريك كيرلس بطريك الأقباط وبحضوره لطرفنا وبالسؤال معه عن جنابكم أعلمنا عن مجيئكم لنا ورغبتكم فى دوام المحبة والود بيننا ودوام العشرة وكذلك أرسلنا لكم سبعة خيول منهم ثلاثة كبا وأربعة صغار بالإضافة إلى ورقة فضة مطلية بالذهب وحربتين" (١) .

ومن خلال هذا الخطاب نلاحظ الروح الودية التى سادت العلاقات بين مصر والحبشة والتى انتهت بتبادل الهدايا حيث رد سعيد بهدية كانت عبارة عن مدفعين من النحاس ومائة بندقية ومائة وست وعشرين ذراعاً من القماش الحرير ومائة وعشرة ذراعاً من القטיפه اضافة إلى خمس خيام مبطنة بالحرير ومزودة ، بالأعمدة (٢) .

كذلك حرص سعيد على إقامة علاقات طيبة بسلطنة دارفور والتى لم تضمم حتى ذلك الوقت إلى الحكم المصرى. وكان سعيد باشا حريصاً كل الحرص على حسن الجوار مع هذه السلطنة حتى لاتدخل معه فى حرب تصرفه عن خدمة البلاط وترقية أهلها كما أنه كان حريصاً على استمرار العلاقات التجارية بين دارفور ومصر. ولذلك انتهز سعيد فرصة وجوده فى السودان وأرسل خطاباً إلى سلطان الفور طمأنه فيه

(١) محافظة ١٩ وثيقة ١٧ فى ٢٥ ربيع اول سنة ١٢٧٤ هـ الموافق ١٨٥٧م نقلاً عن المرجع السابق ص ١٣٦ .

(٢) انظر د. السيد يوسف نصر : الوجود المصرى فى أفريقيا . مرجع سابق ص ١٣٦ .

بأنه لا يقصد القيام بأى عمل عسكرى ضده. وقد جاء فى هذا الخطاب " بالرغم من توفر قواتنا البرية والبحرية، إلا أننا لانفكر فى القيام بأى عمل يتنافى مع الانسانية " (١) ويعلق أحد الباحثين على الكتاب بقوله : " واضح من هذه العبارة أن سعيد كان يريد أن يفهم سلطان الغور بان مصر تتعامل معه من مركز القوة وليس من مركز الضعف حتى لا تسؤل له نفسه التفكير فى القيام بأى عمل عسكرى ضد السيادة المصرية فى السودان ورغب سعيد أن يفهمه أيضاً أنه رغم هذه القوة إلا أن مصر لاتفكر فى شن العدوان بقدر ماتفكر فى نشر السلام والأمن فى ربوع هذه البلاد حتى ينعم أهلها بالسعادة والرفاهية والرخاء. ولكى يدعم سعيد العلاقة بينه وبين سلطان دارفور أرسل له بعض الهدايا الرمزية التى شملت فى خمسة سيوف ، كان واحداً منها مذهباً ومرصعاً بالجواهر وكان الباقي مرصعاً بالفضة وخيمة مبطنة من الداخل بقماش مقصب وعربة ركوب بأرباع عجلات وأربع طاقات من القماش المقصب " (٢) .

عاد سعيد باشا إلى مصر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٨٥٧م وقد رأى فى سفرته هذه ضرورة تقريب السودان من مصر وتسهيل مشقة السفر إليه ، فعند عودته إلى مصر كلف المسيو مونجل المهندس الفرنساوى فرسم له خريطة سكة حديد بين حلفا والخرطوم ولكن مالية مصر آنذاك لم تسمح باخراج هذا المشروع إلى حيز الوجود. وكان قد صلب سعيد باشا فى هذه الرحلة الدكتور أباته باشا فكتب عنها كتاباً نفيساً باللغة الفرنسية (٣) كما صلب معه كذلك فى هذه الرحلة إلى السودان أراكيل بك الأرمنى الملقب بالفرنساوى . ولما ألغى سعيد الحكمدارية وأعاد تنظيم المديرية عين أراكيل بك مديراً على الخرطوم وذلك فى سنة ١٨٥٧م . وقد امتاز بحسن السياسة ولين العريكة ولكن المواطنين والمشايخ أنكروا على سعيد تعيينه

(١) د. السيد يوسف نصر . الوجود المصرى فى افريقيا . مرجع سابق ص ١٣٦ .

(٢) نفس المرجع ص ١٣٧ .

(٣) انظر: نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٢٨ .

حاكماً نصرانياً عليهم فأبوا مقابلة أراكيل واستعدوا للثورة عليه . ولكنه تصرف تصرفاً يدل على حسن سياسته حيث ذهب إلى الثوار بمفرده وخاطبهم بقولـــــــــــــــــه " إن كنت أنا السبب في عصيانكم فهذا أنا الآن بينكم فافعلوا بي ماتشؤون على أن تعودوا إلى الولاء إذ يعز علي أن تخرجوا عن طاعة ولي أمركم بسببي " . فعجب زعماء الثورة من جراته وحسن أسلوبه وطابت نفوسهم ورجعوا عما عزموا عليه وصحبوه إلى الخرطوم . وقد كتب أراكيل خبر هذه الحادثة إلى سعيد باشاـــــــــــــــــ في مصر فبعث في طلب زعماء الثورة فأرسل له الشيخ أحمد أبوسن والفقيه ابراهيم عبدالرافع صاحب كتاب سنار فسجنهما بالاسكندرية مدة ثم أفرج عنهما وأرجهما إلى السودان بعد أن حلفا له يمين الطاعة . وبقي أراكيل مديراً على الخرطوم ، إلى أن توفي في شهر صفر سنة ١٢٧٥ هـ الموافق سبتمبر سنة ١٨٥٢م (١) .

ويعلق أحد الباحثين على هذا الموضوع فيقول : " إن اعتراض السودانين على تعيين أراكيل بك الأرمني ليس بالحدث الذي يمكن تجاهله ، بل يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار إذ يدل على أن السودانين يهتمون بدينهم ولا يقبلون أن يولـــــــــــــــــى عليهم غير مسلم " (٢) .

وفي اعتقادي أن تعيين هذا المدير خطأ كبير وقع فيه سعيد باشا إذ أنه لمن يعدم رجلاً من المسلمين في علم وكفاءة هذا النصراني الأرمني .

خلف أراكيل في إدارة الخرطوم حسن بك سلامه الشركسي الذي عين في رجب سنة ١٢٥٧ هـ الموافق ١٨٥٩م ولم تطل مدته فيها وقد وصف بأنه كان فظ الأخلاق سيء الإدارة قليل الخبرة في سياسة البلاد ، إلا أنه كان متديناً كثير الملــــــــــــــــوات،

(١) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٢٩ .

(٢) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٧٦ .

حسن الاعتقاد عفيف النفس (١) . ويعجب المرء كيف يمكن أن تلتقى كل هــ هذه المتناقضات فى شخص واحد ؟

فى محرم سنة ١٢٧٨ هـ الموافق ١٨٦٢م عزل سعيد باشا حسن بك سلامة وعيـن بدلاً منه محمد بك راسخ الذى كان مديراً على التاكة ، فحضر إلى الخرطوم فى شهر صفر وذكر أنه كان يحب الطرب والغناء .

فى أواخر أيامه ألغى سعيد نظام اللامركزية الذى لم يحقق الأهمـداف المقصودة وأرسل سعيد قبل موته بشهور موسى حمدى باشا من أجل إعادة الحكمـدارية فى السودان (٢) .

وقد فشلت هذه السياسة التى عول عليها سعيد كثيراً ووضع لها التنظيمات ولكن العبرة ليست بطبيعة الحال فى الهيكل الإدارى وإنما فى التنفيذ واستعداد الأعضاء لأن يتصرفوا التصرف المناسب . وبطبيعة الحال كانت هذه تجربة حديثة لابد وأن تكون أخطاءها أكثر من صوابها بسبب قلة الخبرة لدى القائمين عليها . ولهذا فقد أخفقت فى تأدية الغرض الذى طبقت من أجله (٣) .

ويعلل أحد الباحثين هذا الفشل بكثرة التعيينات حتى صار من الصعب تتبع أوامر التعيين أو الاستدعاء كما يقول . ولنا أن نتصور ما يمكن أن ينتج فى ظل هذه السياسة من خلل فى الإدارة وانحرافات مختلفة . يضاف إلى هذا أن والى مصر لم يعد يقوم بمراقبة كل وجه من وجوه عمل موظفيه وخاصة سعيد الذى كان يميل إلى توزيع سلطاته وعدم تركيزها . وصار الحكمـداريون تقوم بتعيينهم مجالس خاصة تقدم قائمة قصيرة بأسماء المرشحين إلى والى الذى يختار منهم

---

(١) انظر نعيم شقير: تاريخ السودان ، مرجع سابق ص ٢٢٩ .

(٢) انظر : د . إبراهيم شحاته حسن : مصر والسودان . مرجع سابق ص ١١٠

(٣) انظر : ضار صالح ضار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٧٥ .



واحداً لمنصب الحكمدارية . ولم يعد تعيين حكام الأقاليم يتم مباشرة عن طريق  
الوالى إنما بواسطة مجلس من كبار الضباط فى الخرطوم (١) .

هذا وقد وصل موسى باشا حمدى إلى البلاد فى صفر سنة ١٢٧٩ هـ الموافق  
أغسطس ١٨٦٢م كحكمدار للسودان بينما بقى محمد بك راسخ مديراً على الخرطوم  
وقد قام موسى حمدى بعدد من الإصلاحات . وفى ٢٦ من رجب سنة ١٢٧٩ هـ الموافق  
١٧ يناير سنة ١٨٦٣م توفى سعيد باشا إلى رحمة مولاه . وتولى حكم مصر والسودان  
بعده اسماعيل باشا ثانى أنجال ابراهيم باشا بن محمد على (٢)

...

---

(١) انظر د. ابراهيم شحاته حسن : مصر والسودان . مرجع سابق ص ١٠٩ .

(٢) انظر : نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٣٦ .

# الفصل الثالث

النظام الإدارى فى السّودان  
فى الفترة من ١٨٦٣ - ١٨٨٥ م

### الإدارة فى عهد اسماعيل : (١)

تولى اسماعيل حكم مصر وملحقاتها فى ١٧ يناير سنة ١٨٦٣م اشروفاة عمه سعيد . ولما كان معجباً بأوربا فقد قرر أن يجعل من مصر قطعة منها ، فعاش كما يعيش ملوكو أباطرة أوربا فى ذلك الوقت . ونتيجة لهذا السلوك فقد أغرق البلاد فى الديون ، الأمر الذى أدى إلى تدخل الدول الدائنة فى شؤون مصر الداخلية وبلغ بهم الأمر فى النهاية إلى عزله وتولية ابنه بدلاً عنه - مع أنه كان قد تعهد لشعب مصر بالمحافظة على الأموال العامة . وذلك فى أول خطاب له بعد توليه الحكم حين قال : " إنَّ أساس الإدارة هو النظام والاقتصاد فى المالية وسأبذل كل جهدى فى اتباع قواعد النظام والاقتصاد وقد عزم أن أرتب لنفسى مخصصات محددة لا أتجاوزها أبداً " (٢) .

(١) هو اسماعيل بن إبراهيم بن محمد على باشا . وهو ثانى أُنجال إبراهيم باشا . ولد فى ٣١ ديسمبر ١٨٣٠م فى قصر المسافرين خانة بالقاهرة . عنى أبوه بتربيته فتعلم مبادئ العلوم والرياضيات . ومن اللغات العربية والتركية والفارسية . فى الرابعة عشر من عمره أرسله والده إلى النمسا . التى قضى بها عامين ثم رحل منها إلى باريس حيث انضم إلى تلاميذ البعثة المصرية هناك وكان من بينهم الأمير أحمد رفعت أخوه والأميران عبد الحليم وحسين أبناء محمد على وفى باريس نال حظاً من العلوم الهندسية والرياضية والطبيعة مع إتقان اللغة الفرنسية . عاد إلى مصر فى ولاية والده إبراهيم وبعد وفاته اختلف مع عباس باشا فذهب إلى الاستانة حيث عين بمجلس أحكام الدولة العثمانية ومنح رتبة باشا . وأوفده السلطان العثمانى فى كثير من المهم . بعد وفاة أخيه الأكبر الأمير أحمد رفعت وأثناء حكم سعيد أصبح ولياً للعهد وبوفاة سعيد أصبح هو الوالى وحصل على لقب خديو بدلاً من والى من السلطان العثمانى فى يونيو سنة ١٨٦٨م .

انظر الرافعى : عصر اسماعيل ج ١ المرجع السابق ص ٧٤ .  
(٢) د . مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل . مرجع سابق ص ٥٢٠ ولكن يبدو أن اسماعيل نسي هذه الكلمة وتصرف فى أموال البلاد بصورة أدت إلى عزله . ومكنت الدول الدائنة من السيطرة على مصر .

كان ابراهيم باشا يقول: إن عظمة مصر الحقيقية وميدان توسعها —————  
 فى السودان .، حفظ اسماعيل هذه العبارة وجعلها محور سياسته حيث اهتم اهتماماً  
 بالغاً بأمر السودان (١)، خاصة بعد فشل سياسة اللامركزية الادارية التى  
 أوجدها عمه سعيد والتى حاول اسماعيل إنهاؤها والعودة إلى نظام الحكم اريية  
 وذلك عندما كان وكيلاً لعمه سعيد فى أيام مرضه الأخيرة .

وعندما تولى اسماعيل السلطة " كانت الأحوال التى وصلت إليها الادارة  
 المصرية فى السودان تستدعى تغييراً جذرياً نتيجة للأخطاء المتكررة التى  
 مارستها منذ أن دخل السودان فى حكم محمد على . وبالرغم من التجارب الكثيرة  
 فى الحقل الادارى التى حدثت فى عهود الولاة السابقين إلا أن السودان لـم  
 يستطع أن يتمتع مطلقاً بالحكم الانسانى الذى يتفق ورغبات السكان وطبيعتهم  
 لذلك كانت من أهم الظواهر التى حدثت فى أيام اسماعيل التغيير المستمر فى  
 نوع الادارة والاداريين مما كان بمثابة ثورة بعد ثورة فى مدى فترة حكمه .

وقد كان لذلك التغيير أثراً بعيداً على السودانين إذ كان عليهم ———  
 أن يتمشوا مع التطورات المختلفة السريعة ولم يكن ذلك الأمر بالأمر اليسير  
 عليهم (٢) .

ظهرت بوادر سياسة اسماعيل الجديدة بادخال العنصر الوطنى فى الادارة والحكم  
 فى مصر والسودان فى السنة الأولى من حكمه وكما بدأ بتعيين المصريين الأصليين  
 مديرين للأقاليم ، وافق فى السودان على تعيين الشيخ أحمد أبو سن كبير مشايخ  
 قبيلة الشكرية مديراً على الخرطوم وسنار . وهى منطقة من أوسع وأهم المناطق فى  
 السودان . وكان أحمد بك خير مثل ، فبقاؤه فى وظيفته لمدى عشر سنوات وعدم

(١) انظر زاهر رياض : السودان المعاصر . مرجع سابق ص ١٧٠

(٢) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ، ص ٨١-٨٢

تعرض منطقته للاضطرابات برهنت على كفاءة العنصر السودانى ومقدرته الادارية ونزاهته كذلك (١) .

### حكمدارية موسى حمدى باشا (٢) :

عندما جاء اسماعيل الى الحكم كان الحكمدار فى السودان هو موسى باشا حمدى سنة ١٨٦٢ - ١٨٦٥م وقد كان ذو خبرة طويلة بشئون البلاد . وكان يريد وضع حد لشكاية السكان من فداحة الضرائب وعلى الأخص الطريقة المتعسفة التى تجبى بها ، فأصدر قرارات تحدد مقدار كل ضريبة فى سجلات الحكومة وسلم دافعى الضرائب دفاتر يقيدها فيها الموظف المختص كل مبلغ يدفع من أصل المبلغ الموزع على ثلاثة أقساط فى العام . وعين من السكان رؤساء ووكلاء مراكز (٣) .

هذا وقد أعجب الخديو من ادارة موسى حمدى للسودان فبعث اليه بخطاب فى الثانى من ذى القعدة سنة ١٢٧٩هـ الموافق أبريل سنة ١٨٦٣م جاء فيه :

" ارادة الى موسى باشا حكمدار السودان . كما هو معلوم لدى الجميع أن البلاد السودانية هى أقطار جسيمة صار الاستيلاء عليها بصرف مساع عظيمة وتكاليف باهظة باقتحام مشاق ومهوبات لاتعد ولا تحصى وأن الواجب يقتضى بأن تكون مربوطة

- (١) انظر مكى شبكة: السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٥٩ .
- (٢) جركس من مماليك أحمد باشا أبوودان الذى كان قد عينه فى هيئة أركان حربه ومن ثم قائداً لحامية الخرطوم . جاء فى معية سعيد باشا ثانية ، الى السودان وكان إذاك يشغل منصب مدير جرجا . مالبث أن صار على رأس قوات كردفان فمديراً للخرطوم . كان ابنه الأكبر الدكتور ابراهيم باشا هو الطبيب الخاص للخديو اسماعيل وقد تزوج احدى بناته ورافقه فى منفاه . انظر عبدالرحمن زكى حكمدارو السودان : المجلة المصرية المجلد الأول ١٩٤٨م ص ٤٣٥-٤٣٦ .
- (٣) انظر د . زاهر رياض : السودان المعاصر . مرجع سابق ص ١٨ .

وملحقة بالمملكة المصرية وحيث أنه لاغنى عن الايضاح أن مواقع هذه البـلـاد  
صالحة لقبول أسباب العمران وأن سكانها مستعدة لتعلم الحرف والصنایع  
والأخذ بأسباب التمدین والحضارة ، بناءً عليه قد أصبح إعمار وإصلاح ذلك  
الاقليم الواسع والمحافظة على حقوقه وحدوده أمر مرغوب وملتزم لدينا ، وحيث  
أنه مأمول منكم حسن ادارة تلك الجوالى من كل الوجوه بمناسبة اقامتكم  
وسكنكم مدة فيها ووقوفكم على أهوال (هكذا) وطباع سكانها فضلا عن كفاءتكم  
الذاتية وأنكم فى يوم انتخابكم وتعيينكم حكمداراً جاءت أكثر أفعالكم  
واجراؤاتكم محمودة وحسنة ، وبما أن رضا الأهالى عنكم وسرورهم بكم حسب  
ماوصل إلى سمعنا قد أوجب سرورنا وارتياحنا ، فمكافاة على أعمالكم الحسنة  
والمرضية وغيرتكم الواقعة قد استحصلنا هذه المرة على ارادة شاهانية بتوجيه  
رتبة ( روم ايلى بكلىرى بكى ) (٢) الرفيعة وقطعة من النيشان المجيـدى  
من الدرجة الثانية إلى عهدتكم وأرسلنا إليكم الفرمان والبراءات الخاصة  
بالرتبة والنيشان المذكورين ، فمأمولى منكم من الآن فصاعداً أن تجتهدوا  
فى اصلاح واعمار الأقطار الفسيحة المذكورة وحيث أن وجود الرعايا الأجانب فى  
هذه البقعة من جهة ، ودقة أحوال الممالك المجاورة لها من جهة أخرى قد أكسبها  
أهمية وخطورة عظيمة ، بناءً عليه يجب أن تكونوا على حذر تام من اتیان  
الأفعال المكروهة فى نظر الأجانب (٣) والمخلّة بأمن الأهالى وأن تسهروا على  
راحتهم ببصيرة كاملة فبادر إلى صرف الدقة والعناية فى هذه الشئون ،  
نشكر مساعيكم " (٤) .

(١) يقصد ميول ورغبات .

(٢) رتبة أمير أمراء الروم .

(٣) هذه العبارة تؤكد حرص اسماعيل على سمعته أمام الأوربيين وحرصه على

ارضائهم .

(٤) محفوظات عابدين دفتر ٥٢٦ تركى جزء ثانى مكاتبة رقم ١٨ صفحة ٧٠ نقلاً  
عن د . محمد فؤاد شكرى - الحكم المصرى فى السودان - مرجع سابق ص ٢٤٦-٢٤٧

وقد احتفلت البلاد بهذا الانعام على الحکمدار احتفالاً عظيماً وأقيمت  
المهرجانات وزينت البلاد . وفى ٢٣ من محرم سنة ١٢٨٠ هـ الموافق يوليـو  
١٨٦٣م ذهب موسى باشا حمدي إلى مصر فادى الشكر لاسماعيل على انعامه  
وأطلعته على حال البلاد وعاد إلى الخرطوم فبقى فيها إلى أن توفي فى ٨ شوال  
سنة ١٢٨١ هـ الموافق مارس ١٨٦٥م . وقد سارت البلاد فى أيامه على أحسن  
نظام (١) .

بعد وفاة موسى باشا قام عمر فخرى بك بشئون الحكم إلى أن حضر جعفر  
باشا صادق من مصر حکمداراً على السودان (٢) .

— حکمدارية جعفر باشا صادق (٣) :

بعد وفاة موسى باشا حمدي أصدر الخديوى اسماعيل أمره بتعيين  
جعفر باشا صادق حکمداراً على السودان فى ١٤ من ذى القعدة سنة ١٢٨١ هـ الموافق  
أبريل ١٨٦٥م وقد جاء فى هذا الأمر مايلى: " بناءً على انتقال موسى حمدي

(١) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٣٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٣٧ .

(٣) جركس الاصل . كان يعمل جندياً بالشام وترقى من الصفوف حتى بلغ رتبة اللواء .  
فى فبراير سنة ١٨٥٠م عين مديراً للشرقية ثم القليوبية . وفى عام ١٨٥١م عين  
مديراً للدقهلية ثم محافظاً للسويس سنة ١٨٥٢م وفى مايو سنة ١٨٥٣م تولى  
قيادة آليات المدفعية فى حرب القرم ثم أعيد محافظاً للسويس وعين  
أميراً للحج فى عام ١٨٦٥م . خلف موسى حمدي فى حكم السودان ولكنه مرض وعاد  
إلى مصر سنة ١٨٦٦م حيث عين رئيساً لمجلس استئناف قبلى فى أسوط ثم وكيلًا  
لمجلس الأحكام وفى ظل هذا المنصب حتى ١٥/٣/١٨٨٤م حيث استقال بسبب كبر  
سنه . انظر عبد الرحمن زكى : حکمدارو السودان . المجلة التاريخية  
المصرية ١٤ مرجع سابق ص ٤٣٧-٤٣٨ .

باشا حكمدار اقليم السودان ، الى دار البقاء بأجله الموعود اقتضت الحال انتخاب  
وتعيين حكمداراً بدلاً منه وحيث أن أهمية الموقع المذكور أمر ظاهر وإن لياقتكم  
وأهليتكم المشهورة والمسلمة كفيلة بحسن ادارته فبناءً عليه اقتضت ارادتي  
تعيينكم حكمداراً للأقاليم المذكورة فعندما تحيطون علماً بذلك يجب أن تتاهبوا  
للسفر إلى جانب (١) مأمورييتكم وأن تبادروا ببذل المساعي والاقدام في حسن  
ادارة أمورها كما هو مأمول منكم (٢) .

بعد صدور هذا القرار رأى اسماعيل أن يجري تعديلاً في الادارة نظراً  
لانضمام سواكن ومصوع وملحقاتها للسودان مرة أخرى (٣) ، ونظراً للتنظيم الذى  
ينوى تحقيقه ونظراً لاتساع ممتلكاته فى النيل الأبيض - والتعديل الجديد يقسم  
السودان الى ثلاثة مناطق ، يحكم كل منها حكمدار منفصل يتعاونون فيما بينهم  
على المصالح المشتركة (٤) .

ويظهر هذا النظام الجديد فى الخطاب الذى بعث به الخديو فى ٢٩ محرم  
سنة ١٢٨٢ م الموافق يونيو سنة ١٨٦٥م الى سليم باشا (٥) الجزارلى حكمدار  
جزيرة الخرطوم وملحقاتها وقد جاء فيه " إن اقليم السودان قد ظل تحت ادارة حكمدار  
واحد مع سعيه وعظمته ، كما لا يخفى على أحد ، وأن جهة البحر ( النيل ) الأبيض  
كانت ملحقة بحكمداية السودان منذ عهد أفندينا جدنا الأمجد (٦) ساكن الجنان  
وقد كان نصب لها موظفون ولكن لم يكن قد تم تنظيم ادارتها لكونها مستجدة  
ولا التفت أحد الى تنظيمها فى عهد المرحومين عباس باشا وسعيد باشا فظلت منذ  
عهديهما مهملة . وحيث أن الجهة المذكورة هى من ملحقات السودان ولا يجوز

(١) يقصد إلى مكان عملكم .

(٢) أمين سامى : تقويم النيل وعصر اسماعيل المجلد الثانى الجزء الثالث . القاهرة ،

١٩٣٦ ، ص ٦٠٣ .

(٣) بعد وفاة محمد على رجعت سواكن ومصوع وملحقاتها الى أملاك السلطان العثمانى .

(٤) انظر مكي شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٦١ .

(٥) كان حكمداراً على السودان فى عهد سعيد وسبقت ترجمته .

(٦) يقصد محمد على باشا .



تركها على حالها وقد سبق أن عينّا لها مديراً وموظفين . وبما أن دائـرة السودان ازدادت سعة وعظمة بمناسبة وضعنا لها نظاماً جديداً لتلك الجهة والحق سواكن ومصوع وملحقاتها الوسيعة إلى حكومتنا فمن الضروري أن تكثـر اشغالها وتتسع أمورها . ولما كانت آمالنا متجهة إلى تسهيل مصالح عباد الله وانجاز الأعمال في آونها واماطة الصعوبات والموانع عن طريق سيرها ، فقد اقتضت أراءدتنا تقسيم السودان إلى ثلاثة أقسام يدير كل منها حكمدار على حدة ، على أن يكون القسم الأول منها عبارة عن التاكة وسواكن ومصوع وملحقاتها الفسيحة وأن ينحصر القسم الثاني في جزيرة الخرطوم كاملة مع جهات البحر الأبيض الواقعة في غربي الجزيرة ، وفي الشرق بالنسبة للبحر الأبيض . وأن يشمل القسم الثالث كردفان ودنقلة وبربر مع جهات البحر الأبيض الواقعة في غربي البحر الأبيض التي تقرر أن ينشأ فيهما مديريات . وقد حددت مدة ثلاث سنين لكل من الثلاثة الذين سيتولون الحكمادارية ليملك في منصبه خلالها . فإذا أراد أن يعود إلى مصر بعد انقضائها فيجب أن يعرض علينا أمره قبل حلول الميعاد بستة أشهر حتى نتمكن من تولية غيره . ولابأس أن يطيل المدة بعد أن يتمها . وحيث أنه ينبغي تولية حكمدار لكل من تلك الاقسام ، قد خولناكم حكمادارية عموم جزيرة الخرطوم وجهات البحر الأبيض السالف ذكرها التي هي من ملحقاتها لما عهدنا وشهدنا فيكم الاخلاص والاستقامة والشهامة ، ولا يخفى عليكم أهمية هذه البقعة القسيحة نظراً لاتساعها وكثرة تردد التجار والسياح وسائر القادمين عليها . فإذا ينبغي أن تقوموا باصلاح هذا القسم وتنظيمه متوسلين بحسن ادارتكم وصائب تدبيركم وأن تنصبوا الموظفين والخدّمة اللازم تعيينهم لضبط ادارتها وربطها ، وأن تضعوا كل شيء في موضعه وتبينوه على أساس متين وأن ترفقوا بالواردين والمتردددين والسياح وتعاملوهم بلطف وتهتموا بعمران البلاد وترفيه العباد وتحكموا بينهم بالعدل والانصاف طبق القانون والأصول كما هو واجب علينا أجمعين وتصرفوا في ذلك كل المجهود وفي ايصال البريد في أوقاته المعينة وتعتنوا بتسهيل الطرق وتوطيد الأمن فيها إلى آخر

حدود حكمداريتكم وأن تنشثوا محطات فى المواضع التى يوجد فيها الماء ، وأن تسيروا أنباء السبيل والمسافرين الذين يفدون من هذه الجهات على هيئة القوافل وتأذنوا لهم فى المرور فى كل شهر مرة أو مرتين وتأخذوا على مشايخ القبائل والعربان عهداً قوياً على مرور أموال التجار أو المترددين بالأمن والسهولة ولا ريب أن حكمداريتكم تحتاج إلى طائفة من الجنود الموجودين بالسودان . فإذا وصلتكم إلى مقر وظيفتكم وأقمتم به شهراً لتتمكنوا من تنظيم الحكمدارية فخابروا الحكمدارين الآخرين واجتمعوا بهما وبأمراء اللواء الموجودين فى السودان وشاوروهم فى تخصيص العدد اللازم من العساكر لكل من الحكمداريات وأفرزوا العساكر والضباط المخصصين بحكمداريتكم على حسب القرار المتخذ فى ذلك الاجتماع ، وأقيموا فى المراكز والمواضع اللازمة ، ونظراً لتأسيس هذه الحكمداريات جديداً فيجب أن يهتم ويعتنى بحسن ادارتها وتسوية أمورها على الوجه الأتم كما أنه لو حدث اعتداء من الخارج والعياذ بالله ومست الحاجة إلى احضار قوة عسكرية من كل من الحكمداريتين الأخريين ، عدا القوة العسكرية المقيمة فى حكمداريتكم فيجب أن تخابروهما تستعينوهما وعليكم أن يساعدا بعضكم بعضاً بدون اضاءة وقت وأوصوا المديرين الذين بالحدود ، أن يتوادوا ويعامل بعضهم بعضاً بالحسن ولا يختلفوا . ولا يأتى أحد منهم أن يساعد الآخرين عند الحاجة ويسهل أمورهم ولا ينبغي له أن يقول إنى خاضع لحكمدار آخر فلا أستطيع أن أقوم بهذا الأمر إلا أن يأمرنى الحكمدار الذى أتبعه ، وليحذر أن يؤخر المسائل المهمة الضرورية ويعرضها على الأعضاء وليسارع إلى اجراء ما هو خير لذات المصلحة ، وحيث أنه لا يبعد عن الملاحظة أنكم تظنون بعض الظن وتذهبون مذاهب أخرى حينما ترون أن السودان التى كانت تحت ادارة حكمدار واحد قد قُسمت إلى ثلاث حكمداريات وأنكم وليتم حكمداراً لأحد أقسامها أرى من الواجب أن اشرح لكم ما أفهى إليه من المقاصد والأغراض وهى أن التجوال

فى اقليم متسع كالسودان أو الاطلاع على تفاصيل أموره اطلاقاً تاماً والبت فى انجازها أمر لا يطيقه رجل واحد ، والدليل على ذلك عدم وصول تلك الأقاليم منذ سنين إلى الدرجة المطلوبة من العمران والتمدن وأنى لأرغب كل الرغبة فى تمدين هذه الأقاليم وعمرانها للقابلية والاستعداد المشهورين فيها ولذلك قد لاحظت أن هذه الأمانى الخاصة لا تحصل الا بقسم تلك الديار الى أقسام يمكن أن يدير كل منها رجل واحد . فأولى حكمداراً ومديراً ذا دراية على كل مافى تلك الاقسام فاذا اطلعتم على الحقيقة بوضوحها من البيانات السالفة فاعلموا أننا أصدرنا هذا كى تصرفوا مساعيكم وجهدكم فى تحقيق آمالنا المنتظرة تحقيقها منكم " (١) .

ولكن يبدو أن سليم باشا الجزائرى كان غير راغب فى العمل بالسودان فاعتذر بمرضه فأرسل له اسماعيل خطاباً شديد اللهجة يخبره فيه بوصول اعتذاره عن الوظيفة وقرر فيه فصله من الخدمة وأمره بالرحيل خارج البلاد للمعالجة فى أقرب وقت وحذره من التأخير (٢) .

بعد فترة وجيزة عدل اسماعيل النظام الإدارى الذى اقترحه لحكم السودان وأعاد نظام الحكمدار الواحد على كل أنحاء السودان بدلاً من الثلاث حكمداريين وقد أعاد الحكمدار جعفر باشا صادق حكمداراً على السودان وأرسل له خطاب بهذا الخصوص . (٣) كما أصدر اسماعيل فرماناً آخر وجهه إلى المشايخ والحكام والقضاة فى السودان يخطرهم فيه بتعيين جعفر باشا صادق حكمداراً عليهم وكان ذلك بتاريخ ٢٤ محرم سنة ١٢٨٢م الموافق يونيو سنة ١٨٦٥م . وطلب منهم الالتزام

(١) عابدين دفتر ٥٣٧ تركى ص ٥٦ نقلًا عن الدكتور محمد فؤاد شكرى . الحكم

المصرى فى السودان ص ١٤٨-١٥٠ .

(٢) انظر د. مكى شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٦٢ .

(٣) انظر د. محمد فؤاد شكرى المرجع السابق نفسه ص ٢٥١ وما بعدها .

بطاعته كما طلب فيه من الحكمدار الجديد العمل على راحتهم وسياستهم بالعدل والانصاف (١) .

بعد تولى جعفر باشا صادق الحكمدارية اندلعت فى كسلا ثورة عظيمة استمرت لعدة أشهر وأزهقت فيها أنفُس كثيرة وذلك عندما تمرد الجنود والضباط الجهادية من السودانين وذلك بسبب سوء الادارة وتأخر الحكومة عن دفع مرتبات الجند لمدة ستة أشهر . وقد كانت بداية هذه الثورة فى مارس سنة ١٨٦٥ (٢) وقد أدت إلى اضطراب الأمن وانفراط عقد النظام . وقد وصلت التقارير إلى الخديو تصور الحالة السيئة التوصل إليها الأمن فى السودان فأمر الخديو بأن يحضر جعفر باشا مظهر وكيل الحكمدارية من كسلا إلى الخرطوم ويسافر شاهين باشا ناظر الجهادية من مصر إلى السودان ويتعاون الاثنان مع الحكمدار جعفر باشا صادق على استقرار الأحوال العامة وتبني عوامل الخلل الذى أصاب الادارة الحكومية وما يرويه من اصلاح . غير أن اسماعيل عدل بعض الشيء فى أوامره هذه فأصدر لجعفر باشا صادق بالتخلى عن الحكمدارية وتعيين جعفر باشا مظهر حكمداراً على السودان ، ولكن انتداب شاهين باشا للسفر ظل نافذاً . وقد حضر بالفعل إلى السودان وتفاوض مع الحكمدار الجديد فى اصلاح حال الجندية واتباع القوانين العسكرية بالنسبة للجنود السودانين وبترحيل بعضهم إلى مصر هدأت الأحوال فى السودان (٣) .

(١) انظر نص الفرمان فى الملاحق فى هذا المبحث .

(٢) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٣٧ .

(٣) انظر مكى شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٦٣-١٦٤ .

- حكمدارية جعفر مظهر باشا : (١)

جاء فى خطاب تعيين جعفر باشا مظهر حكمداراً على السودان والذي صدر فى شعبان ١٢٨٢ الموافق يناير ١٨٦٦م مايلى : " إن المساعى المنتجة والأعمال المشكورة التى وفقتم إلى القيام بها وفقاً لمقاصدنا الخيرية فى مأموريتهكم التى انتدبتم إليها أخيراً بعنوان وكيل حكمدارية السودان بناءً على ماشوهد وعرف فيكم قديماً من المقبرة والجدارة والاخلاص والاستقامة ، قد لاقت منّا قبولاً وتحبباً وضاعفت ثقتنا بكم واعتمادنا عليكم أضعافاً . ولما كان اصلاح الحال واستكمال أسباب المدنية والعمران فى اقليم السودان المتسع هو من أهم ما نفكر به ونأمل تحقيقه منذ القدم . وكما أنه من المحقق لدينا أنكم تبذلون الجهد فى هذا المشروع وتوفقون فى انجازه بعون البارى وعنايته قد منحناكم رتبة الفريق الرفيعة وأقمناكم حكمداراً للأقاليم السودانية فهلتموا إلى العمل ليلاً ونهاراً وتوسلوا بالأسباب المؤدية للإصلاحات والتنظيمات اللازمة الممكنة واعتنوا جيداً فى توسيع الزراعة والتجارة اللتين هما الأساس الأعظم للمدنية والعمران واكفلوا الأمن ورخاء العيش للأهالى والسكان الذين هم وديعة الله وعاملوهم بالعدل والانصاف وقوهم الغبن والضرر وضاعفوا بذلك سرورنا منكم

- (١) استهل خدمته فى البحرية سنة ١٨٣٠م وتركها سنة ١٨٤٧م حيث نقل إلى دار صناعة بولاق وكان برتبة قائم مقام . ثم عين مديراً للدقهلية فالمنوفية فبنى سويف . فى سنة ١٨٦٣ عين مديراً للدقهلية ثانية ومنه انقل الى قنا ثم وكيلاً لحكمدارية السودان وحكمداراً للسودان فى سنة ١٨٦٦م استدعى من منصبه بالسودان وصار عضواً بمجلس الاحكام ثم رئيساً لمجلس استئناف بحرى وشغل عدة مناصب منها مدير الغربية ومدير بيت المال فمحافظاً لمصر . عين رئيساً لمجلس الشورى فى أبريل سنة ١٨٧٨م وبقي فيه حتى ٢٧ يونيو سنة ١٨٧٨م حيث غلب عليه المرض وتوفى فى نوفمبر من نفس العام .
- انظر عبدالرحمن زكى : حكمدارو السودان . المجلة التاريخية المصرية المجلد الأول ١٩٤٨م ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .

ورضانا عنكم" (١) .

من أهم أعمال جعفر باشا مظهر إنشاء المحاكم والمدارس وتحسين ترسانة الخرطوم وكانت سياسته فى مجموعها سياسة اصلاحية (٢) .

ويذكر نعوم شقير أنه عندما قدم جعفر باشا مظهر إلى الخرطوم حدثت مجاعة واشتد الغلاء حتى هاج الناس فأرسل الحكمدار بعض التجار بنقود من الخزينة إلى الجهات فاتوا بالغلال فرخصت حتى صار ربع الذرة بقرش بعد أن كان بخمسة قروش (٣) .

وفى أواخر سنة ١٨٦٦م ذهب جعفر باشا مظهر إلى سنار وفازو على كردفان . فاستطلع أحوالها ثم عاد إلى الخرطوم فطلب من مصر رد العساكر السودانية الذين أوفدوا إلى مصر بعد ثورة الجهادية فى كسلا . كما يشير نعوم شقير إلى أنه فى هذه السنة (١٨٦٦م) تخلت الدولة العثمانية عن سواكن ومصر إلى الحكومة المصرية بزيادة ١٦ ألف جنيه مصرى على جزيته السنوية (٤) .

#### القضاء على تجارة الرقيق فى عهد اسماعيل :

وجه اسماعيل جهوداً كبيرة للقضاء على تجارة الرقيق التى أضحت تمارس بواسطة شركات تضم أوربيين ومصريين وشوام وميدان نشاطها هو جنوب السودان ، الأمر الذى جعل اسماعيل يشدد فى أوامره للحكمدارية بالقضاء على هذه التجارة . وفى السنة التى تولى فيها اسماعيل السلطة ألقى القبض على سبعين مركباً مشحونة بالأرقاء وأتى بهم إلى الخرطوم ثم أحضر ملك الشلك (٥) من

(١) محمد فؤاد شكرى . الحكم المصرى فى السودان . مرجع سابق ص ٢٥٤ .

(٢) انظر د . زاهر رياض : السودان المعاصر . مرجع سابق ص ١٩ .

(٣) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٤٦ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) الشلك من قبائل جنوب السودان القليلة ويسكنون فى محافظة بحر الغزال ،

انظر حسن محمد جوهر وحسين مخلوف : السودان أرضه وتاريخه وحياة شعبه مطبوعات دار الشعب . القاهرة ١٩٧٠م ص ٩٠ .

فاشودة وُسِّمَ الرقيق الذى أُخذ من بلاده ، وأُرجع بالهدايا وزج بالتجار فـي السجن (١) .

وفى سنة ١٨٦٥ فى عهد جعفر باشا صادق احتلت العساكر المصرية فاشودة احتلالاً رسمياً فسدت طريق النيل الأبيض فى وجه تجار الرقيق فى بحر الغزال وخط الاستواء . وكان التجار الأوربيون قد باعوا شركاتهم إلى وكلائهم العرب سنة ١٨٦٠م فوضع جعفر باشا الضرائب عليها ثم احتكرها السيد أحمد العقاد (٢) من الحكومة بخمسة آلاف جنيه فى السنة على أن لا يتاجر بالرقيق ومع ذلك ظل رجاله يتاجرون فيه . وأصبحت بلاد خط الاستواء وبحر الغزال تعمها الفوضى فرأت الحكومة أنه لا يمكن اصلاح الحال وابطال تجارة الرقيق إلا إذا ضمت بـلاد بحر الغزال وخط الاستواء إلى السودان فعولت على ذلك وبادت إلى تنفيذ هذه الفكرة .

- 
- (١) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٥٠ .  
 (٢) محمد أحمد العقاد أحد تجار أسوان وممن عملوا فى تجارة العـجـاج والرقيق بالنيل الأبيض مع الأوربيين . ولما منعت الحكومة التجـار الأوربيين من ممارسة هذه التجارة استولى العقاد على شركاتهم . توفى سنة ١٨٧٠م . وبوفاته انتقلت أعماله إلى حفيده أبوالسعود .  
 انظر الدكتور جميل عبيد : المديرية الاستوائية - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٨م ص ٦٦ .

### فتح منطقة خط الاستواء وضمها للإدارة المصرية :

اختار اسماعيل باشا السير صمويل بيكر (١) مكتشف بحيرة ألبرت ليقوم بضم منطقة خط الاستواء للإدارة المصرية . وقد جاء اختيار صمويل بيكر نظراً لمعرفته بهذه المنطقة وعقد له على جيش قوامه ألف وسبعمئة رجل وقد تم تعاقد صمويل بيكر مع الحكومة المصرية على أن يفتح منطقة خط الاستواء باسم الحكومة المصرية ويكون حاكماً عليها لمدة أربع سنوات مقابل عشرة آلاف جنيه في السنة (٢) . وقد أعطاه اسماعيل فرماً يخوله فيه فتح تلك البلاد وإبطال تجارة الرقيق فيها وتأسيس نقاط عسكرية من غندكرو إلى البحيرات وإدخال السفن في نيلها وتنشيط تجارتها (٣) .

(١) ولد في لندن سنة ١٨٢١م وعمه ————— بالتجارة أولاً في بريطانيا ثم رحل لجزيرة موريشيوس حيث كان لأبيه بعض الأملاك . وفي سنة ١٨٤٠م ، تزوج ورحل إلى سيلان حيث استهوته حياة الصيد والمغامرة وقدم للاستعمار البريطاني العديد من الخدمات . تجول بين آسيا وأوروبا . في سنة ١٨٦١م رحل إلى أفريقيا مستكشفاً لمنابع النيل حيث زار مصر والسودان وأثيوبيا . وفي رحلته في أعالي النيل الأبيض التقى بالمكتشف ————— سبيك وجرانت فاطلع على خرائطهما واستفاد من تجاربهما حتى تمكن من اكتشاف بحيرة ألبرت والتي هي إحدى البحيرات التي ينبع منها النيل الأبيض . عاد بعد اكتشافه لهذه البحيرة إلى بلده إنجلترا — بعد فترة استدعى لمرافقة ولي عهد إنجلترا في زيارته لمصر حيث وقع عقد مع الحكومة المصرية يفتح منطقة خط الاستواء . توفي في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٩٣م بإنجلترا .

انظر د . جميل عبيد : المديرية الاستوائية . مرجع سابق ص ٦١-٦٢ .

(٢) انظر نص العقد في ملاحق البحث .

(٣) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٥١ .



نجح بيكر فى الاستيلاء على أراضى واسعة امتدت إلى حدود يوغندا الحالية ولم يتمكن من ذلك إلا بعد أن خاض معارك عديدة مع القبائل الساكنة فى تلك المناطق ولكى يحصل على غذاء لجنوده أغار على تلك القبائل واستولى على أبقارها بالقوة ، كما ألزمها بأمداده بما يحتاج إليه من لحوم وأغذية وكانت ادارته خالية من الثروة والحكمة وكثيراً ما كان يستخدم عضلاته فى معاملة زعماء القبائل (١) . ولم يستبشر تجار الرقيق خيراً بقدومه ولذلك فانهم كانوا يبتعدون عن مناطق نفوذه مستمرين فى تجارتهم بالرغم من المعطيات العسكرية الثلاث التى نجح فى اقامتها فى كل من غندكرو وفيا تيكو وفويرا (٢) .

وقد أرسل الخديو اسماعيل إلى بيكر خطاباً فى فبراير سنة ١٨٧٣م أبدى فيه بعض الملاحظات على تقرير كان قد بعث به بيكر إلى القاهرة .

فى بداية الخطاب أثنى اسماعيل على نجاح بيكر وشجاعة جنده ودعاه إلى معاملة الأهالى معاملة كريمة وعدهم سلب أموالهم . كما اعترض على فكرة أراد بيكر تطبيقها وهى الاستفادة من قوات تجار الرقيق فى جيشه ولكن اعترض اسماعيل كان بسبب خوفه من عدم اطمئنان السكان عندما يرون أن العساكر الجدد هم نفس العساكر الذين كانوا يمارسون النخاسة . كما تطرق خطاب اسماعيل لموضوع احتكار التجارة فى الجنوب (٣) .

(١) كتب المكتشف الايطالى رومولو جيس كتاباً أسماه سبع سنوات فى السودان المصرى صور فيه الحكم القاسى لصمويل بيكر فى خط الاستواء . انظر د . جلال يحيى - مصر الأفريقية ص ٧٠ .

(٢) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٨٤ .

(٣) د . محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان . مرجع سابق ص ٢٥٩ ، وما بعدها .

ولكن يبدو أنَّ نجاح صمويل بيكر كان ضئيلاً جداً خاصة إذا ما قيس بالتكاليف الباهظة التى دفعت له نظير مرتبه السنوى الضخم والبواخر التى أُعطيت له لتكون تحت تصرفه دون أن يستطيع الوصول بقواته إلى البحيرات الاستوائية. قدّم صمويل بيكر استقالته وعاد إلى وطنه مخلفاً وراءه استياءً عاماً من المواطنين بسبب سياسته ، الأمر الذى جعل اسماعيل يفكر فى رجل آخر يخلّف بيكر فى تلك المناطق وذلك حتى لاتذهب الجهود التى بذلت فيها أدراج الرياح (!) أوصى ولى عهد إنجلترا اسماعيل باشا بتعيين الكولونيل غردون باشا (٢) خلفاً للسير صمويل بيكر على مديرية خط الاستواء . وقد وافق اسماعيل على

- 
- (١) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٨٤ .
- (٢) شارلس جورج غردون - ولد من اسرة عسكرية فى ٢٨ يناير ١٨٢٣م . التحق بالاكاديمية العسكرية وبعد تخرجه عمل كملازم ثانى فى سلاح المهندسين لمدة عام ونصف حيث أخذ تدريباً على أعمال الميدان ورسم الخرائط . اشتبك فى حرب القرم سنة ١٨٥٥م وبانتهاء الحرب اختير لتحديد معالم الحدود بين تركيا وجيرانها . عمل بعد ذلك فى البعثة البريطانية الفرنسية التى أرسلت إلى الصين حيث بقى فيها أربعة أعوام من سبتمبر سنة ١٨٦٠م إلى نوفمبر ١٨٦٠م حيث عمل بنجاح فى الدفاع عن شنغهاى . بعد عودته من الصين اختير للإشراف على بعض الحصون بإنجلترا حيث بدأت تتغلغل على اتجاهاته المبادئ والأفكار المسيحية . وفى عام ١٨٧١م غادر إنجلترا ممثلاً لها فى رومانيا . وفى طريق عودته من رومانيا قابل نوبار فى القسطنطينية فى ربيع سنة ١٨٧٢م حيث أخبره عن الاستوائية . فى أكتوبر ١٨٧٣م وصلت برقية رسمية من مصر تعرض عليه قبول منصب حاكم المديرية الاستوائية فترك رومانيا فى نوفمبر سنة ١٨٧٣م ومر بالقاهرة فى طريقه لإنجلترا ثم ترك إنجلترا فى ٢٨ يناير ١٨٧٤م وله من العمر ٤١ عاماً ليصل القاهرة فى ٦ فبراير سنة ١٨٧٤م . عمل مديراً للاستوائية حتى عام ١٨٧٦م ثم عمل كحاكم عام للسودان واستقال عقب عزل الخديو اسماعيل . وعند قيام الثورة المهدية أرسلته الحكومة المصرية لاختلاء السودان حيث قتل بالخرطوم .

انظر جميل عبيد : المديرية الاستوائية - مرجع سابق ص ١١٢ .

تعيين الكولونيل غردون الذى وافق على التعيين مقابل ألفى جنيه فى العام .  
وقد فصلت مديرية خط الاستواء عن حكمدارية السودان .

وقد جاء فى الخطاب الذى أصدره اسماعيل بهذا الخصوص لفردون فى  
محرم سنة ١٢٩٢ هـ الموافق فبراير سنة ١٨٧٤م ما يلى : " أنه بحسب المشهود  
فيكم من اللياقة والأهلية قد عيناكم مأموراً على جهات خط الاستواء التابعة (١)  
الحكومة ، وصار فرز هذه الجهة من تبعية حكمدارية السودان وصارت قائمة  
بنفسها غير تابعة للحكمدارية (٢) إنما كافة لوازمها التى يقتضى الحال  
لتداركها من طرف الحكمدارية هذه يجرى تداركها بمعرفة الحكمدار وصرف ثمنها  
من طرفه مقابل محاسبة المالية بذلك (٣) كما أمرنا الحكمدار المؤمى إليه  
بأمرنا الصادر له فى تاريخه ومرسل لكم طى هذا لتوصيله إليه عن يدكم  
وبما أن أمور التجارة فى ذلك الطرف هى يد واحد يقتضى أن الذى يتحصلوا  
عليه من تلك الجهات من انواع التجارة بعد صرف كفاية مرتبات العساكر والتعيينات  
ترسلوه إلى حكمدار السودان لقبوله من أصل ما يصرفه من أثمان اللوازم (٤) التى  
تطلبوها منه ، وعند وصولكم الآن لتلك الجهات واختياركم أحوالها تجسروا  
ترتيبها بحسب يتراءى لكم وتستحسنوه سواء كان باجعال مديرتين أو اجعال  
أقسام أو نحو ذلك مما يتوصل اليه به انتظام الجهات المذكورة واستعدادها  
مع معاملة أهلها بالرفق ولين الجانب والتأليف والمراعاة لما فيه عمارتهم (٥)  
وترغيبهم وتشويقهم إلى العمارية ( هكذا ) ودخولهم فى سلك الانسانية شيئاً

- 
- (١) يعنى الحكومة المصرية .
  - (٢) يقصد بالحكمدارية حكمدارية السودان .
  - (٣) يريد ان يأخذ غردون لمديريته ما يحتاجه من حكمدارية السودان على ان يحاسب  
وزارة المالية بذلك .
  - (٤) المراد اللوازم والاحتياجات .
  - (٥) يقصد عمرانهم .

فشيئاً وهكذا مما يلزم اجري (هكذا) على حسب التعليمات التى أعطيت لكم بالفرنساوى وها هو موجود هناك رؤوف بك<sup>(١)</sup> قومندان العساكر الموجودة بذاك الطرف وتحرر له أمر من طرفنا ومرسول طيه لتوصيله له بمعرفتككم وأمرناه به أن يكون هو والعساكر تحت امرتكم فيما يجب اجراه (هكذا) فى صالح المصلحة ، وأن المؤمى إليه ومن معه من العساكر صار لهم مدة زائدة فى تلك الجهات ولذلك منظور فى ارسال خلافهم من هذا الطريق (هكذا) لتغييرهم لكنه فى مسافة ارسال البديل يكون المؤمى إليه والعساكر منقادين لأوامركم حسب أصول وقوانين الجهادية . وعلى هذا وما منظور لنا فيكم من حسن الغيرة والأهلية مؤملين الاستحصال (هكذا) على ما فيه عمارية (هكذا) جهات خطط الاستواء المحكى عنها وراحة أهاليها وحسن توطينهم وتأليفهم على الدخول فى سلك الانسانية شيئاً فشيئاً كما هو مطلوبنا<sup>(٢)</sup> .

لم يجد غردون عند وصوله لمديرية خط الاستواء غير ثلاث محطات هى غندكر وفاتيكو وفويرا وكان عليه أن يعمل على تدعيم سلطة مصر ويمدها إلى منطقة البحيرات . ولقد زوده الخديوى بأركان حرب له قيمة كبيرة لمساعدته على القيام بمهمته على أحسن وجه فوضع تحت امرته البكباشى شاليه لونج الأمريكى<sup>(٣)</sup>

(١) أبوه من الصعيد وأمه حبشية عمل كقائد للكتائب المصرية التى رافقت صمويل بيكر . أبوه غردون بعد أن أصبح مديراً لخط الاستواء . كلف باحتلال هرر سنة ١٨٧٥م فأبعده غردون عنها كذلك . أصبح حكامداراً على السودان خلفاً لغردون فى الفترة من ١٨٨٠-١٨٨٢م توفى بالمنيا سنة ١٨٨٨م .

انظر د. جميل عبيد . المديرية الاستوائية . مرجع سابق ص ٧٦ .

(٢) نعيم شكير . تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٣) شاليه لونج فرنسى الأصل هاجرت أسرته إلى أمريكا الشمالية ولد سنة ١٨٤٢م ، اشترك كضابط فى الحرب الأهلية الأمريكية سنة ١٨٦١م - ١٨٦٥م عمل كصحفى وانضم لخدمة مصر سنة ١٨٧٠م صاحب غردون إلى المديرية الاستوائية وزار يوغندا واكتشف بحيرة كيوفا التى أسماها بحيرة ابراهيم . كتب عدة كتب عن أفريقيا هاجم فيها غردون وسياسته . توفى سنة ١٩١٧م ويعتبر من المخلصين لمصر . انظر : جميل عبيد - المديرية الاستوائية . مرجع سابق ص ١٢٠-١٢١ .

وابراهيم فوزى (١) ورومولو جيسى الايطالى و المهندس لبنان (٢) الفرنسى وغيرهم من الضباط والمهندسين (٣) .

وصلت الحملة الى قاشو<sup>٣</sup> بعد مسيرة سبعة ايام فى النيل فاستقبلها مديرها بالحفاوة والتكريم وشهد غردون وابراهيم فوزى بما وصلت اليه البلاد كمن العمران والتقدم وذلك بفضل عناية الحكومة المصرية (٤) .

تابعت الحملة سيرها جنوباً حتى وصلت غندكر<sup>٤</sup> والتى سميت بالاسماعيلية نسبة الى الخديو اسماعيل . وكان يقيم فيها رؤوف باشا الذى استخلفه بيكر فى ادارة مديرية خط الاستواء فقابل غردون بالحفاوة وأطلعته على احوال البلاد وشئونها . وقد أبقاء غردون قليلاً ثم مالبت أن أقاله .

رأى غردون أن مناخ الاسماعيلية ليس صالحاً فنقل مركز الحكومة الى اللادو<sup>٥</sup> التى أصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة مديرية خط الاستواء .

(١) ابراهيم فوزى من ضباط الجيش المصرى . حضر للخرطوم فى سنة ١٨٧٤م فى طريقه الى الاستوائية . عمل بالاستوائية رابطة<sup>٦</sup> من سنة ١٨٧٤م وفى سنة ١٨٧٦ تولى ادارتها خلفاً لبروت . اتهم باستغلال نفوذه وتعرض للمحاكمة حيث ثبتت براءته . خلفه على ادارة المديرية الدكتور أمين . ناصر الحركة العربية . عمل كحكمдар لبوليس القاهرة . اشترك فى قيادة القوات المصرية المدافعة عن الخرطوم ضد حصار المهديّة كتب كتاباً عن ذكرياته فى السودان اسماه السودان بين يدي غردون وكتشر . انظر المرجع السابق ص ١٣٠ .

(٢) مهندس فرنسى قدم الى مصر سنة ١٨١٨ كحيث عمل فى خدمة محمد على ثم استقال واشترك فى رحلات كشفية فى النيل ثم عاد لخدمة مصر سنة ١٨٣١ عين للاشراف على الشؤون الداخلية سنة ١٨٦٩م ومنح الباشوية سنة ١٨٧٣ اشترك فى تصميم مشروع قناة السويس . تزوج من حبشية . انظر د . جميل عبيد : المديرية الاستوائية . مرجع سابق ص ١٢١ .

(٣) انظر د . جلال يحيى - مصر الأفريقية ص ٧٢ .

(٤) انظر ابراهيم فوزى - السودان بين يدي غردون وكتشر . مرجع سابق ص ١٥ .

بعد أن تولى شؤون الحكومة فى تلك الجهات تابع غردون سيره جنوباً حتى بلغ بحيرة ألبرت التى اكتشفها بيكر من قبل وأستولى على عشرة مراكب من سفن الأهالى استخدمها لاكتشاف شواطئ البحيرة . كما استقدم من الخرطوم العدد الكافى من البواخر النيلية ومن آلات الترسانة المصرية بالخرطوم وعمالها وأنشأ شمالى بحيرة ألبرت ترسانة لتنظيم الملاحة فى أعالى النيل .

أنشأ غردون عدة نقاط عسكرية حصينة على شاطئ النيل كما حصن النقاط التى أنشأها بيكر من قبل فمن ما أنشاه نقطة سوياط على ملتقى نهر السوياط بالنيل ونقطة الناصر على نهر السوياط وشامية وبور والاندول ولايورى والرجاف والدفلاى على النيل الأبيض ومكركة جنوب بحر الغزال ومولى على نيل فكتوريا ومقناقو الواقعة على مصب نيل فكتوريا فى بحيرة ألبرت (٢) .

أراد غردون أن يتجنب الأخطاء التى وقع فيها بيكر وخاصة فى علاقته مع قبائل البارى التى كان يهاجمها بيكر واستطاع غردون بمعاونة موظفيه أن يسوس تلك القبائل بسياسة فيها الكثير من اللطف والرغبة فى مساعدتهم .

قام غردون بسحب الحامية المصرية التى كانت موجودة بأوغندا رغم عدم موافقة اسماعيل على هذا الأمر وذلك حين شعر غردون أن ملك أوغندا حول ولائه من مصر (٣) .

ولكن الدكتور جلال يحي يرى أن غردون لم يكن مخلصاً للإدارة المصرية وإنما كان ينفذ السياسة البريطانية فى أفريقيا ويقول فى ذلك " ولما كانت مهمة غردون فى مديرية خط الاستواء قد قاربت على الانتهاء عاد إلى مصر ومنها إلى لندن تاركاً الحرية التامة للإنجليز لى يعملوا من شرق أفريقيا متجهين

(١) هى جوبا الحالية .

(٢) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٨٥ .

(٣) د. جلال يحي - مصر الافريقية . مرجع سابق ص ٧٥ .

جنوب هضبة البحيرات ، وشهدت هذه السنة إنشاء شركة شرق أفريقيا الامبراطورية البريطانية ، لاستغلال الأراضي الواقعة بين زنبار وهضبة البحيرات (١) .

ويشاركه في هذا الرأي المؤرخ عبد الرحمن الرافعي إذ يقول في كتابه عن عصر اسماعيل " وغنى عن البيان أن غردون لم يكن يبغى من استغلال اوغندا دفاعاً عن مصلحتها ، بل كان ما يبغيه أن تكون بعيدة عن التبعية المصرية حتى تصير فيما بعد لقمة سائغة لانجلترا وقد بسطت فعلاً حمايتها عليها بعد فصل السودان . وهكذا يتبين لنا أن غردون لم يكن خالص النية لمصر مثل شاي لونج بل كان يخدم السياسة الإنجليزية أثناء تقلده منصب الحكم في مديرية خطط الاستواء وكذلك عند ولايته حاكماً عاماً على السودان سنة ١٨٧٧م (٢) .

حقيقة كان غردون ينفذ السياسة البريطانية في أفريقيا . فمراسلاته مع أخته تكشف أنه كان يضع سياسة بلاده فوق كل الاعتبارات ويسعى لخدمة امبراطوريته وإذا تذكرنا أن تغنيته في السودان قد تم وفق نصيحة ولى عهد إنجلترا أدركنا الغرض الذي جاء من أجله . اضافة إلى ذلك الراتب المغير الذي قبل به نظير القيام بهذه المهمة يدل على أن للرجل أهدافاً أخرى .

(١) د . جلال يحيى : مصر الافريقية . مرجع سابق ص ٧٥ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر اسماعيل . مرجع سابق ج ١ ص ١٢٨ .

بلغ نجاح غوردون فى مهمته خذاً أبعد من بيكر ، لأن غوردون استطاع أن يكسب مودة بعض القبائل وذلك بمعاونة الاداريين الذين اختارهم للعمل معه . كما أنه أقام حوالى عشر محطات عسكرية فى تلك المناطق ساعدت كثيراً فى تثبيت الأمن ومطاردة تجار الرقيق . كذلك جعل الاتصال بين الشمال والجنوب أمراً مأموناً لاحتفه المخاطر مما جعل من الممكن للتجارة بين الشمال والجنوب أن تسير بنجاح . ولكن مما لا شك فيه أن غوردون قد تسبب فى ضياع أوغندا التى كانت تنظر شمالاً فى ارتباطها بالعالم الخارجى ، ولكن منذ استقلالها اضحت تتجه شرقاً نحو كينيا وشرق أفريقيا وانقطع اتصالها بمجرى النيل (١) .

بقى الكولونيل غوردون مديراً للعموم خط الاستواء إلى أن استقال من منصبه سنة ١٨٧٦م وعاد إلى القاهرة ومنها لانجلترا التى لم يلبث فيها أكثر من ثلاث سنوات حتى تدخلت الحكومة البريطانية لدى اسماعيل لتعيينه حاكماً عاماً على السودان .

عندما غادر غوردون مديرية خط الاستواء استخلف عليها وكيله الكولونيل بروت (٢) وهو ضابط أمريكي التحق بخدمة الجيش المصرى وخدم تحت لواء غوردون باشا ، وبعد استقالة بروت تولى إدارة هذه المديرية اللواء ابراهيم

- 
- (١) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ٨٥-٨٦ .  
 (٢) بروت بك أمريكى الاصل ١٨٤٥-١٩٢٧م . اشترك فى الحرب الأهلية الامريكية ثم حصل على شهادة فى الهندسة الميكانيكية من جامعة ميتشيجان . التحق بخدمة جيش مصر سنة ١٨٧٢م . اشترك فى قيادة بعثة إلى كردفان سنة ١٨٧٥ وقدم تقارير هامة عن كردفان ودارفور . رقى إلى رتبة قائم مقام ونقل إلى الاستوائية ليخلف غوردون . بقى مديراً على الاستوائية من ديسمبر ١٨٧٦ إلى مايو ١٨٧٧م حيث ذهب لانجلترا للاستشفاء ثم استقال من الحكومة المصرية وعاد إلى أمريكا حيث عمل كمحرر صحفى ثم مديراً لشركة هندسية وتفرغ للتأليف فى آخر حياته . انظر جميل عبيد : المديرية الاستوائية . مرجع سابق ص ١٢٩-١٣٠ .



فوزى ثم فصل منها وعين مكانه الدكتور أمين<sup>(١)</sup> . وقد بقى مديراً عليها  
حتى قيام الثورة المهدية (٢) .

#### ادارة السودان الشمالى فى هذه الفترة :

ذكرت أن اسماعيل بعد ثورة الجهادية فى كسلا قد أعفى جعفر باشا  
صادق من الحكمدارية وعين بدلاً عنه جعفر باشا مظهر الذى دامت فترة حكمه  
الى الثانى من جمادى الأولى سنة ١٢٨٨ هـ الموافق يوليو ١٨٧١م وكان رجلاً  
عفيفاً صادقاً محمود الحكم . وقد خلفه ممتاز باشا (٣) محافظ سواكن (٤) .

كان اسماعيل قد أجرى تعديلاً ادارياً فصل بموجبه مديرية بربر من  
الحكمدارية وجعلها مديرية قائمة بذاتها وتتبع فى ادارتها للمعية السنية<sup>(٥)</sup>

(١) اسمه الأصلى ادوارد شينترز . ولد فى ٢٨ مارس ١٨٤٠ بألمانيا ، لأب  
بروتستانتى المذهب وليس يهودياً كما ورد فى بعض المصادر . التحق  
بدراسة الطب وكان شديد التأثر بأى نقد يوجه له . سافر خارج بلاده  
حيث أصبح طبيباً للحجر الجمرى فى ميناء ألبانى خاضع لتركيا . اندمج  
فى الجو الشرقى وتعلم اللغة العربية . فى سنة ١٨٧٠م ترك عمله السابق  
وتحول لخدمة حاكم ألبانيا التركى وظل فى حاشيته إلى أن توفى  
الحاكم فتزوج زوجته ثم اختفى من ألبانيا واتجه إلى سوريا ومصر حيث  
ادعى أنه تركى وغير اسمه وديانته ، فادعى الاسلام وتسمى باسم  
الدكتور أمين . ولكن كثيراً من المراجع تشير إلى أن ادعاءه للاسلام  
لم يكن خالصاً . اتجه من مصر نحو الخرطوم التى وصلها فى ديسمبر  
١٨٧٥م وانقطعت أخباره بعد ذلك عن أقاربه لمدة خمسة عشر عاماً . استدعاه  
غوردون من الخرطوم وعينه طبيباً فى الاستوائية ثم عين مديراً عليها  
وظل بها الى قيام الثورة المهدية .

انظر: د. جميل عبيد: المديرية الاستوائية . مرجع سابق ص ١٢٦-١٢٧ .

(٢) انظر عبدالرحمن الرافعى : عصر اسماعيل . مرجع سابق ج ١ ص ١٣٠ .

(٣) توفى سنة ١٨٧٥م ودفن بالخرطوم .

(٤) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٥٧ .

(٥) تعبير يقصد به الخديو .

لا للحكومة المصرية . وقلدت ادارتها لحسين بك خليفة كبير عربان العبادة ومتعهد العمور وفصلت حسابات المديرية من ميزانية الحكمدارية . جاء ذلك فى خطاب الخديوى اسماعيل الذى ارسله لحسين بك خليفة وقد جاء فيه " بناء على ما علمناه فيكم من الأهمية واللياقة والاستعداد قد رقيناكم الى الرتبة الثانية وأوليناكم مدير بربر وجعلنا هذه المديرية قائمية بذاتها مفروزة عن حكمدارية السودان ، غير تابعة الحكمدارية ولا يكتسب لديوان المالية عليها مراجعة ولا ملاحظة بل تكن تبعيتها لمعيتنا وفقط المكاتبات والمخابرات العادية يكتب عنها الى نظارة الداخلية ، وأما باقى أشغالها وحساباتها ومصالحها يكتب عنها لمعيتنا بدون واسطة " (١)

هذا ولم يذكر اسماعيل أو أى مصدر آخر سبب اتخاذ هذا الاجراء . بعد اقالة جعفر باشا مظهر أجرى اسماعيل تعديلاً اداريا آخر قسم السودان بموجبه الى قبلى وبحرى . أما قبلى السودان فيشمل مديريات الخرطوم وسنار وفازو على والبحر الأبيض ( النيل الأبيض ) وكردفان والتاكة وعين ممتاز باشا مديراً له . أما بحرى السودان فيشمل مديريتي دنقله وبربر وبذلك رجعت مديرية بربر لسلطة الحكومة وانفصلت من المعية وعين حسين بك خليفة مديراً لبحرى السودان (٢) .

اهتم ممتاز اهتماماً واسعاً بالزراعة فأدخل زراعة القطن المصرى ، ولكنه اتهم بالرشوة وذكرت بعض المصادر أنه أخذ من سنار وحدها مائة وخمسين ألف ريال . كما أشارت هذه المصادر الى أن أهل السودان قد أكثروا من الشكوى منه فاقف عن الخدمة سنة ١٨٧٣م وسجن فى الخرطوم للتحقيق فى تلك الشكايات وتشير تلك المصادر الى وفاته فى السجن سنة ١٨٧٥م (٣) .

(١) د . مكى شبيكه : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٦٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٦٨ .

(٣) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٧٥ .

إلا أن الشاطر بصيلى عبد الجليل قد أفرد فى كتابه معالم تاريخ السودان وادى النيل ملحقاتاً خاصاً دافع فيه عن ممتاز باشا ورد التهم التى أتهم بها ومن بعض ما جاء فى دفاعه عنه "عين ممتاز باشا مديراً لعموم قبلى لما عهد فيه من كفاءة وجدارة وخبرة بشئون السودان الاقتصادية والإدارية . ودخلت فى اختصاصه مديريات الخرطوم وسنار والنيل الأبيض وفازوغلى . وفى المدة القصيرة التى قضاه فى مركزه هذا ، وجه اهتمامه نحو فحص موارد الميزانية ومصرفاتها . وعمل على معادلتها أو على الأقل تخفيف ما تدفعه الخزنة العامة لتغطية عجز ميزانية مديريات السودان . لذلك أوقف الاحسانات التى تدفع للعلماء . كما أدخل تعديلات على الضرائب التى رفعها سلفه جعفر باشا مظهر بما يقرب من الخمسين فى المائة لغير ما سبب أكثر من أنه أراد أن يعرف ما ستكون عليه حالة دافع الضرائب وعند ذلك ينظر فى تعديلها . كما رفع ممتاز عن أهالى النيل الأبيض وغيرهم المبالغ الإضافية التى فرضها جعفر باشا لسداد قيمة نصف استحقاق مرتبات السوارى والعسكر المعيّنين للمحافظة على الأمن . وقد جعل ممتاز جباية الضرائب تقوم على أساس مقدرة الفرد المالية . فكان على الأغنياء أن يدفعوا أموالاً أكثر مما كانوا يدفعونه فى الماضى ، الذى كان المواطن العادى يتحمل أكثر العبء . ومن هذا يتبين لنا مدى ما كانت عليه السياسة المالية من تخبیط بسبب الارتجال وفقدان الكفايات والخبراء . فأشارت هذه التعديلات التى أجراها ممتاز الطبقة الغنية صاحبة النفوذ . ومن هنا بدأت الدسائس تدبّر للخلاص من ممتاز باشا وقد تزعم هذه الحركة معنى بك الشامى وكيل مديرية الخرطوم وصناعة اسماعيل باشا صديق<sup>(١)</sup> المفتش الذى كان عدواً لدوداً لممتاز

(١) عين وزيراً للمالية فى سنة ١٨٦٨م وظل قابضاً على الشؤون المالية فى مصر وملحقاتها لمدة ثمانى سنوات . ويعتبر هو المسئول الأول عن اغراق مصر فى الديون وتسليمها للدائنين وقد أثرى شراءاً فاحشاً خلال تقلده لمنصبه هذا . قتل فى ظروف غامضة . وتشير بعض المصادر الى ان اسماعيل أغرقه فى النيل كما تقول أخرى انه قد بعث به الى دنقله ليقتل هناك . انظر د . مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل . مرجع سابق ص ٥٢١ .

بسبب خشيته من ازدياد نفوذ ممتاز لنشاطه وقدرته على معالجة مشاكل السودان المالية والإدارية . لذلك كان إسماعيل باشا صديق اليد الخفية التى تلعب لأعداد الشكاوى وأرسالها إلى الخديو عن تصرفات ممتاز باشا التى صورت بأنها تزوير فى السجلات وأدعى البعض كما تناقلته الروايات أنه يقبل الرشاوى ولم يكن من العسير فى زمن ساد فيه الانحلال أن يذهب ممتاز باشا ضحية منافسيه من رجال السلطة فى مصر ، الذين كان يهيمهم اختفاء أمثال ممتاز باشا واقصائهم عن مراكزهم والقضاء عليهم ليخلو لهم الطريق للوصول إلى تحقيق مطامعهم الذاتية .

" وكان من نتيجة هذه الشكاوى التى صاحبها الرسل يحملون الهدايا ومنهم معنى بك الشامى أن تعطلت المشروعات التى بدأها ممتاز لمعارضته المديرين لتنفيذها لأسباب غير معروفة . كما ألقى القبض على ممتاز عند وصوله إلى القاهرة ووضع فى السجن فى القلعة (١) بالقاهرة حيث أمضى حوالى الشهر حتى ظهرت براءته وأطلق سراحه . وقد كافاه الخديو بأهدائه عزبتين مساحة كل منها ٢٥٠ فدان أحدهما فى دار البقر فى المحلة الكبرى والثانية فى كفر الدوار . وقد حزت فى نفسه حالة القبض عليه وإيداعه السجن بسبب الوشايات وعز عليه أن يعامل بمثل هذه المعاملة بعد جهوده المضنية التى بذلها لرفاهية السودان وتقدمه الاقتصادى . وعاد إلى الخرطوم بمفرده بعد أن ترك عائلته فى القاهرة .

ولا شك أن طول مدة السفر قد ضاعف من هواجسه حتى وصل إلى الخرطوم فى حالة نفسية غير طبيعية . وبينما كان متاهباً لاستقبال المهنئين فى إحدى المناسبات المعتادة وجد أنه قد خرج مبكراً عن الموعد المحدد فاستلقى على أريكة ليسترىح قليلاً وطلب من خادمه الخاص أن ينبهه عند اقتراب الموعد

(١) ذكر نعيم شقير أن سجن ممتاز باشا كان فى الخرطوم . وللتوفيق بين الروايتين يمكن أن يكون ممتاز قد سجن أولاً فى الخرطوم ثم أُرسل إلى القاهرة وسجن بعض الوقت حتى تمت براءته ثم عاد إلى الخرطوم حيث توفى بها .

ولما ذهب إليه وجد أنه قد فارق الحياة وله من العمر مايزيد قليلاً عن الخمسة والأربعين عاماً . هذا ما ذكره خادمه الخاص نقلاً عن حفيده ابراهيم رياض المحامى . وقد أُيدَ هذه الرواية أكثر من شخص من المعمرين . وطويبت بوفاته صفحة شخصية قدمت للبلاد أجل الخدمات فى الوقت الذى وصل فيه الانحلال إلى مرحلة خطيرة .

« و اراد الخديو اسماعيل أن يرسل ابنه الوحيد محمود فى بعثة إلى الخارج مع " البرنس " حسن غير أن والدته رفضت أن يفارقها وحيدها الذى استمر فى صرف معاشه عن والده ممتاز باشا حتى وفاته فى سبتمبر ١٩٤٢م (ولد حوالى ١٨٦٧م) وله من العمر خمسة وسبعون عاماً . ويرجع استمرار المعاش طوال هذه المدة لعاهة فى إحدى العينين .

لا وهكذا يتبين لنا أثر الشائعات التى استطاعت ان تقلب الحقائق وتزورها . وقد جاء فيها أن ممتاز حبس فى الخرطوم لأكثر من خمسة أعوام فى انتظار هيئة المحاكمة برئاسة خالد باشا . وقالوا إن أملاكه قد صودرت وأنه مات مسموماً . وكل هذا لانصيب له من الصحة . ف خالد باشا ذهب إلى السودان فى سنة ١٨٧٤-١٨٧٥م وشغل منصب وكيل الحكم دار اسماعيل باشا أيوب . وقد أعفى خالد باشا من أعماله ونقل إلى مصر بسبب عدم رضا اسماعيل أيوب عن أعماله . وجاء فى خطاب آدم باشا العريفي مأمور إدارة عموم قبلى السودان ، الذى استلم أعمال المديرية بعد وفاة ممتاز باشا مايفيد بان وفاته قد حدثت فى اواخر عام ١٨٧٢م (١) .

وفى اعتقادي ان هذه الحجج التى أوردها الكاتب كافية لدحض التهم التى أُلصقت بممتاز باشا الذى شهدت له أعماله فى سواكن عندما كان محافظاً عليها ، وادارته لقبلى السودان تدل على كفاءته وخبرته خاصة فى مجالات الزراعة .

(١) الشاطر بصيلى عبدالجليل : معالم تاريخ السودان وادى النيل . ملحق رقم ٨ ص ٢٧٢ وما بعدها .

### الحكمدار اسماعيل باشا أيوب : (١)

بعد سجن ممتاز وعزله عين اسماعيل باشا أيوب مديراً عاماً لأقاليم  
قبلى السودان وقد جاء فى خطاب تعيينه الصادر فى الثالث من جمادى الآخرة  
١٢٨٩ هـ الموافق اغسطس ١٨٧٢م ما يلى :

" بناءً على صداقتكم ولياقتكم المعلومة والمسلمة قد وجهنا إليكم  
رتبة اللواء الرفيعة وعيّنّاكم مديراً عاماً لأقاليم قبلى السودان ، وحيث  
أنّ تلك المديرية المحالة إليكم صالحة ومستعدة للتمدن والعمران من كل  
الوجه فبناءً عليه يجب أن تبادروا بتعليم وتلقين أهاليها أصول الزراعة  
والفلاحة وتأهيلهم بالتدريج للتمدن والعمران ، وحيث أن رؤى يـــــــة  
وتسوية أمور ومصالح العباد فى دائرة الحق والعدالة ورفاهيتهم وحضارتهم  
وراحتهم من مقتضى ارادتنا فبناءً عليه يجب أن تبذلوا أقصى الجهد فى هذه  
المهمة لتحققوا آمالنا المعهودة فيكم ومزيد توجهاتنا نحوكم ولذلك  
أصدرنا لكم أمراً هذا " (٢) .

بعد أن قضى اسماعيل باشا أيوب فى هذا المنصب مدة خمسة عشر شهراً ،  
عادت الإدارة إلى مركزيتها ورجعت الحكمدارية بتعيينه حكمداراً على الأقاليم  
السودانية بعد فشل اللامركزية وتجزئة السودان إلى إدارات مستقلة حيث  
أن تكوينه الجغرافى لا يدع مجالاً لمديريات منفصلة ولا بد من أن تحتك أجزاء  
الإدارة الحكومية . فقد كان يشكو مثلاً مديير الخرطوم من مدير التاكسية

(١) اسماعيل باشا أيوب من ضباط الجيش المصرى فى السودان ، التى قضى  
بها فترة طويلة شغل خلالها منصب وكيل الحكمدارية ورئيس مجلس  
السودان قبل أن يصبح حكمداراً على البلاد . انظر عبدالرحمن زكى  
حكمدارو السودان - المجلة التاريخية المصرية . المجلد الأول ١٩٤٨م  
ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .

(٢) أمين سامى : تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا . مرجع سابق . المجلد  
الثانى ج ٣ ص ١٠١٠ .

لالتجاء القبائل التابعة لمدير الخرطوم إلى التاكة هرباً من دفع الضرائب  
كما شكّا حسين بك خليفة إلى الخديو من معاكسة مدير قبلى السودان للفارين  
من مديريته ومنعهم من الرجوع إلى أوطانهم .

وقد حدث فى هذه الفترة ضم بحر الغزال ودارفور إلى الادارة المصرية .

#### (١) - ظهور الزبير وضم بحر الغزال إلى أملاك الحكومة :

الزبير رحمة من التجار السودانين الذين ذهبوا مبكراً إلى الجنوب  
وهناك نمت تجارته واتسعت أملاكه كما أنه صاهر أحد الملوك فى تلك الجهات  
ونظراً لاتساع تجارته اضطر إلى تكوين جيش قوى يحمى به نفسه وأمواله نظراً  
لانعدام الأمن فى تلك المناطق حيث أن هذه المناطق كان يحكمها حكام محليون  
ولم تكن سلطة الحكومة المصرية قد وصلت إليها .

دخل الزبير فى معارك مع أحد الزعماء واستطاع ان يهزمه ويستولى  
على أملاكه وبذلك أصبح هو المتنفذ فى تلك الجهات واتخذ بلدة سماها ويسم  
الزبير عاصمة له .

ويصف الزبير كيفية انتصاره واتساع نفوذه بقوله : " وخرجت إلى  
بلاد قولو حيث يقيم الملك عدوه شكوت فدخلتها أول محرم سنة ١٢٨٢ الموافق  
٢٧ مايو سنة ١٨٦٥م وكان هذا الملك قد غدر بأخى منصور وقتله هو ورفاقه

---

(١) هو الزبير بن منصور بن على بن محمد بن سليمان بن ناعم بن سليمان بن  
بكر بن شاهين بن جميع بن جموع بن غانم العباس . من قبيلة الجميعاب  
ولد فى ١٧ محرم سنة ١٢٤٦ الموافق ٨ يوليو ١٨٣١م تعلم القرآن بكتاب  
الخرطوم وحفظ القرآن وتفقه على مذهب مالك . اشتغل بالتجارة ثم سافر  
مع ابن عمه إلى بحر الغزال فى خدمة التاجر على عمورى الذى أصبح  
الزبير وكيلاً له . فتح بحر الغزال ودارفور باسم الحكومة المصرية  
وعين مديراً لبحر الغزال . ذهب إلى مصر ولكن الحكومة تحفظت عليه  
هناك ولم يرجع إلى السودان إلا بعد نهاية دولة المهديّة .  
انظر عبد الله حسين المحامى : السودان فى التاريخ القديم ، رحلة  
البعثة المصرية ج ٢ ص ٤٧ .

الذين أرسلتهم للتجار في بلاده واستولى على جميع مالهم فلم يشك فــــى  
أننى جئت للأخذ بشار أخى فلم يسمح لى بالبقاء فى بلاده وتهددنى بالحرب  
فتزلفت إليه بالهدايا وأكدت له اللامد لى سوى التجارة فرفض الهدايا  
وأصر على خروجى من بلاده فى الحال وكان الفصل شتاءً والبلاد مغمورة بالمياه  
فسألته أن يمهلنى إلى أن ينقطع المطر وتفتح الطرق فأبى فناجزته إذاك الحرب  
وجرى بينى وبينه عدة وقائع دموية حتى قتل فخلفه ابنه فتغلبت عليه  
وأخذته أسيراً وامتلكت بلاده وجميع البلاد المجاورة لها إلى بحر العرب  
وأخذت عاصمته بابه التى سميت بعد ذلك بـيم الزبير مركزاً لى فصرت فيها  
ملكاً وصارت الناس تتقاطر إلى من كل الجهات للانتظام فى خدمتى فجلبــــت  
الأسلحة وجمعت جيشاً قوياً وحكمت البلاد بالكتاب والسنة وشرعت فى تمدنها  
وعمارتها وتوسيع نطاق التجارة فيها" (١) .

والا أن تاريخ الزبير قد شوه من قبل الأوربيين وتبعهم فى ذلك بعض  
المؤرخين السودانين والمصريين . والسبب الذى قصده المؤرخون الأوربيون  
فى ذلك هو إذكاء روح البغضاء بين سكان السودان الجنوبى والشمالى . وقد  
نجحوا فى ذلك إلى حد كبير . ومامشكله جنوب السودان إلا أثراً من آثار تلك  
السياسة . ولكن المستغرب حقاً أن ينقل أبناء مصر والسودان تلك السموم  
باعتبار أنها حقائق . وحتى عبدالرحمن الرافعى الذى عرف بموضوعيته قد  
وقع فى هذا الخطأ حين قال " كان الزبير أكبر تجار السودان وخاصة فى  
تجارة الرقيق وله نفوذ واسع وسلطان كبير فى إقليم بحر الغزال " . ويضيف  
" .. وتقاطر الناس للانتظام فى خدمته فجمع لنفسه جيشاً قوياً لتأييد  
سلطته واقتناص الرقيق وفتح طريق التجارة من بحر الغزال إلى كردفان " (٢)

(١) نعيم شكير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٦٥ .

(٢) عبدالرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ج ١ . مرجع سابق ص ١٣٣ .



ولكن الاستاذ ضرار صالح ضرار يدافع عن الزبير بقوله : " دخل الزبير بحر الغزالودارت بينه وبين ملوك قبائلها عدة مناوشات انتهت بانتصاره عليهم وتأسيس حكومة هو رئيسها تحكم المنطقة حكماً اسلامياً بعد أن كَوّن لنفسه مجلساً للشورى من بعض العلماء لاقرار أحكامه فى تلك المناطق . ومن الجدير بالملاحظة أن حكومة الزبير هى أول حكومة اسلامية تقام فى بحر الغزالوفتح للتجار الشماليين أبواب تلك المنطقة التى كانت تحت حكمه تنعم بالهدوء والأمن " (١) .

ويتحدث باحث آخر مدافعاً عن الزبير بقوله : " لقد لعب الزبير باشا الذى أفلح فى قيام دولة تحكم بالشريعة الاسلامية فى بحر الغزال دوراً مميزاً فى نشر اللغة العربية والاسلام وقد تعرض اسم الزبير لكثير من التشويه والتشهير مما جعل صورته تهتز فى الأذهان إذ درج بعض الباحثين على اظهاره كتاجر رقيق ليس إلا متجاهلين الظرف التاريخى وظرف المنطقة وأوضاعها ومتناسيين اصلاحات الزبير ودوره الرائد فى وضع لبنة هامة فى بناء السودان المعاصر " (٢) .

ومما يؤكد اهتمام الزبير بالاسلام وتربية جيشه عليه أن أحد قواده عندما رفض التسليم للايطالى جيسى سار بجيشه إلى منطقة تشاد حيث أسس مملكة إسلامية عاصمتها وداى . . وكان هذا القائد هو رابح فضل الله المعروف برابح الزبير وقد دوخت هذه السلطة الاسلامية الفرنسيين فى تلك الجهات إلى أن تمكنوا فى النهاية من القضاء عليها .

- 
- (١) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ، مرجع سابق ص ٨٦-٨٧ .  
 (٢) حسن مكى محمد أحمد : السياسة التعليمية والثقافة العربية فى جنوب السودان المركز الاسلامى الأفريقى بالخرطوم . شعبة البحوث والنشر ١٩٨٣م ص ١١ .

— ضم بحر الغزال :

فى هذا الأثناء الذى سيطر فيه الزبير على معظم بحر الغزال، وضع حكمدار السودان خطة لضم اقليم بحر الغزال إلى نفوذه وعين أحد أهالي غرب السودان ويدعى الشيخ محمد البلالى (١) ناظرًا لقسم بحر الغزال ليكون تابعًا لمديرية فشودة وعيّن له معاونيه وكتبة وجنود. وشعر الزبير بأن الشيخ البلالى يريد أن يهدم ما بناه من مملكة فدخل معه فى صراع انتهى بمقتل الشيخ البلالى وانتصار الزبير . وقد خف إلى مكان المعركة معاون من الحكمдарية ومعه مجموعة من العساكر لاجراء تحقيق فى الأمر ، بعث بنتيجته إلى الخرطوم (٢) .

وصلت هذه التحقيقات إلى الخرطوم عندما كان آدم باشا العريفى يقوم مقام مدير عموم قبلى السودان بدلاً من ممتاز باشا الذى عزل رهن التحقيق وقبل أن يصل اسماعيل باشا أيوب المدير العام الجديد . ورأى آدم باشا أن يناط بمدير كردفان ضبط الزبير للتحقيق معه فيما نسب اليه ، لأن المسافة من الخرطوم إلى بحر الغزال بعيدة ، غير أن الزبير بفطنته وذكائه قد عرف أنه إذا ما سارت الأمور على طريقها الرسمى فسوف تعده الحكومة ثائراً ولا تستطيع أن تدرك الظروف التى تحت ضغطها دافع عن نفسه وأمواله . ورأى أن يوسط حسين بك خليفة مدير بربر ودنقله آنذاك وشرح له الحالة شرحاً وافياً وأظهر الخضوع والامتثال لسلطة الحكومة ونتيجة لذلك رأى الخديو أن يعفو عنه وأصدر أمره لمدير قبلى السودان باعطائه الأمان (٣) .

---

(١) انظر مكي شبكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٨٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٤ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

بدأ الزبير بتنظيم ملكه ودخل في حرب مع عربان الرزيقات فانتصر عليهم واستولى على مدينة شكا . وفر بعض مشايخ الرزيقات إلى سلطنة الغور . بعد ذلك كتب الزبير إلى الحكمدار اسماعيل باشا أيوب يخبره بالوضع في منطقته فرد عليه بخطاب جاء فيه " عرضنا كتابكم على الجناب العالي الخديو فشكر ولاكم وأمتدح رغبتكم في وضع البلاد التي فتحتموها بين يديه ليولى عليها من يشاء وقد أنعم عليكم بالرتبة الثانية مع لقب بك وولاكم أمر البلاد على أن تدفعوا لخزينته جزية سنوية قدرها ١٥٠٠ جنيه " (١) قال الزبير " فقبلت الجزية وتوليت أمر البلاد رسمياً وشرعت في تنظيمها وعمرانها . ولكن السلطان ابراهيم سلطان دارفور لم يطق الصبر على بقائها في بلاد شكا وأصدر أمره إلى أحمد شقة مقدم الجنوب في دارا وسعد النور مقدم الشرق (٢) فأخذا في حشد الجيوش وجمع العدة لاجراي منها . وكننت أراقب حركات المقدمين وسكناتهما وأبلغها اسماعيل باشا أيوب في الخرطوم فيرفعها إلى اسماعيل باشا الخديو في مصر فأقر الخديو على اغتنام الفرصة التي كانت تترقبها حكومته . منذ فتح كردفان وأرسل إلى ٢٨٠ من العساكر المنظمة وثلاثة مدافع نجدة وأمر اسماعيل باشا أيوب فجهز جيشاً مؤلفاً من نحو ٣٦٠٠ مقاتل من الجنود السودانية والمصرية والباشيرق (٣) والشايقية والأتراك والمغاربة والمتطوعة على أن يزحف بها على دارفور من الشرق وأنا أزحف عليها من الجنوب وشمم الفتح . على أن الفتح كله تم عن يدي ( هكذا ) بعون الله ولم يبق لجيش الشرق أقل عمل فيه " (٤) .

(١) نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٧٤ .

(٢) كانت سلطنة الغور مقسمة مقدمات ( مقاطعات ) كل مقدمية يحكمها مقدم نيابة عن السلطان .

(٣) هم الجنود المتطوعة والمرتزة غير النظاميين . وقد سبق شرحها .

(٤) نعوم شقير . تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٧٤ .

تحرك الزبير والتقى بقوات الغور والتي كان يقودها السلطان ابراهيم  
 في عدة معارك كانت آخرها معركة منواش في ١٤ من رمضان سنة ١٢٩١ هـ الموافق  
 ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٧٤م وفيها قتل السلطان ابراهيم . واستطاع الزبير  
 أن يدخل الفاش عاصمة السلطنة وبذلك انتهت هذه السلطنة الاسلامية التي  
 استمرت أكثر من ثلاثة قرون .

أما الحكمدار اسماعيل أيوب فقد وصل الفاش بعد أن تم للزبير دخوله  
 بعدة أيام لابتعد دخوله الفاش شرع الحكمدار اسماعيل باشا أيوب في بناء  
 استحكام منيع للعساكر على التلة الغربية من الفاش فبنى سوراً مربعاً  
 متيناً من الطوب سمكه ثلاثة أقدام وطول الضلع الواحد منه ٢٠٠ قدم وأقام في  
 أركانه الأربعة أبراجاً على كل ركن برجاً جعل فيها المدافع وحفر من  
 وراء السور خندقاً بلغ عمقه خمسة عشر قدماً وأحاط الخندق بزريبة ( سور )  
 من شوك وبنى من داخل السور ديواناً للحكومة ومنزلاً للحاكم وقشلاقاً  
 ( ثكنة ) للعساكر المنظمة وأما العساكر الغير منظمة فقد أقرها خارج السور  
 وهدم المنازل التي إلى جوار السور فجعل الأرض التي حوله في غاية الانكشاف  
 إلى مسافة بعيدة فجاء حصناً منيعاً جداً ثم وزع منشوراً في كل البلاد ودعا  
 الناس إلى الفاش لأخذ الامان فصارت الوفود تاتي من الجهات الأربعة  
 فيؤمنهم ويرجعهم إلى بلادهم . ثم أمر فعمرت سوق كبيرة في الفاش  
 وعاد الناس إلى معاطاة أشغالهم كالعادة " (١) .

بعد ذلك قسم اسماعيل البلاد إلى أربعة أقسام كل قسم يعتبر  
 مديرية وهذه الأقسام هي الفاش ودارا وكبكية وأم شنقة وأقام في كل من  
 دارا وكبكية حصناً كالذي أقامه في الفاش وشرع في وضع الضرائب على السكان  
 فجعل على كل شخص خمسين قرشاً في العام . أما الأغنياء فقد جعل ضرائبهم أكبر (٢)

(١) نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٨٣ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٨٤ .

ولكن الزبير اعترض على هذه الضرائب وقد قال فى هذا المصد " ولما كنت على يقين أن هذه الضرائب تشغل على الأهلىن فلا يطبقونها نصحت الحكماء أن يجعلها من قرشين إلى عشرة قروش وقلت لى أخاف إذا أثقلنا الضرائب على الأهلىن — وهم غير متعودين عليها نفروا منا وشرعوا إلى الثورة وكان كما قلت فانهم لم يلبثوا أن ولوا الأمير هارون حفيد السلطان محمد الفضل (١) سلطاناً عليهم وشاروا معه على الحكومة فأتعبوها مدة طويلة . ولكن الحكماء تكدر من نصحي له وكلمنى بحدة زائدة وقال إنه أدرى بما يجب فعله فكثبت لى إليه إنك كتاباً رسمياً ثبت فيه رأى ورفعت المسئولية عنى وألقىتها عليه . فزاده هذا الكتاب غيظاً وحدة . وأصدره أمره لى بالرجوع إلى بحر الغزال فى الحال فصعدت بالأمر وخرجت بعساكرى قاصداً داراً فما وصلت إليها حتى ورد على تلغراف من سمو الخديو اسماعيل باشا من مصر يأمرنى فيه بعدم التعرض للحكماء فى إدارة البلاد فعلمت من ذلك أن الحكماء شكأنى لى سموه وطعن فى صداقتى وإخلاصى له وقيل أنه اتهمنى بإرادة الاستقلال عن البلاد " (٢) .

وقد كاتب الزبير الخديو اسماعيل حول خلافه مع الحكماء وطلب الأذن له بالسفر إلى مصر لشرح قضيته فأرسل له الخديو اسماعيل التلغراف التالى " سعادتكو زبير باشا لقد كانت أفكارى متعلقة بك بالنظر لما بينى وبينك من بعد المسافة ولما هو بالغ مسامعى عما أنت فيه من المشغوليات الجسمىة ظننت أنه لا يتيسر حضورك فلما ورد تلغرافك يطلب مقابلتى بمصر صرت ممنوناً فبادر أخضر إلى مصر لأجل المداولة معك فى تشكيل حكمدارية تكون بك وتحت إرادتك وهاقد تنبه على جميع طلباتك بغاية الاعزاز والاكرام " (٣) .

(١) السلطان محمد الفضل هو أحد سلاطين الفور السابقين .

(٢) نعوم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٢٨٤ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

فذهب الزبير إلى مصر في حاشية كبيرة رغم نصيح الأصدقاء له بالألا يذهب خوفاً عليه من مؤامرات الحكمدار إلا أنه رفض ذلك كما قال بسبب إخلاصه للحكومة وشرف نفسه وترك ابنه سليمان مكانه وسافر عن طريق الأبيّض - بربر إلى أبي حمد وكورسكو ومنها إلى القاهرة التي وصلها في السادس من جمادى الأولى ١٢٩٢ وقابل الخديو الذي أنزله في إحدى سرايات العباسية وبالف في إكرامه . وقد صدق ظن أصدقاء الزبير إذ أن الحكمدار اتفق مع الخديو على إبقاء الزبير بمصر حيث لم يسمح له بالعودة إلى السودان .

ويحلل الدكتور جلال يحي موقف الحكمدار والخديو من الزبير بقوله :

" . . في نفس الوقت كانت الحكومة الخديوية تخشى من قوة وشخصية هـذا الباشا السوداني ، ورأت أنه يستند - علاوة على مركزه وقوته - إلى ثروته وتجارته وعصبيته . فعملت على عدم مد سلطته أكثر من ذلك في الوقت الذي اتخذت فيه الحيطة اللازمة منه . ولقد قام حاكم عام السودان في ذلك الوقت بدور في تشويه سمعة الزبير رحمة لدى سلطان القاهرة فاتهمه في إحدى المرات بقلّة الكفاءة واتهمه في مرة أخرى بعدم تمكنه من التفاهم مع مرؤسيه من أصحاب الرتب النظامية في الجهادية والموظفين الملكيين الآخرين . وادعى مرة ثالثة أن الزبير لا يوافق على البقاء في دارفور وأنه يفضل عليها البقاء في بحر الغزال والواقع أن هذا الحاكم العام كان في شخصيته وفي همته وفي نشاطه وجدارته يشعر بمركب نقص حين يوازن بين نفسه وبين الزبير . ورغم أن الظروف هي التي سمحت له باحتلال منصب الحاكم العام . وبالأقدمية العسكرية في الرتبة واللقب على الزبير رحمة ، فإن الموازنة بين الرجلين كانت غير ذات موضوع . ولكن هذا الحاكم تمكن رغم ذلك بسلطته وبمركزه من منع مصر وحرمانها من الاستفادة من سلطة ونفوذ وشخصية هذا الباشا السوداني " (١) .

بل أكثر من ذلك . قامت الحكومة بمصادرة أملاكه وقتل ابنه وحجـزت  
سفينته وماطلت فى رفع الديون التى له عليها وتنكرت لهذا الرجل الذى أعطاهـا  
أقاليم بحر الغزال ودارفور وهى أقاليم تزيد مساحتها عن مساحة مصر  
نفسها " (١) .

استمر اسماعيل باشا أيوب حكمداراً على السودان الذى أضف إليه الزبير  
بحر الغزال ودارفور وأخذ الصورة التى هو عليها الآن تقريباً .

فى سنة ١٨٧٧م طلب غردون باشا من الخديو أن يعينه حكمداراً على  
السودان فقابلـه الخديو بحضور شريف باشا رئيس الوزارة وأجابـه لما طلبـه  
وعينه حكمداراً على عموم الأقاليم السودانية . وأعطاه من السلطات ما لم  
يعط لحكمدار قبله ، لفت نظره لأمرين هامين هما محاربة الرق وتحسين  
المواصلات وعندما وقع اسماعيل على فرمان التولية كتب غردون مانمـه : " وقع  
سموه اليوم على فرمان ولقد اندهشت للسلطة الهائلة التى وضعها فى  
يـدى . وبعد هذا سيقع اللوم على عاتقـى إذا لم تبطل تجارة الرقيق وتتصلـل  
أصقاع السودان مع الخارج " (٢) .

قبل مغادرة غردون إلى السودان عن طريق البحر الأحمر أبدى له الخديو  
اهتماماً عظيماً بالمحافظة على ماتم فتحه فى خط الاستواء وأمره بالتوسـع  
فى تلك المناطق واقترح عليه تعيين حاكم ممن يوثق به لتلك المناطق حتـى  
يسبق الشركة الانجليزية التى أسست حديثاً لارتياح شرق أفريقيا .

ولكن بعد وصول غردون إلى السودان طلب أن يعين الضابط الأمريكى  
يروت بك حاكماً على الاستوائية . كما قام بجولات فى دار فور وغيرها من

(١) مكى شبيكة . السودان عبر القرون ص ٢٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٣ .

المناطق وحاول التقرب إلى الأهالي والعلماء والمشايخ (١) .

ولكن فترة غردون شهدت الكثير من الثورات والاضطرابات منها ثورة السلطان هارون سلطان الغور التي استمرت من ١٨٧٧ وحتى ١٨٨٠م كما قام سليمان بن الزبير بثورة حين علم بمؤامرة الحكومة المصرية على والده فطلبت منه الحكومة التسليم ولكنه رفض واستمرت ثورته من ١٨٧٧ - ١٨٧٩م وانتهت بمقتله غدرًا بأمر من غردون شخصيًا وذلك بعد أن سلم للحكومة حسب نصيحة والده الذي كتب إليه من مصر . وقد استعان غردون باشا في إدارة السودان بفريق من الأجانب فعين مسداليا بك الايطالى مديراً على الفاشر وجيس باشا الايطالى مديراً على بحر الغزال وفردريك روس قنصل ألمانيا في الخرطوم مديراً لدارفور وشارل ديغوليه الفرنسى مديراً لدارا وأمليانى مديراً لكيبى والدكتور زوربخين مفتشاً للصحة والضابط سلاتبين النمساوى مفتشاً للمالية وجيكلر باشا النمساوى مديراً عاماً لمنع تجارة الرقيق . كما عين ابراهيم فوزى باشا مديراً لخط الاستواء بدلاً من الكولونيل بروت الأمريكى ثم عزله وعين الدكتور ادوارد شنتزرا الألمانى (دكتور أمين) مديراً عليها (٢) .

هذا وقد شغل غردون بتحديد الحدود بين السودان والحشة وذهب إلى مصوع لعقد اتفاق مع ملك الحشة ولكنه لم يتمكن من ذلك وفى ٢٥ يونيو سنة ١٨٧٩ الموافق ٦ رجب سنة ١٢٩٦ أقيل اسماعيل باشا من منصبه ونصب ابنه الخديو محمد توفيق مكانه . وقد استقال غردون باشا فى أواخر سنة ١٨٦٩م

(١) انظر عبدالله حسين : السودان من التاريخ القديم إلى قيام البعثية

المصرية . مرجع سابق ص ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٠ .



حكمدارية رؤوف باشا (١) :

فى ١٢ ربيع الثانى سنة ١٢٩٧ الموافق مارس ١٨٨٠م أصدر خديو مصر  
أمراً بتعيين محمد رؤوف حكمداراً على السودان خلفاً لغردون وقد جاء فى  
خطاب تعيينه ما يلى :

"أنه نظراً لشقتنا بما أنتم متصفون به من الأهلية لأداء المأمورية  
المهمة المفوضة لأمانتكم والحالة هذه لانرى لزوماً للإسهاب فى شرح وتفصيل  
ما يجب اتخاذه واجراؤه من الوسائل والأعمال المؤدية لنجاح مأموريتكم  
التي نحن ناظرون إليها بعين الأهمية وهى تقدم وانتظام أحوال مملكة واسعة  
مثل السودان وبذل ما يجب من المساعى للوصول إلى توطيد أسباب عمارتها  
وتمدن ورفاهية أهاليها بتوسيع نطاق دائرتى التجارة والزراعة اللتين هما  
أعظم منابع الثروة العمومية ، إنمانرى من اللازم إستجلاب دقة نظركم إلى  
بعض مواد مهمة وهى الآتى ذكرها :

" أولاً مالية السودان : وكما لا يخفى عليكم أن لفظة المالية تشمل  
كل ما يلزم ويمكن تقريره ، وتجعله من الأموال والعوائد بطريقة لا يتأتى منها  
الاضرار بحالة الأهالى ولا الاحفاف بحقوق الخزينة ، وكذا تقدير ما يلزم من  
المصاريف بالنسبة لحالة البلاد واحتياجاتها بشرط أن تكون كافلة لحسن  
إدارة المصالح العمومية بصورة منتظمة وعلى هذا فأول واجب عليكم هو تنظيم  
ميزانية مستوفية عن كافة إيرادات ومصروفات الحكمدارية ببيان أنواعها ومفرداتها  
بغاية الضبط والدقة وحصراً ما يكون موجوداً من الديون بأنواعها وأسماء  
أربابها وكيفية الوصول إلى سدادها . هذا ومن اللازم أن الحكومة تكون عالمة  
بكافة أحوال السودان اجمالاً وتفصيلاً وبالمثل أنواع الضرائب والعوائد  
وسائر الأموال المقررة والجارى تحصيلها وكيفية استعمالها وصرفها فيبقى

فيبقى أن ترسلوا صورة من هذه الميزانية إلى نظارة المالية واستمرار ذلك سنوياً . وأن تقدموا إلى النظارة المشار إليها في كل ثلاثة أشهر حساب إيرادات ومصروفات الحكمدارية بالبيان الكافي وذلك كما هو جار بكافة مصالح الحكومة . وبما أن كافة ما يتعلق بالمواد المالية والحسابية مرجع الأمر فيها إلى نظارة المالية فجميع ما يقتضيه الحال من المخابرات والاستعدادات في هذا الشأن يكون خاصاً بالنظارة المشار إليها .

" ثانياً : الإدارة الملكية : يلزم تنظيمها وأجرائها على صورة ثلاثم أحوال تلك البلاد وما يختص بهذا القسم من المخابرات وما يتراعى لزوم تغييره وتبديله من المواد والنظامات ( هكذا ) ذات الأهمية وعزل وتنصيب أرباب المناصب الرفيعة مثل المديرين ووكيل الحكمدار وما يتعلق بالإدارة الملكية والأحوال الداخلية ما من شأنه استحصال أوامرنا عن جميع ما ذكر من هذه الأنواع فينبغى أن تكون المخابرة عنه مع نظارة الداخلية . وأما ما يتعلق بالأمور القضائية سواء كانت شرعية أو نظامية تجرونها على قواعد المتبعة والحالة هذه إنما يختص بهذا القسم من المخابرات أو ماترون لزوم اجرائه من الإصلاحات يجب أولاً المخابرة عنه مع نظارة الحقانية (١) ثم إن الرخصة التي كانت ممنوحة لأسلافكم بتنفيذ ما يصدر من الأحكام شرعية كانت أو سياسية في المواد القضائية الحقوقية قد أبقيناها لعهدتكم أيضاً ماعدا أحكام القصاص الواجب استحصال أوامرنا عنها .

" ثالثاً : القسم العسكري : هن المهم عند وصولكم إلى مركز الحكمدارية أن توجهوا أنظاركم والتفاتكم إلى تنظيم وإصلاح الحالة العسكرية حسبما يقتضيه احتياج تلك البلاد لتوطيد الأمن والنظام العام لكافة أنحاء المملكة

خصوصاً تقوية حدود الحبشة والمحافظة عليها في الحالة الراهنة مع ما يترتب عليه الأمن والاطمئنان للوقاية من وقوع أدنى مهاجمة على هذه الحدود لأنكم عارفون جيداً بأفكارنا وأفكار أعضاء حكومتنا في هذه المسألة وهي أننا لانقصد أى تجاوز كان على جيراننا ولانريد أى فتوح جديدة إنما جل قصدنا المدافعة بغاية البسالة إذا وقع أدنى تعد على حدودنا فهذه الأفكار هي التي تكون أس أعمالكم في ترتيب وتنظيم عسكرية السودان مع مراعاة إجراء القانون العسكري وكافة ما يتعلق بهذا القسم من المخابرات والاستئذانات هو خاص بنظارة الجهادية (١) . هذا ومع بقاء حيازكم الرخصة المعطاة لأسلافكم بتنفيذ أحكام القانون العسكري في الجنايات وسائر الأحوال حسب ما تصدر به المجالس العسكرية ، فإن حكم العزل أو تنزيل رتبة أو ترقية الضابط جميع ذلك لابد من العرض عنه لطرفنا بواسطة نظارة الجهادية .

” هذا وحيث أن الاقطار السودانية بعيدة عن مراكز الحكومة الخديوية ومن الاقتضاء الوقوف على الوقوعات ( الأحداث ) المهمة التي تحصل سواء كانت بالحدود أو بخلافها فتبادروا بالاطمئنان بوقت وقوعها إلى طرفنا وإلى نظارة الداخلية بالتلغراف . وبناءً عليه أصدرنا هذا لكم للمعلومية والاعتماد على مقتضاه كما هو مطلوبنا ” (٢) .

باشا رؤوف باشا في تنفيذ هذه السياسات خاصة ما يتعلق منها بالشئون المالية ولكن منذ منتصف سنة ١٨٨٠م بدأت الثورة التي أعلنها السيد محمد أحمد الذي ادعى المهديّة ودعا إليها واستطاعت هذه الثورة في غضون خمس سنوات أن تقضى على الحكم المصري في السودان وتنشئ الدولة التي عرفت في تاريخ السودان بالدولة المهديّة . وكان رؤوف باشا آخر حكام قبل الثورة

(١) يقصد وزارة الحربية .

(٢) نعيم شقير : تاريخ السودان ص ٣٠٧ وما بعدها .

وفى أثناء الثورة تولى حكمدارية السودان ثلاثة من الحكمداريين هم:

- (١) عبدالقادر باشا حلمى من ١٨٨٢ - ٢١٨٨٣ (١) .
- (٢) علاء الدين باشا من ١٨٨٣ - ١٨٨٤ م .
- (٣) غردون باشا للمرة الثانية من ١٨٨٤ - ١٨٨٥ م وقد قتل أثناء سقوط الخرطوم .

فى أثناء حكمدارية عبدالقادر حلمى صدر أمر عالى فى ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢ م جعل ادارة عموم السودان تضم مديرية شرق السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر ومديرية هرفروزيلع وبربره حكمدارية واحدة . وشكلت نظارة جديدة باسم نظارة الأقاليم السودانية وملحقاتها فى القاهرة .

وفى ٢ ابريل سنة ١٨٨٢ م صدر أمر عالى بتقسيم السودان إلى أربعة

اقسام هى :

- (١) حكمدارية اقليم غرب السودان وتشمل مديريات دارفور وكردفان وبحر الغزال ودنقلة ومركزها الفاشر .
- (٢) حكمدارية وسط السودان وتشمل مديريات الخرطوم وسنار وبربر وفاسنودة وخط الاستواء ومركزها الخرطوم .
- (٣) حكمدارية اقليم شرق السودان وتشمل مديرية التاكة وملحقاتها ومحافظة سواكن وفصوي وملحقاتها إلى باب المنذب .
- (٤) حكمدارية عموم هرر وملحقاتها وفيها محافظة زيلع وبربرة ومركزها هرر .

- 
- (١) ولد فى مدينة حمص . ابوه أحد ضباط جيش ابراهيم باشا وقد عاد به الى مصر بعد حروب الشام . بدأ دراسته فى مصر وأوفده عباس الأول إلى فينا لدراسة الطب ف قضى بها ثلاث سنوات ولما تولى سعيد استدعى عبدالقادر فى سنة ١٨٥٥ م وألحقه بأورطة المهندسين فى القلعة . وترقى فى مختلف الرتب حتى وصل إلى رتبة الأميرالاي فى أكتوبر سنة ١٨٦٢ م كان ياوراً للخديو اسماعيل فى الفترة من ١٨٦٨ م وحتى ١٨٧٣ وأنعم عليه خلالها برتبة اللواء . تولى عدة مناصب عسكرية ومدنية . صار ناظر لديوان السودان وحاكماً له توفى سنة ١٩٠٨ م . انظر المجلة التاريخية المصرية المجلد الأول ١٩٤٨ . مرجع سابق ص ٤٤١ .

فى ٢٠ يناير ١٨٨٣م صدر أمر على بتعيين علاء الدين باشا حكاماً عاماً  
لعموم السودان وملحقاتها وراشد كمال باشا حكاماً للسودان الشرقى والبحر  
الأحمر . وأنشئت إدارة خاصة باشغال السودان وملحقاته برئاسة مجلس  
النظار .

ولما اشتدت الثورة المهدية صدر أمر على بتاريخ ١٥ يناير ١٨٨٤ م ،  
فألحقت إدارة السودان وملحقاته بنظارة الحربية إلى نهاية الثورة (١) .

عندما أدرك المسئولون فى الحكومة المصرية أنه لا أمل لهم فى  
الاحتفاظ بالسودان أرسل الكولونيل غردون باشا للمرة الثالثة وطلب منه  
فى هذه المرة إخلاء السودان وسحب الجنود والموظفين المصريين ولكنه لم  
يتمكن من ذلك حيث قتل أثناء سقوط الخرطوم .

#### — ملاحظات على إدارة اسماعيل :

يلحظ الدارس لهذه الفترة عدة ملاحظات على الإدارة منها :

- (١) إهتمام اسماعيل الشخصى بإدارة السودان ، وتطوير أحواله ويجسد  
الباحث هذا الإهتمام تقريباً فى كل المراسلات بين اسماعيل وولاته  
فما من خطاب من اسماعيل إلا ويؤكد فيه حرصه على تطوير البلاد وترقيتها  
ورفاهية أهلها . إلا أن بعض المؤرخين قد شكوا فى صدق اسماعيل  
وأرجعوا إهتمامه الزائد بالسودان إلى أنه كان يعتبره مخرجاً له من  
الازمة المالية التى كان يعيشها ولكن الواقع يخطئ هذا الادعاء ،  
إذ أن ميزانية السودان - رغم الضرائب الباهظة - لم تكن كافية وكانت  
تسجل عجزاً على مصر .

(١) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٣١٠ .

- (٢) إنَّ السودان فى هذه الفترة قد أخذ شكله المتعارف عليه الآن تقريباً حيث حدّدت الحدود ودخلت الأقاليم الجنوبية ودارفور ضمنها وقد جرى عليها تعديل طفيف فى فترة لاحقة .
- (٣) ظهور الحكام والولاة الأوربيين بصورة واسعة فى هذه الفترة أدى إلى خلط فى ذهنية الإنسان السودانى البسيط بين الأتراك والأوربيين فأطلقوا لفظة أترك على الأوربيين . وهذا الخلط شمل حتى المثقفين إذ نجد كثيراً من المؤرخين يطلقون على هذه الفترة التى نحن بصدها فترة التركية السابقة . والتركىة اللاحقة فى نظرهم هى فترة الحكم الانجليزى المصرى التى أعقبت دولة المهديّة ، ووجود الحكم الأوربيين هو فى نظرى واحد من أهم الأسباب التى جعلت الكثير من السودانيين يلتفتون حول محمد أحمد المهدي الذى وصف الأتراك - وهو يقصد الأوربيين - بالكفر .
- (٤) امتداد الادارة إلى الجنوب ودارفور أدى إلى إنتشار اللغة العربية بين القبائل الناطقة بغير اللغة العربية . كما أدى كذلك إلى انتشار الاسلام - رغم أنّ الحكام والمسؤولين لم يكونوا مثلاً مشرفاً للادارى المسلم .
- (٥) شهدت هذه الفترة خلطاً ادارياً وتخطيطاً واسعاً انتقل فيها السودان وأهله من المركزية إلى اللامركزية ، إلى نظام شبه مركزى ، مما يشعّر الدارس لهذه الفترة بعجز الحكومة عن القيام بكثير من مهامها . هذا العجز الادارى فى نظرى كان محاولة لايجاد نظام أكثر ملاءمة للسودان وأهله ولكن هذا النظام الملائم لم يتحقق حتى نهاية الحكم التركى المصرى فى السودان .

# الباب الثاني

## نظام التعليم

ويحتوى على :-

- ١- نظام التعليم في الفترة من ١٨٢٠ - ١٨٤٨ م
- ٢- نظام التعليم في الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٦٣ م
- ٣- نظام التعليم في الفترة من ١٨٦٣ - ١٨٨٥ م

# الفصل الأول

نظام التعليم في السودان  
في الفترة من ١٨٢٠ - ١٨٤٨ م



## التعليم فى السودان قبل عصر محمد على

### تمهيد :

دخلت الثقافة العربية الاسلامية الى السودان عبر مداخل أربعة  
هى مصر والحجاز واليمن والمغرب .  
ولقد كان ملوك سنار ودارفور على علاقة طيبة بمصر وذلك بحكم الجوار  
وباعتبار أن مصر كانت تمثل واحداً من طرق دخول الاسلام واللغة العربية  
الى السودان .

وكان الملك بادى المعروف بسيد القوم (١٦١١-١٦١٦م) أحد ملوك  
سنار الذين كانوا على صلة بعلماء مصر ، وكان يرسل اليهم الهدايا  
مع خبيره أحمد علوان واشتهرت مناقبه عندهم حتى أنهم مدحوه بقصائد  
عدة (٢) .

وقد أشار كاتب الشونة بصفة خاصة الى قصيدة الشيخ عمر المغربي  
أحد علماء الازهر والذى يقول فى مطلعها :  
أياراكباً يسرى على متى ضامر  
الى الغرب يهدى نحو طيب الذكر  
الى ان يقول :

هو الملك المنصور بادى الذى	حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا	وأصبح صدرًا للعلا حائز الصدر
وجرد للاسلام والملك صارمًا	أباد به جمع الطواغيث والكفر
وجاهدتهم فى الله حق جهاده	وفاز بأنواع المثوبة والأجر

(١) الملك بادى . ويعرف أيضاً باسم بادى أبودقن ويعتبر من أعظم ملوك سنار  
وقد بنى فيها قصرًا ومسجدًا . وفترة حكمه حسب مذكر كاتب الشونة  
هى من ١٠٥٢هـ الى ١٠٨٨هـ / ١٦٤٢-١٦٧٧م والتاريخ الذى ذكره الدكتور  
عابدين غير صحيح .

(٢) عبدالمجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان منذ نشأتها  
الى العصر الحديث ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ص ٥٦ .

والقصيدة طويلة تقع في أكثر من مائة بيت (١) .  
والظاهر أن الصلات الثقافية بين مصر والسودان كانت تتم عبر  
طريقين :

- (١) هجرة الطلاب السودانيين إلى مصر للدراسة في الأزهر الشريف ثم العودة إلى أوطانهم لينشروا معارفهم العربية والإسلامية بين أهليهم .
- (٢) هجرة علماء مصر إلى السودان والإقامة فيه بقصد نشر معارفهم بين أهله ، وقد عبر عن هذه الصلة أحد الباحثين بقوله : " وقد ظل الفونج (٢) إلى أن دالت دولتهم يعتمدون على مصر في غذائهم الروحي ، فدرس نخبة من أبناء هذه الدولة في الأزهر الشريف وعادوا إلى بلادهم ينشرون بها ما تلقوه من علوم ومعارف دينية إسلامية ، ووفد على البلاد كذلك بعض الفقهاء من مصر يحيون بها دراسة الشرع الحنيف ، مجرداً من تلك البدع والخرافات التي لصقت به بسبب بعد الفونج أجيالاً عديدة عن ينبع الثقافة الإسلامية " (٣) ويشير كاتب آخر إلى دور الفونج في نشر الثقافة العربية الإسلامية بقوله : " ولقد كان لدولة الفونج فضل كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية ، ففي عهدهم انتشرت الخلاوي (٤) في بقاع السودان المختلفة ومن مآثر ملوكهم أنهم عنوا بالاسلام واللغة العربية ، ومن مظاهر تلك العناية أن قرَّبوا اليهم كثيراً من العلماء وأغروهم بالهجرة إلى سنار . فتجمع حولهم طلاب العلم من نواحي السودان المختلفة ومن خارجه ، كذلك

(١) مخطوطة كاتب الشونة . مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٢) سبق شرحها . وتعنى ملوك سنار لأن أصلهم من قبائل الفونج ولذلك تطلق كثير من المصار على دولة سنار اسم دولة الفونج أو السلطنة الزرقاء .

(٣) د . محمد فؤاد شكرى - صفحة من تاريخ السودان الحديث . مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - العدد الثامن - المجلد الثاني - ديسمبر ١٩٤٦ م مطبعة فؤاد الأول ص ٢٧ .

(٤) جمع خلوة وهي مدرسة تحفيظ القرآن أو الفقه في السودان .

أقطعوا لهم الكثير من الضياع الواسعة فى أماكن متفرقة من البــــــــــــــلاد وأجزلوهم الهدايا ، وكانوا لا يردون لهم شفاعا ، بل جعلوهم أهــــــــــــل مشورتهم ولم يقف جهد الفونج عند هذا الحد ، بل رآه فى زمنهم بــــــــــــدأت دراسة العربية الفصحى تجد أذنًا صاغية وعرفت صلات أدبية بين مــــــــــــوك الفونج وأدباء مصر " (١) .

ومن أوائل الطلاب السودانين الذين نزحوا الى مصر لطلب العلم الشيخ محمود العركى (٢) ، الذى يعتبر أول من نشر علوم الدين فى جهــــــــــــات النيل الأبيض . إذ لم يجد حين قدومه من مصر مدرسة علم ولا قرآن ، ويقال أن المرأة كان يطلقها الرجل ويتزوجها غيره فى يوم طلاقها من غيــــــــــــر عدة (٣) . فأنشأ الخلاوى لتحفيظ القرآن وتدريس علوم الدين وكان له بين الخرطوم والكوة (٤) ثلاثة عشر مدرسة (٥) .

- 
- (١) د. صلاح الدين المليك - شعراء الوطنية فى السودان - دار التأليف والترجمة والنشر . جامعة الخرطوم ١٩٧٥ م ص ٣٤ .
  - (٢) مولده بالأبيض . درس فى مصر على الشيخ ناصر اللقمانى وشمس الدين اللقمانى وبعد عودته من مصر سكن فى جزيرة الهوى فى النيــــــــــــل الأبيض .
  - (٣) انظر محمد النور بن ضيف الله - كتاب الطبقات فى خصوص الأوليــــــــــــاء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان - تحقيق وتعليق الدكتور يوسف فضل - الطبعة الثالثة ١٩٨٥ م - دار التأليف والترجمة والنشر - جامعة الخرطوم ص ٣٤٤ .
  - (٤) مدينة فى النيل الأبيض وتقع إلى الجنوب من الخرطوم .
  - (٥) انظر محمد فوزى مصطفى عبد الرحمن - الثقافة العربية وأثرها فى تماسك الوحدة القومية فى السودان المعاصر - الطبعة الأولى ١٩٧٢ م ، الدار السودانية . الخرطوم ص ٣٤ .

كذلك هاجر إلى مصر أولاد جابر الأربعة وهؤلاء يرجعون بنسبهم إلى الشيخ غلام الله بن عائد اليمنى (١) . ويبدو أن قدومهم إلى مصر كان بعد قدوم الشيخ محمود العركى . وبعد عودتهم من مصر سكن أحدهم وهو الشيخ إبراهيم بن جابر المعروف بالبولاد قرية ترنج ودرس فيها أهلياً (٢) والرسالة (٣) ، وهو أول من درس هليلاً ببلاد الفوئج وشدت إليه الرحال ودرسته لخليل تتم في سبع ختمات وعلم فيها أربعين تلميذاً صاروا كلهم علماء (٤) .

ومن الطلاب الذين وفدوا مصر وكان لهم شأن في نشر علوم الدين في السودان ، الشيخ حمد المجذوب (٥) الذى ينتمى إلى عشيرة المجاذيب ، التى كانت ذات أثر كبير في نشر الثقافة الدينية في البلاد ، وكثير من أبنائها يرحلون إلى القاهرة أو مكة طلباً للعلم ، ثم يعودون إلى السودان لمتابعة رسالتهم فتبنى المساجد وتنشأ الزوايا لتصبح مدارس ومعاهد للتعليم يفد إليها الطلاب من كافة الآفاق (٦) .

---

(١) من جزيرة نواوه في اليمن - هاجر إلى السودان وسكن في دنقله وينسب إليها المساجد وقام بتعليم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية . انظر المرجع السابق ص ٣٢ .

(٢) المقصود مختصر خليل بن اسحق في الفقه المالكي .

(٣) رسالة ابن أبي زيد القيروانى وهو في الفقه المالكي كذلك .

(٤) انظر محمد النور بن ضيف الله . كتاب الطبقات ص ٤٥ .

(٥) حفظ القرآن وتفقه في خليل والرسالة على الفقيه محمد بن مدنى حج إلى بيت الله وأخذ العلم من شيوخ الحرمين . توفي سنة ١١٩٠ هـ ودفن بالدامر . انظر الطبقات ص ١٨٧-١٨٨ .

(٦) انظر محمد فوزى عبد الرحمن . الثقافة العربية . مرجع سابق ص ٣٦ .

وبصفة عامة من يراجع كتاب الطبقات لمؤلفه محمد النورين ضيف الله يجد ظاهرة الهجرة إلى مصر واضحة جداً . وقد ذكر لنا المؤلف مجموعة من الشيوخ الذين رحلوا إلى مصر وأخذوا العلم من شيوخ الأزهر . ومن الواضح أن هذه الهجرة لم تقتصر على زمن الفونج ، بل هي مستمرة إلى يومنا هذا ، ولو أنها خضعت للظروف السياسية التي تحكم فيها .

ويلاحظ أن هجرة الطلاب إلى مصر قد قلت في أواخر عصر الفونج بسبب الكوارث والمجاعات التي أصابت المجتمع ، إضافة إلى ذلك حالة العزلة التي فرضها حكام الفونج في آخر عهدهم وبذلك انقطعت صلتهم بالعالم الخارجي (١) .

أما الطريق الثاني لنشر الثقافة العربية الإسلامية في السودان وأعني به هجرة العلماء المصريين إلى السودان فمن العلماء الذين وفدوا على السودان في عهد الفونج الشيخ محمد القناوى (٢) تلميذ الشيخ سالم السنهورى الذى نزل ببربر وبنى بها مسجداً . ومن ذرية هذا الشيخ نيف حفيده الشيخ محمد أكداوى (٣) الذى جلس للتدريس بمدينة شندى .

كذلك وفد إلى السودان فى عهد الفونج الشيخ محمد بن قرم (٤) الكيمائى الذى استوطن ببربر إلى أن توفى بها . وأخذ عنه العلم عدد كبير من شيوخ السودان . كما وفد إلى السودان كذلك من مصر الشيخ جاد الله (٥) الشكرى

(١) المرجع السابق ص ٣٦-٣٧ .

(٢) أخذ العلم عن الشيخ سالم السنهورى والشيخ يوسف الزرقانى والد الشيخ عبد الباقي شارح خليل . قدم بلاد الفونج فى أول النصف الثانى من القرن العاشر . زار ببربر وأصبجى وسنار وسكن ببربر التى ابنتى بها مسجداً ودرس فيه "الرسالة" والعقائد والنحو ، وسائر العلوم . ولى القضاء وبارشه بعفة ونزاهة . انظر الطبقات ص ١٠٠ .

(٣) هو الشيخ محمد بن محمد أكداوى بن الشيخ المصرى القناوى - أخذ علم الكلام والفقه والنحو من جده محمد القناوى . تزوج فى شندى وكان يدرس بها الرسالة والنحو وعلم الكلام وعلم الأصول والمنطق واشتغل بالتصنيف وكتب كتباً شأنها أن تكتب بمداد الذهب انظر الطبقات ص ١٠١ .

(٤) محمد بن على قرم الكيمائى المصرى الشافعى أخذ العلم من الخطيب الشربينى ودخل بلاد ببربر وأرجى وسنار وتوطن ببربر . أخذ عنه العلم طائفة من أهل السودان توفى ودفن ببربر . انظر الطبقات ص ٣٥٤ .

(٥) جاد الله الشكرى جاء من مصر وتوفى ببندر سنار . انظر الطبقات ص ٣٣٠ .

الذى وصفه صاحب الطبقات بأنه كان زاهداً عابداً متواضعاً .

ويلاحظ قلة العلماء المصريين الوافدين إلى السودان فى عصر الفونج وربما يرجع ذلك إلى صعوبة المواصلات وخطورة الطرق لعدم استتباب الأمن . إضافة إلى جشع الخبراء والأولاء الذين يتحكمون فى المسافرين حسب أهوائهم (١) .

والظاهر أن لهؤلاء العلماء الذين وفدوا من مصر دوراً كبيراً فى تمذهب أهل السودان بالمذهب الملكى خاصة وأن أهل صعيد مصر يتمذهبون به — هذا المذهب والصلات بين شمال السودان وصعيد مصر لا تحتاج إلى برهان . ويرى البعض من الباحثين أن هذا المذهب جاء إلى السودان مع الموجات الثقافية التى قدمت من غرب أفريقيا وبحيرة تشاد (٢) . وفى اعتقادى أن هذا الرأى يمكن أن يكون صحيحاً ولكن الدور المصرى لا يمكن تجاهله فى هذا الأمر ، وذلك لان علاقة مصر بالسودان كانت أقوى من علاقة السودان بغرب أفريقيا .

#### — مدارس السودان فى ذلك الوقت :

فى بحثه عن دور العلماء فى السودان قال الدكتور محمد إبراهيم أبوسليم عن مدارس السودان فى ذلك الوقت : " أما مدارس العلم فتقول الأخبار بأنها بدأت بمدرسة غلام الله ابن عائد فى دنقله فى القرن الرابع عشر ورغم أننا لا نعرف إلا القليل عن هذه المدرسة إلا أنها بلا شك قد وضعت الأساس لمدارس دنقله الكثيرة فيما بعد . وبعد انقطاع قرنين من الزمان جاءت مدرسة أولاد جابر بيتاشيرات مصرية بحكم أن مؤسسها تلقى تعليمه فى مصر .

(١) انظر محمد فوزى مصطفى عبد الرحمن : الثقافة العربية . مرجع سابق

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤١

والمرء يعجب لهذه الفجوة الزمنية الطويلة بين هذه المدرسة والتي قبلها ، وإننا لنكاد نميل إلى القول بأن حركة المدارس واصلت سيرها وإن لم تصلنا أخبارها . ولقد بدأت مدرسة أولاد جابر في سنة ١٥٥٢م وانتهت في سنة ١٦١٤م وكانت بجزيرة ترنج قرب كاسينجر بديار الشايقية . وقد اختيرت هذه الجزيرة النائية مقراً لتكون المدرسة منقطعة للعلم وبعيدة عن الحكّام وطرق القوافل وذلك بعكس مرامي (١) الصوفية التي كانت تقام على طريق القوافل . ولعلنا نلاحظ هذا الفرق فالحركة الصوفية تتجه نحو الجمهور وتفضل معايير القوافل التجارية بينما يتجه العلم نحو الخاصة بعيداً عن الفضلاء .

" لقد وضعت هذه المدرسة بعض التقاليد منها الدراسة المنتظمة وفق منهاج مقرر من العلوم الإسلامية تدرس في أوقات محددة ، وفي فصل ———— للدراسة تجاورها مساكن الطلبة وهي بعيدة كل البعد عن نفوذ الحكّام وتأثير العواصم والمدن ليقبل الطلبة على العلم ويتفرغوا له تفرغ أهل الأريطة للعبادة وقد هجرها طلابها ، لأن إدريس بن عبد الرحمن بن جابر (٢) خرج عن هذا التقليد بزواجه من ملكة كجبة (٣) ونقله المدرسة إليها . ومن تقاليدها

- 
- (١) الصحيح أريطة لأنها جمع رباط أما مرابط فهي جمع مربوط .
  - (٢) الشيخ إدريس بن الشيخ عبد الرحمن بن جابر جلس للتدريس بعد عمه الشيخ اسماعيل وكان شيخاً عالمًا . انظر الطبقات ص ٤٧ .
  - (٣) جبل على النيل شمال مروي . وعلى قمته قلعة أثرية . ومنطقة كجبة إحدى المناطق الإدارية التي تكون دار الشايقية . ولعل هذه الملكة تمثل بقية من نفوذ الخسك السياسي في تلك المنطقة . انظر الطبقات ص ٤٧ .

أيضاً أن المعلم يعطى العلم لمن يرغب تطوعاً لوجه الله ولا يطلب مقابلته شيئاً ، ولكن التطوع من أجل العلم كان يقابله إحسان الجميع بالعطايا وهكذا يتكفل العالم بنشر العلم خدمة للدين ويتكفل المجتمع بحاجاته وبما يصرفه على طلبته " (١) .

" ومدرسة نوري التي أنشأها عبدالرحمن ولد حمدتو الخطيب (٢) تفرعت عن مدرسة أولاد جابر ، وعمرت لأكثر من قرن ، وخرجت أجيالا من العلماء وكان من مبرزيهما جد الأغيش (٣) وإبراهيم بن عبودي الفرض وقد أسس مدرستين مستقلتين وحمد المجذوب (٤) مؤسس مدرسة الدامر وعبدالرحمن (٥) النويري مؤسس مدرسة الأبجي .

- 
- (١) بروفسير يوسف فضل وآخرون : من معالم تاريخ الاسلام في السودان المجموعة الأولى . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . الخرطوم ص ٣٧ .
- (٢) تفقه على الشيخ اسماعيل بن جابر والشيخ البوقري . تفقه عليه خلق كثير . انظر الطبقات ص ٢٥٦ .
- (٣) حفظ القرآن على أبيه وتفقه على الشيخ عبدالرحمن ولحمدتو ولـد ببربر ونشأ فيها . وهو ممن جمع بين العلم والعمل . درس بعد أبيه الشيخ عبدالله الأغيش وانتفعت به الناس . انظر الطبقات ص ١٥٣ .
- (٤) سبقت ترجمته .
- (٥) من تلاميذ أولاد جابر . تولى القضاء في دولة الفونج وكان له باع طويل بمعرفة القضاء وفصل الخصومات . انظر الطبقات ص ٢٥٥ .



" ومن الذين أخذوا العلم في مدرسة أولاد جابر أبو إدريس (١) العركي ويعقوب بن نقا (٢) والشيخ صفيرون (٣) مؤسس مدرسة الفوز ، وهو استاذ أرباب بن علي (٤) الخشن المشهور بأرباب العقائد والذي تخرج على يديه أعداد غفيرة من العلماء نذكر منهم حمد أم (٥) مريوم وخوجلي عبد الرحمن (٦)

- 
- (١) هو الشيخ محمد بن الشيخ دفع الله مقبل العركي نشأ بأبييض ويرى بالقرب من الخرطوم . حفظ القرآن على والده وتفقّه على أخيه تعلّم على يديه كثير من الناس . انظر الطبقات ص ٦٥ .
- (٢) أحد تلامذة الشيخ عبد الرحمن بن جابر . درس القرآن والفقه والتوحيد وله فتاوى وأحكام وإقضية حسنة . انظر الطبقات ص ٣٧٢ .
- (٣) هو محمد بن سرحان السعودي وأمّه فاطمة أخت أولاد جابر . ولد بجزيرة ترغى بديار الشايقية . قرأ الفقه على خاله اسماعيل بن جابر الذي أجازه ورحل إلى الشيخ البزوفري وكان ممن جمع بين العلم والعمل وتفقّه على يديه خلق كثير . انظر الطبقات ص ٣٣٤ .
- (٤) أرباب بن علي بن عون بن عامر بن أصبح وسمى الخشن لخشونة جسمه من الوضوء والغسل . اشتهر بأرباب العقائد لاهتمامه بهذا العلم وتدريسه له وله كتاب في أركان الإيمان . أسماه الجواهر وله تلاميذ كثر . توفي سنة ١١٠٢ هـ بسنار . انظر الطبقات ص ١٠٠ .
- (٥) حمد بن علي المشيخي المشتهر عند الناس بأمه مريم ولد بجزيرة توتى سنة ١٠٥٥ هـ . حفظ القرآن على أرباب الخشن كما قرأ عليه التوحيد . كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ورعاً عالماً نقيّاً . كان كثير الأسفار ولذا استفاد منه عدد كبير من أهل السودان . انظر الطبقات ص ١٧٣ .
- (٦) ولد في جزيرة توتى . حفظ القرآن الكريم عند عائشة بنت ولد قوال وأخذ علم الكلام من الشيخ أرباب الخشن وتفقه على " هليل " على الشيخ الزين ولد هيفرون وحج إلى بيت الله الحرام وأخذ التصوف عن الشيخ احمد التبنكتاوي القاطن بالحرم النبوي . توفي سنة ١١٥٥ هـ . انظر الطبقات ص ١٩٠ وما بعدها .

وفرح ولد تكتوك (١) .

” وبعد أن أقلت مدارس الشايقية جاءت مدارس الأبواب التي امتدت من هُقرات إلى شندى وكان أهمها مدرسة القوز ومدرسة الفيش ومدرسة الدامر . والمدرسة الأخيرة ترتبط بطريقة صوفية هي المجذوبية ، مؤسس هذه المدرسة هو نفسه مؤسس الطريقة (٢) . أمّا مدرسة الفيش (٣) فكانت معادية عمومًا للطرف الصوفية وقد ركزت على علوم القرآن (٤) . ”

” وإلى الجنوب من الأبواب تأتي مدارس قرى وقد تميزت أولاً بنفوذ فقهاء المحسن والذين انتشروا من جزيرتهم توتى ، وأنشأوا عددًا من المراكز الدينية كما تميزت بعلاقتها الوطيفة بمشيخة العبدلاب (٥) ، الأمر الذى جعل اقبالها نحو الأحوال الشرعية والفتاوى والأحكام المتعلقة بملكية الأرض أمراً ملحوظاً ، لقد كرس قدر كبير من الجهد نحو خدمة الدولة وشئون المتقاضين . وأشهر مدارس قرى مدرسة أرباب العقائد والتي بدأ بها عمران الخرطوم . لقد تعلم فى هذه المدرسة الآلاف .

- 
- (١) قرا العقائد على الشيخ أرباب . كما قرأ علم العربية على الخطيب عمار . كان شاعراً ماهراً له كلام فى التفسير والتوحيد والأدب . كان صاحب كلمة وموعظة حسنة . انظر الطبقات ص ٣١٢ .
  - (٢) هو الشيخ حمد المجذوب وقد سبقت ترجمته .
  - (٣) كانت هذه المدرسة فى بربر وأنشأها الشيخ حمد الأغبش .
  - (٤) يوسف فضل وآخرون . من معلم تاريخ الاسلام فى السودان . مرجع سابق ص ٧٤ .
  - (٥) العبدلاب ذرية الشيخ عبد الله جماع الذى اقتسم المملكة مع الفونج ملوك سنار وكانوا يعتبرون وزراء لتلك الدولة . بدأت المشيخة فى قرى ثم امتدت إلى الحلفاية ومنحجر العسل إلى سوبا . انظر عبد الله حسين: السودان فى التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية مرجع سابق ص ٧٥ .

أمّا الشيخ فرج ولد تكتوك فقد اتخذ خطاً مغايراً لعادة الفقهاء وهاجم كثيراً من عاداتهم واتخذ الشيخ حمد ولد أم مريم مساراً توحيدياً متشدداً ونادى بالالتزام بالمنضبط بالكتاب والسنة . ومدرسة ودعيس (١) الخزرجى فى كترانج ومن بعد فى المسيد كانت ذات تأثير عظيم وقد لعب خريجوها دوراً كبيراً فى تاريخ القضاء .

" وقامت فى الجزيرة (٢) مدارس وكانت متأثرة بقربها من قصبــــــــــــــــة الدولة ، وبالعلاق التجارية ولعل من أهم مدارسها مدرسة محمد (٣) العركى فى النيل الأبيض (٤) " .

مما ذكرنا يمكن أن نلاحظ عدة ملاحظات :

- (١) أن اللجنة الأولى للمدارس قد وضعت فى الشمال حيث المجتمع المستقر . وأن هذا اللجنة كانت متأثرة بمصر بحكم ثقافة وتعليم المؤسسين لها .

- 
- (١) هو الشيخ ابراهيم بن الفقيه أحمد بن عيسى . ولد بعرفة سنة ١١٩٢ هـ حال حج والديه . وقد تفقه على أبيه . وحين سافر أبوه لسنار تركه يدرس بمسجد كترانج . وفيما بعد بدأ للفقيه ابراهيم أن ينشئ مسجداً آخر لتخفيف ازدحام الطلبة بكترانج فأسس ذلك المسجد بالضفة الغربية للنيل الأزرق تجاه كترانج ، والذى اشتهر بمسجد ودعيس وقامت حوله بلدة المسيد الحالية وقد توفى الفقيه ابراهيم سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٣ م . انظر د. عز الدين الامين . تراث الشعر السودانى . معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ١٩٦٩ م ص ٤٠ .
- (٢) يطلق لفظ الجزيرة فى السودان على الأراض الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق .
- (٣) سبقت ترجمته .
- (٤) محمد ابراهيم أبوسليم : دور العلماء فى نشر الاسلام فى السودان . أحد بحوث المجموعة الأولى من معالم تاريخ الاسلام فى السودان . مرجع سابق ص ٧٦ .

(٢) وإن اتساع المدارس قد اتخذ وجهة جنوبية مع النيل فى خط مع المجتمع المستقر وقد ازداد نشاطها كلما اقتربنا من مركزى مشيخة العبدلاب فى قرى والحلفاية . أما مدارس سنار فلم يكن لها ذلك القدر من الشهرة وربما كان ذلك بسبب نفوذ الطرق الصوفية الكبير الذى كان يحد من نفوذ المدارس .

(٣) كان المعلم يقوم بدوره تطوعاً لخدمة الدين بقصد الثواب وأن المجتمع كان يقوم بالإنفاق على المعلمين والطلاب خدمة للدين وبقصص الثواب أيضا .

(٤) هذه المدارس لم تكن معزولة عن المجتمع وما يجرى فيه وإنما كانت تؤثر وتتأثر وهكذا نجد اقبالها نحو الفتيا وأمر الحكم كلما اقتربت من مراكز الحكم (١) .

هذا ما كان عليه أمر التعليم فى سلطنة "سنار" أما دارفور فقد وطدت حملاتها الثقافية مع تلك للدويلات والامارات التى قامت فى وسط السودان الغربى . وانتقلت إليها الثقافة الإسلامية من أفريقيا الشمالية والغربية . وبالرغم من ذلك فقد ذكر الإنجليزى براون وهو أحد الرحالة الأجانب والقلائل الذين استطاعوا الإقامة بدارفور رداً من الزم من فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى وأواخر القرن الثامن عشر الميلادى انه كان يوجد بدارفور وقتذاك بعض الفقهاء الذين تلقوا العلم فى القاهرة ثم أكد هذا القول محمد بن عمر التونسى فى رحلته المسماة بتشجير الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (٢)

- 
- (١) انظر بحث الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم . دور العلماء فى نشر الاسلام فى السودان . المنشور فى المجموعة الاولى من ابحاث معالم تاريخ الاسلام فى السودان . مرجع سابق ص ٧٦-٧٧ .
- (٢) د. محمد فؤاد شكرى . صفحة من تاريخ السودان الحديث . مجلة اداب القاهرة . العدد الثامن المجلد الثانى . مرجع سابق ص ٢٧ .

### التعليم ومناهجه فى هذه المرحلة :

وإذا نظرنا إلى الثقافة العربية الإسلامية فى الأقطار المجاورة للسودان قبل ضمها للإدارة المصرية نجد أن هذه الثقافة قد دخلت فى طور التقليد والاضمحلال . فالدراسة فى الأزهر - مركز الثقافة فى البلاد الإسلامية - موجهة فى أغلبها إلى العلوم النقلية ، وما يدرس من العلوم العقلية كالمنطق أو الطب أو الفلك ، إنما كان يدرس دراسة آلية القصد منها حفظ المسائل والجدل اللفظى دون تجديد أو استنباط لقواعد جديدة (١) .

ولذلك اتجهت الدراسة إلى العلوم المقصودة لذاتها كعلوم الفقه والتوحيد والتصوف . وقد سادت فى العالم الإسلامى - وقتذاك - مذاهب الصوفية التى شجعتها الدولة العثمانية وسيطرتها على عقائد الناس وتفكيرهم وامتزجت بالدراسات الإسلامية وصار الناس يقسمون شريعة الله إلى علم باطن وعلم ظاهر بل إن بعضهم اعتبر أن علم الباطن حسب زعمهم هو العلم الحقيقى .

وقد تأثرت الثقافة الإسلامية فى السودان بما يجرى فى العالم الإسلامى وإذا رجعنا لكتاب الطبقات لابن خيف الله لوجدنا أن أهم العلوم التى لقيت عناية كبيرة هى علوم القرآن والفقه ولو اُحِقه مثل علم الميراث والتوحيد والتصوف (٢) .

"والظاهر أن أول ما وجهت إليه العناية من هذه العلوم القرآن الكريم وأول مظهر لذلك هو حفظه ، ولذلك كان الطلاب يتعلمون القراءة والكتابة عرضاً أثناء حفظهم للقرآن ولعل منشأ ذلك ما ذكره ابن خلدون من أن دراسة القرآن إنما تقدمت فى هذه المرحلة إشاراً للتبرك والشواب وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن" (٣) .

(١) انظر محمد فوزى مصطفى : الثقافة العربية . مرجع سابق ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩ .

(٣) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص ٨٦ .

وإلى جانب حفظ القرآن نشطت الدراسات القرآنية التي تعين على حفظه حفظاً جيداً. مثل علم التجويد والقراءات . ونبغ في هذه العلوم بعض العلماء مثل الشيخ محمد بن عيسى سوار الذهب (١) والشيخ سعد الكرسي (٢) ، الذي كان شديد الرياضة لتلاميذه حريصاً على معرفتهم للشدوالهمز والقلقلة والظهار والادغام والغنة ومعرفة الوقوف من تام وكاف وحسن (٣) .

غير أن أهم ما يلاحظ على الدراسات القرآنية أن العلوم التي كانت تساعد على فهم معاني القرآن وتدبر آياته مثل علم التفسير لم تجد عناية كبيرة في ذلك الوقت ولذلك كان بعض الطلاب يحفظون القرآن من غير اهتمام بمعانيه . كما أنه لم تكن هناك مصاحف مكتوبة فكان المدرس يملأ من الذاكرة ، والطلاب يكتبون على ألواح من الخشب تمتلئ بعد الحفظ وبذا كان الطلاب يتعلمون القراءة والكتابة أثناء حفظهم للقرآن كما سبقت الإشارة .

أما علوم القراءات فقد كان مدار تدريسها على كتاب الشاطبية لمؤلفه أبي القاسم بن هيرة الأندلسي ، وكانت أهم القراءات الشائعة عند أهل السودان هي قراءة ورش في نواحي دارفور وكردفان ، وأبى عمر الدوري في دنقلة والدامر والخرطوم أما حفص فهي أقل القراءات انتشاراً في السودان (٤) .

يلى القرآن وعلومه في الأهمية علم الفقه ومن يرجع إلى كتاب الطبقات يجد أن رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل بن اسحق والأخضرى ،

---

(١) محمد بن عيسى بن صالح الجعلى البديرى المشهور بسوار الذهب . قرأ مختصر خليل على أبيه كما قرأ العقائد والمنطق على الشيخ محمد المصرى . تولى القضاء . أخذ عنه العلامة هدد كبير من الطلاب توفى ودفن بدنقلة . انظر الطبقات ص ٣٤٧ .

(٢) أصله شايقى . قرأ القرآن وأحكامه على الفقيه عبد الرحمن ولد أسيد تولى تدريس القرآن بعد وفاة شيخه . رحل إليه الناس من أماكن بعيدة كان حريصاً على أحكام التجويد انظر الطبقات ص ٢٢٣ .

(٣) انظر محمد فوزى مصطفى . الثقافة العربية . مرجع سابق ص ٤٩ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٥٠ .

فى الفقه المالكى وجدت عناية كبيرة من جمهرة المتعلمين وإلى جانب كتب المالكية كانت تدرس كتب الشافعية وخاصة فى أريجى التى نبغ فيها مجموعة من رجال الفقه الشافعى مثل القاضى دشين (١) والشيخ شموه بن محمد عدلان (٢).

وإذا نظرنا فى ثقافة هؤلاء الشيوخ الفقهية نجد أن بعضهم قد وصل درجة لابس بها فى علم الفقه ، وبعض هؤلاء المشايخ كانت لهم مشاركة فى التأليف فى الفقه ، ودراية بالأحكام والفتاوى فى مسائله ، وكثيراً ما نجد صاحب الطبقات يصف بعض الفقهاء بقوله " فهو مرجح التصنيف على التدريس " ولاحظ بعض الباحثين أن هذا المستوى لم يكن يمثل التحصيل العلمى الشائع عند معظم المتعلمين ولكنه يمثل تحصيل الطبقة الممتازة من العلماء (٣).

- 
- (١) ولد بمدينة أريجى وكان شافعى المذهب . تولى القضاء فى دولــــة سنّار . توفى بالداخله على نهر الدنور . انظر الطبقات ص ٢١٢ .
- (٢) شموه بن محمد بن عدلان الشافعى . ولد بمدينة أريجى . قرأ الفقه عند الفقيه بلال والفقيه أبو الحسن وقرأ العقائد على الفقيه الشاطبى ابن الفقيه أرياب و" الرسالة " على الفقيه عيد الصادق وكتب الشافعية المنهاج والمنهج على الفقيه بلال عالم أريجى وقاضيهما فصار بذلك مفتياً فى مذهب مالك والشافعى . دفن بأريجى انظر كتاب الطبقات ص ٢٣٢ .
- (٣) انظر محمد فوزى مصطفى . الثقافة العربية . مرجع سابق ص ٥١ .

كذلك اهتم العلماء بجانب آخر من الدراسات الفقهية فوجهوا عناية شديدة إلى علم الميراث والفرائض وقد نبغ في هذا العلم مجموعة من العلماء أشهرهم الشيخ ابراهيم بن عبودي (١) المشهور بالفرضى ، الذى ألف الحاشية المشهورة بالفرضية ، ومرد عنايتهم بهذا العلم ترجع إلى حاجتهم الضرورية لهذا الفن فى تقسيم التركات (٢) .

وإلى جانب علوم القرآن والفقه ازدهرت دراسة التوحيد الذى تطلق عليه المصادر علم العقائد ونبغ فيه مجموعة من العلماء منهم الشيخ أرباب بن على الذى ألف كتابا فى أركان الايمان وأسماء الجواهر كما سبق فى تعريفه .

والظاهر أن مدار علم التوحيد كان على كتاب السنوسية (٣) وشروحها ولذلك نشطت حركة تأليف الحواشى والشروح حولها مما يدل دلالة واضحة على انتشار هذا العلم ورغبة الطلاب فيه ، فآلف الشيخ على برى (٤) شرحاً على السنوسية كما كان للشيخ مكى النحوى (٥) الشروح الجلييلة منها

- 
- (١) قرأ على خاله ثم رحل إلى الشيخ عبد الرحمن ولد حمدتو ومكث عنده سبع سنين وكان ذو علم ودين وزهد سمى بالفرضى لانه كان له باع طويل فى علم الفرائض . ألف الحاشية المشهورة بالفرضية فى علم الفرائض أخذ عليه علم الفرائض طلاب كثيرون . انظر الطبقات ص ٧٩ .
  - (٢) انظر محمد فوزى مصطفى . الثقافة العربية . مرجع سابق ص ٥١ .
  - (٣) السنوسية مقدمة فى التوحيد من ثلاث مقالات كبرى وتعرف بعقيدة أهل التوحيد ووسطى ولعلها ما يسمى بالمرشدة ومغرى وهى أم البراهين لأبى عبد الله محمد السنوسى التلمسانى المتوفى سنة ١٤٨٠م انظر كتاب الطبقات ص ٥ .
  - (٤) الشيخ على بن برى من العلماء الذين قاموا بشروح فى مجال العقائد . توفى سنة ١٠٧٣هـ انظر الطبقات ص ٢٩٣ .
  - (٥) مكى النحوى الرباطى أخذ العلم من الشيخ محمد المصرى وقد أخذ عليه جميع الفنون ثم سافر إلى الشيخ محمد ولد عيسى . كتب شروحا كثيرة . انظر الطبقات ص ١٠٣ .



شرحه الكبير على السنوسية فى أربعين كراساً وشرحه الصغير فى عشر. وممن العلماء الذين أسهموا فى حركة التأليف فى علم التوحيد الشيخ محمد أكداوى بن الشيخ (١) محمد المصرى الذى ألف حسب عبارة صاحب الطبقات " كتب شأنها أن تكتب بمداد الذهب " منها أربعة شروح على أم البراهين العمدة التى عم النفع بها فى سائر الأقطار والوسط والصغير والحاشية التى هى أجل مؤلفاته وشرحاً على يقول العبد (٢) فى بدء الأمالى الكبير فى مجلد ضخم نحو ستين كراساً والصغير فى سبعة كرايس " (٣) .

والى جانب علوم القرآن والفقه والميراث والتوحيد يتردد ذكر علوم أخرى فى الطبقات مثل علوم الحديث ومصطلحها والتفسير . على أن معظم هذه المؤلفات عبارة عن مخطوطات " أكثرها لم يصل إلينا ولم نقف على مطبوع منها سوى مؤلفات أحمد بن عيسى الخزرجي الأنصارى . وكل ذلك عمل علمى جليل يدل على مدى الاهتمام بالدراسات الإسلامية والعربية فى ذلك العهد . كما يدل على نوع التعليم الذى كان يتلقاه الطلاب وقتئذ . وكما يدل كذلك على مستوى هذا التعليم " (٤) .

- 
- (١) سبقت ترجمته .  
 (٢) منظومة بدء الأمالى المشهورة فى السودان ب ( يقول العبد ) لسراج الدين ابن عثمان الأوسى المتوفى سنة ١١٧٤ م والتى يقول فى مطلعها :  
 يقول العبد فى بدء الأمالى لتوحيد كنظم بالآلى  
 (٣) محمد النور بن ضيف الله : كتاب الطبقات . مرجع سابق - ص ١٠٠  
 (٤) د. عز الدين الأمين : تراث الشعر السودانى . مرجع سابق ص ١٤ .

ويرى باحث آخر ان الكتب المتداولة بين علماء السودان كانت قليلة  
لبعد السودان عن مراكز التأليف وارتفاع تكلفة هذه الكتب على علماء  
السودان ولذلك ضعفت ثقافتهم العامة ولم يكن لهم اقبال كبير على التأليف  
وقد أورد صاحب الطبقات أغلب ما ألفوا وهو عبارة عن حواشى وشروح •  
وعموماً كان العالم السودانى معلماً وقارئاً ولم يكن مؤلفاً • وعلى ما يبدو  
فأن أكثر ما تطارح فيه علماء السودان كان حول البن والتبغ راذ ذهب  
البعض الى تحريم هذا أو ذاك بينما ذهب الآخرون إلى أنه حلال" (١) .

ولعل هذه الملاحظة لا تنطبق على السودان وحده فى هذه الفترة فقد ضعفت  
الثقافة الاسلامية فى معظم الأقطار الاسلامية بفعل التقليد وقفل باب  
الاجتهاد •

هذا ما كان عليه امر التعليم فى السودان قبل ضمه للإدارة المصرية  
فى عهد محمد على باشا •

#### — التعليم فى السودان فى عصر محمد على باشا :

يعتبر محمد على باشا مؤسس النهضة التعليمية فى مصر الحديث  
حيث أنشأ عدداً من المدارس منها مدرسة الهندسة فى سنة ١٨١٦م ومدرسة  
المهندسخانة ببولاق فى سنة ١٨٣٤م ومدرسة الطب فى سنة ١٨٢٧م ومدرسة  
الصيدلة والولادة ومدرسة الألسن فى سنة ١٨٣٦م ومدرسة المعادن بمصر القديمة

- 
- (١) د. عز الدين الامين تراث الشعر السودانى • مرجع سابق ص ١٤ .  
(٢) انظر محمد ابراهيم أبوسليم — دور العلماء فى نشر الاسلام فى  
السودان — المجموعة الأولى من بحوث معالم تاريخ الاسلام فى السودان —  
مرجع سابق ص ٨٠ .

فى سنة ١٨٣٤م ومدرسة المحاسبة بالسيدة زينب فى سنة ١٨٣٧م ومدرسة الفنون والصنائع فى سنة ١٨٣٩م . كما أهتم بارسال البعثات إلى أوروبا وخاصة إلى فرنسا وذلك بقصد الاستفادة مما أنتجته الحضارة الأوروبية فى مجال التعليم (١) .

وعندما ضم محمد على السودان إلى أملاكه فى سنة ١٨٢١م اهتم بأمر التعليم فى السودان . وفى البداية نجد أنه قد أرسل مع حملة الفتح ثلاثة من العلماء المصريين هم القاضى محمد الأسيوطى الحنفى والسيد أحمد القبلى الشافعى والشيخ السلاوى المغربى المالكى . ووهب كلامهم خلعة سنينة وخمسة عشر كيساً ( الكيس خمسمائة قرش ) وأوصاهم أن يحثوا أهل البلاد على الطاعة بلا حرب بحجة أنهم مسلمون وأنَّ الخضوع لجلالة السلطان أمير المؤمنين واجب دينى " (٢) . وقد مات فى السودان القاضى محمد الأسيوطى وتولى القضاء الشيخ أحمد القبلى وكان المفتى هو السيد أحمد افندى السلاوى " (٣) .

وقد قدر للقاضى السلاوى أن يلعب دوراً مهماً فى السودان فهو مالكي المذهب مثل أغلب السودانين ويبدو أن الغيرة المذهبية واندماجه فى المجتمع السودانى بالمصاهرة والصدقة دفعته إلى الحماس فى خدمة علماء السودان . فقد شجع مدارس السودان وخلاويه وأجرى عليها الجرايات وارتبط مع بعض العلماء بحبل الود والصدقة وكان هو الذى فتح الباب أمام خريجى

---

(١) لمعرفة تطور النهضة التعليمية فى مصر انظر عبدالرحمن الرافعى: عصر محمد على . مرجع سابق ص ٤٦٤ . وأحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على - مكتبة النهضة لمصرية ١٩٣٨ ص ٨٢ وما بعدها والمجلة التاريخية المصرية المجلد الأول ١٩٤٨م مقال تاريخ التعليم فى عصر محمد على .

(٢) انظر نعيم شقير: تاريخ السودان - مرجع سابق ص ١٩٦ .

(٣) انظر مخطوطة كاتب الشونة - مرجع سابق ص ٨٩-٩٠ ومحمد سليمان - دور الأزهر فى السودان . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م ص ٥٥ .

مدارس السودان للالتحاق بالقضاء وبوظائف الدولة عموماً وقد كان ذلك  
فتحاً مهماً .

" وقد تعهد بعض علماء السودان بالتشجيع على الكتابة ، فهو الذى  
كان وراء تأليف تاريخ سنار إذ شجع أحمد أبو على كاتب الشونة على تأليفه  
ثم دفعه إلى الزبير ورفوة وإبراهيم عبد الدافع (١) والأمين الضير فنظر  
كل منهم فيه وأدخل فيه ما أدخل . وقد دفع إبراهيم عبد الدافع فجعل من  
ذكرهم ود ضيف الله فى طبقاته ومن جاءوا بعده فى أرجوزة ثم تولى هو شرح  
الأرجوزة . وهكذا عرض السلاوى طبقات أولياء السودان بعيداً عن مبالغات  
وشطحات الطبقات " (٢) .

لقد قام السلاوى بدور مهم عندما فتح العلماء السودان العمل فى  
مجال دولاى الحكومة غير أن ذلك ربط هؤلاء بنظام الحكم ، وجعل اعتمادهم  
على ما يتلقونه من المرتبات مما أفقدهم الحرية التى كانوا يتمتعون  
بها وأضر بمكانتهم الاجتماعية " (٣) .

---

(١) صار إبراهيم عبد الدافع نائب الشرع فى الخرطوم فى العصر التركى ،  
ويقال أنه اشترك مع أحمد كاتب الشونة والزبير ولد ضوه والأمين  
الضير فى تأليف كتاب ( تاريخ ملوك السودان ) وقد نشر الدكتور  
مكى شبيكة هذا الكتاب بهذا العنوان . وبهذه النسبة للمؤلفين  
الأربعة ثم نشره بعد ذلك الشاطر بهيلى بعنوان مخطوطة كاتب الشونة  
ونسبه لأحمد كاتب الشونة وحده . وقد عرف إبراهيم عبد الدافع بشاعرية  
حسنة فى عصر الفونج والعصر التركى . كان ميلاده سنة ١٨٠٠ وتوفى  
بحلفاية الملوك سنة ١٨٨٢ م . انظر د . عز الدين الأمين تراث الشعر  
السودانى مرجع سابق ص ٢٤ .

(٢) د . محمد إبراهيم أبوسليم : دور العلماء فى نشر الاسلام فى السودان . مرجع  
سابق ص ٨١ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٢ .

ذكرت فى النظام الادارى أَنَّهُ بضم محمد على السودان إلى أملاكه أصبح وادى النيل كله فى وحدة ادارية جعلت الاتصال الثقافى بين شطرى الوادى أكثر التحاماً حيث فتحت أبواب الأزهر لعدد أكبر من السودانيين ويلاحظ نشاط هجرة الطلاب السودانيين إلى مصر فى هذه الفترة (١) .

كذلك " وفى أوائل العهد التركى فى السودان نسمع عن هجرة بعض العلماء المصريين إلى السودان ، ذلك أن سياسة محمد على كانت تهدف إلى توثيق العلاقات الدينية أولاً وقبل كل شئ بين البلدين " (٢) .

هذا ويعتبر عصر محمد على فى السودان بداية طيبة لنشر التعليم الحديث بين أبنائه وذلك بوسيلتين إحداهما عن طريق بناء المساجد فى عدد من البلاد السودانية أو عن طريق السماح للسودانيين بالالتحاق بالأزهر لتكملة دراستهم (٣) .

ولقد كان من الأعمال الهامة التى أدخلها محمد على إلى السودان تطويره لنظام التعليم الذى كان سائداً هناك . والذى كان قاصراً على حفظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة لبعض الأطفال فى الزوايا وفى الجوامع الصغيرة التى كانت توجد فى بعض قرى السودان الشمالى . وكانت هذه الزوايا لا تؤدي دورها فى خدمة العلم بالكفاءة المطلوبة لأنه لم يكن لها مصدر ثابت للانفاق عليها . فقد قام محمد على بتطويرها عن طريق بناء المساجد مثل مسجد الخرطوم ، الذى كانت وظيفته تنحصر فى تعليم أبنائه السودان

(١) انظر محمد فوزى مصطفى - الثقافة العربية - مرجع سابق ص ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨ .

(٣) انظر د . السيد يوسف نصر . الوجود المصرى فى أفريقيا . مرجع سابق

القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى كالنحو والخط . وقد خصص له هذا الجامع مبلغ مائة وخمسين قرشاً في الشهر للانفاق منها على التلاميذ الذين كانوا يدرسون فيه . لكن هذا المبلغ كان لايفى باحتياجات الامام ( شيخ المسجد ) والدارسين معاً مما اضطره إلى أن يشتكى إلى حاكم دار السودان الذى طلب بدوره زيادة المبلغ المخصص لهذا الجامع بحوالى مائة قرشاً فيصير مجموع مخصصاته مائتين وخمسين قرشاً ، كما طلب أيضاً تخصيص ثلاثة أرباب من الذرة لهذا المسجد كي يؤدي دوره فى خدمة العلم " (١) .

" وقد بلغ عدد الدارسين فى مسجد الخرطوم فى عصر محمد على حوالى واحد وثمانين تلميذاً كانوا جميعاً من أبناء السودان وفيما بعد تقرر أن يتقاضى كل تلميذ من هؤلاء التلاميذ مرتباً شهرياً قدره قرشان فقط بالإضافة إلى حصوله على ريعين من الذرة ( كيلة واحدة ) وذلك لكى يهتم كل منهم بدروسه . وهذه وسيلة من وسائل التشجيع وإن دل هذا العمل على شيء فانمما يدل على مدى اهتمام محمد على بنشر العلم الدينى فى السودان " (٢) .

لم يقتصر نشاط محمد على التعليمى على الخرطوم وحدها دون غيرها بل امتد نشاطه إلى المناطق الأخرى كدنقله التى وافق محمد على على إنشاء مسجد آخر بها لتعليم أبنائها القراءة والكتابة وحفظ القرآن بالإضافة إلى ذلك فانه قد سمح لأبناء سنار بالالتحاق بالجامع الأزهر وذلك لمواصلة دراستهم العالية فكانوا يدرسون التفسير والفقه والشريعة الاسلاميــــــــــــة وما إلى ذلك . وكان قد تصادف أن هؤلاء التلاميذ بعد وصولهم إلى مصر

(١) انظر المرجع السابق ض ١٢٠-١٢١ .

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة .

لم يجدوا رواقا خاصا لاقامتهم فيه . أسوة بغيرهم من أبناء الصعيد والمغاربة  
وسائر الأجناس الأخرى . ولما طلبوا لهم رواقا أفادت إدارة الأزهر —  
بانه لا توجد أروقة خالية ، فجميع الأروقة التى كان يبلغ عددها اثنين  
وعشرين رواقا كانت مشغولة . وعندما علم محمد على بذلك أمر بان يؤجر  
لهم مكان يستقرون فيه (١) فأجرت لهم إدارة الأزهر رواقا جديدا عـرف  
باسم رواق السنارية وما زال موجودا إلى هذا اليوم .

إضافة إلى ذلك فإن محمد على أمر باعادة بناء مسجد الفقيه ابراهيم  
ابن عيسى (٢) وجعله معهدا علميا مع تخصيص راتب شهرى له . كما أمر ببناء  
عشر حجرات لسكن الطلاب بمسجد كتراخ . كما أمر بإنشاء مدرسة لتعليم  
الصبيان بجانب مسجد دنقله وإلى جانب هذه المؤسسات أمر فى كردفان  
بإعفاء أولاد الشيخ اسماعيل الولى من فريضة السواقي والأطيان مساعدا  
لهم ليمضوا فى التدريس وفى إقامة شعائر الدين (٣) .

وعناية محمد على بمسجد كتراخ تشبثها المكاتبه التى أرسلها محمد  
على إلى حكامدار السودان وقد جاء فيها :

أرادة الى حكامدارالسودان

" اطلعت على كتابكم العربى العبارة وما معه من الأوراق المؤرخ  
فى ١٣ محرم سنة ١٢٦٣ هـ رقم (٥) الخاص بطلب بناء عشر حجرات لسكنى الفقراء  
(التلاميذ) وعمل سور للجامع الذى أنشئ فى قرية كتراخ فى مديرية الخرطوم

(١) د. السيد يوسف نصر . الوجود المصرى فى أفريقيا . مرجع سابق ص ١٢١ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) انظر د. عز الدين الأمين - تراث الشعر السودانى - مرجع سابق

من الطوب النىء وأنه إذا عمل ذلك من الطوب الأحمر يكون أقوى وأمتن . وإن تكاليف ذلك ثمانية آلاف قرش . وقد وافقت ارادتنا على إقامة السور وبناء الحجرات المذكورة من الطوب الأحمر بمبلغ ثمانية آلاف قرش وكتبنا لكم هذا الكتاب لتباشروا العمل " (١) .

ولابد أن نلاحظ أن ماورد فى مكاتبة محمد على عن تجديد عشر حجرات لسكن الطلبة إنما يعكس الدور الكبير الذى كان يؤديه هذا المسجد فى تدريس العلم لأبناء السودان وغيرهم .

ويتجلى اهتمام محمد على بأمر التعليم فى السودان أثناء رحلته إلى السودان سنة ١٨٣٨م حيث خاطب رؤساء القبائل والمشايخ موضحاً لهم أهمية تعليم أبنائهم وقد جاء فى بعض فقرات حديثه " ... ولكن المشاهدة والتقدير مع العلم بالقراءة والكتابة شيء وبدونهما شيء آخر . فان كنتم توفدون أبناءكم فى الحقهم بالمدارس الكثيرة التى وفقنى الله سبحانه وتعالى فى انشائها لتعليم أبناء الأمة وتثقيفهم وأدفع لهم نفقات مآكلهم وملبسهم . وبذلك ينعم أبناءكم بنصيب وافر من العلم والأدب فى هذه المدارس ثم أعيدهم بعد سنوات قليلة إلى أوطانهم معززين مكرمين . وأكون بهذا العمل قد خدمت عائلاتكم خدمة عظيمة من جهة وخلصت اسمى مقرونًا بالفخار إلى يوم القيامة من جهة أخرى " (٢) .

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة . وثيقة رقم ١٣ بتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ١٢٦٣ / ٨ فبراير ١٨٤٧ مكاتبة رقم ١٠ ص ٢٢٧ سجل رقم ٤٠٨ صادر المعية السنية . تركز الفترة التاريخية للسجل فى ٢١ رمضان ١٢٦٢ هـ إلى آخر رمضان ١٢٦٣ هـ نقلًا عن د. عز الدين الأمين - قرية كترانج وأثرها العلمى فى السودان - دار جامعة الخرطوم للتأليف والترجمة والنشر ١٩٧٥م ص ١٧-١٨ .

(٢) د. حسن أحمد إبراهيم - رحلة محمد على باشا إلى السودان . مرجع سابق



وقد كانت كلمات الباشا ذات أثر كبير على الزعماء والمشايخ حتى أن التقرير الرسمى للرحلة قد ذكر أنه كان لهذا الخطاب أثراً عظيماً على نفوسهم المكروبة مما جعلهم يذرفون دموع الفرح متأثرين بهذه المجاملات . وسارعوا بالوعد بارسال أبنائهم . وأنبرى عبدالقادر اغا شيخ الجزيرة وأظهر إخلاصه بقوله ليس لى أبناء ومع ذلك سأسرسل ابن أخى" (١) .

وتشير المصادر الى ان عدداً من أبناء وجهاء السودان قد وصلوا الى القاهرة عقب عودة محمد على إليها . وقد أمر محمد على بالحاقهم بالمدرسة التحيزية ليتعلموا القراءة والكتابة أولاً ثم يدرسوا بعد ذلك علم الزراعة ، هذا وقد وجه الباشا بلزوم العناية بهم وتميزهم على غيرهم من تلاميذ المدرسة الآخرين وأن يخصص لهم خادم يقوم بما يلزم لهم واللا يفرق بينهم بل يكونوا معاً (٢) .

وتشير بعض المراجع الى أن هؤلاء الطلاب قد ألقوا بمدرسة الألسن قبل عودتهم الى السودان لتسلم وظائفهم الحكومية . وقد قضوا فى مصر ثلاث سنوات كانت تصرف لهم فيها الاعانات اللازمة . وعندما شرع محمد على باشا فى ارسال البعثات المصرية الى أوروبا كجزء من سياسته التعليمية وقع الاختيار أيضاً على نفر من أبناء السودان الذين كانوا يدرسون بمصر ولكنهم عادوا من أوروبا ولم يحضروا الى السودان وفضلوا الالتحاق بوظائف فى مصر (٣) .

- 
- (١) د. محمد فؤاد شكرى - رحلة محمد على الى السودان - مجلة آداب القاهرة العدد الثامن مرجع سابق ص ٢٧ .
  - (٢) انظر عبدالعزيز أمين عبدالمجيد تاريخ التربية فى السودان ج ٢ - المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٤٩م ص ١٦ .
  - (٣) انظر محمد عمر بشير تطور التعليم فى السودان ١٨٩٨-١٩٥٦م ترجمة هنرى رياض وآخرين - دار الثقافة . بيروت ١٩٧٠م ص ٤٠ .

وقد أورد الدكتور شكرى فى كتاب الحكم المصرى فى السودان خطاباً من أحد العلماء المنقطعين للتدريس أرسله إلى محمد على أثناء زيارة الأخير للسودان يشكره فيه على الخدمات التى يقدمها لطلاب العلم (١) .

(١) جاء فى هذا الخطاب " من اسماعيل بن عبدالله والحضرة صاحب الدولة العلية العثمانية (الخديو الاعظم) فى ٤ ذى الحجة ١٢٥٤ هـ ( ٨ فبراير ١٨٣٩ م )

حضرة صاحب الدولة العثمانية والمملكة البهية الخاقانية  
من بسط على رعيته بساط الحمد والأمان وأفاض عليهم نهال العدل والاحسان وحمل حوزة الملة الحنيفية بأسام المعارك وأروى أعداء الدين فى مهاوى المهالك صاحب القصر والتمكن والعز والسعد المكي وهو الأمير الأعظم والنيسوب الأكرم مبيد العصاة والمشركين قامع شوكة الفجرة المتمردين ناصب صراط العدل المستقيم شمس فلوك السعادة المشرقة على كل هارد خصيم سيد الوزراء (هكذا) مقصود الامرا (هكذا) ملجأ الفقراء غياث الورى أفندينا المؤيد المنصور وولى النعم أفندينا الحاج محمد على باشا أيده الله تعالى امين .  
بعد مزيد السلام وأجل التحية والاكرام اللائق لجنايبكم المعظم أمّا بعد بلغنا خبر قدومكم بأرض جزيرة سنار وحمدنا الله بقدومكم وصحة سلامتكم وتأيد دولتكم ومرادنا القدوم الى مواجعتكم السعيدة وطلعتكم البهية وحصل لنا عذر وجعلنا مكتوبنا نايباً ( هكذا )  
عنا وإن سألنا عن حالى فأنى رجل صاحب طريقة ودرس ، منقطع على باب الله . فالحمد لله منذ قدوم أولادك أرض السودان حصلت لنا الراحة والاكرام التام وكل ذلك بسبب إقبالك واکرامك لاهل الدين وحفظ حرمهم ويرجون الله سبحانه وتعالى ثواب ذلك فى سائر الأوقات فى المصباح والمساء وإن شاء الله ببركة الدعاء يبلغك مقصودك وشرف علمكم كفاية . السلام ورحمة الله تعالى وبركاته " .  
نقلا عن الحكم المصرى فى السودان ص ٢٧٣ .

لم يكتف محمد علي بإرسال العلماء إلى السودان وتشجيع الطلاب بالهجرة إلى مصر ولكنه أيضاً حاول تشجيع الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت إلى النزوح إلى السودان . وبالفعل جاءت بعض هذه الطرق إلى السودان (١) .

يلاحظ أن محمد علي - على الرغم من تشجيعه للتعليم في السودان - لم يضع سياسة تعليمية واضحة كتلك التي وضعها في مصر ولذا قال أحد الباحثين : " على الرغم من حماسة محمد علي باشا للتعليم الحديث وحشده للناس على الأخذ به فإنه لم يضع سياسة لتوجيه التعليم في السودان كما فعل في مصر " (٢) .

ويعلل باحث آخر هذا التقصير بأن محمد علي باشا لم يرد أن يملأ ارادته على القوم وهم حديثو الصلة به حتى لا يغير قلوبهم " (٣) .

ويعلق أحد الباحثين على سياسة الاتراك التعليمية بصفة عامة بقوله : وحصر الأتراك مسئولية الدولة في جباية الضرائب وحماية الولايات - من الغزو وقرار الأمن الداخلي وفض الخصومات بين الناس - أما المسائل العامة كالثقافة والتعليم فلم تكن تدخل بالضبط في مسئولية الدولة بل تركت للأفراد والجماعات " (٤) .

(١) انظر عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان . مرجع سابق ص ٩٨ .

(٢) د . ابراهيم الحازدلو : الرباط الثقافي بين مصر والسودان - دار جامعة الخرطوم للنشر والترجمة والتأليف ١٩٧٧م ص ٨ .

(٣) عبد العزيز أمين عبد المجيد : تاريخ التربية في السودان ج ٢ ص ١٣ .

(٤) د . يوسف خليل يوسف : القومية العربية ودور التربية في تحقيقها - الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٦م ص ١٠١ .

وهذا القول على إطلاقه ليس صحيحاً لأنَّ الأتراك بصفة عامة ومحمد على بصفة خاصة قد اهتموا بالتعليم وفتح المدارس والإنفاق عليها ولكن اهتمامهم بالتعليم والحق يقال لم يكن في مستوى اهتمامهم بالنواحي الإدارية والعسكرية والعمرانية .

أمّا لماذا لم يضع محمد على سياسة تعليمية واضحة في السودان فالسبب في ظني يرجع إلى أنَّ محمد على كان يفكر في إنشاء دولة مترامية الأطراف ولذلك كان تركيزه في المقام الأول على الجوانب الإدارية والعسكرية حتى إذا ما استقرت هذه الأمور فكر في الجوانب الأخرى .

وتناول أحد الكتاب سياسة محمد على التعليمية بقوله : " كان لمحمد على سياسة معروفة تتعلق بالتعليم فقد كان يغلب المنفعة على النظريات وقد أبقى في مصر التعليم القومي ، وهو التعليم الديني المنتشر في القرى والحوضر على أوضاعه المألوفة . أي أنه واجه مشكلة الثقافة عموماً ومساائل التربية والتعليم خصوصاً بروح الاعتدال فتجنب الإملاء على الناس كما تجنب الفصل بين نظم ونظم ، فلم يخلق شائبة في معاهد التعليم بل تمت تلك الشائبة في أيام الجيلين الحاضر والسابق من المصريين . ولم تعرف أيام محمد على إلا ثقافة اسلامية في كل مكان ، أُضيف إليها إعداداً فنياً في امكنة معينة (١) . "

ويمكن أن يضاف إلى تشجيع محمد على للتعليم الذي كان موجوداً في السودان اهتمامه بالرحلات الكشفية ومجهوداته في كشف منابع النيل معلومة وقد تحدثنا عن ذلك في النظام الإداري .

---

(١) عبدالعزيز أمين عبد المجيد تاريخ التربية في السودان ج ٢ مرجع

مما تقدم نلاحظ أنَّ محمد علي قد شجّع التعليم الاسلامي الذي كان موجوداً  
في السودان بطرق شتى شملت بناء المساجد والخلوى ودعمها وارسال  
العلماء إلى السودان وتشجيع الطلاب على السفر إلى القاهرة ، إلا أنَّ الأمر  
الذي يؤخذ عليه هو أنَّه لم ينتهج سياسة واضحة في هذا المجال كتلك التي  
انتهجها في مصر ولم يقيم بفتح مدرسة واحدة في السودان في الوقت الذي  
أنشأ فيه عشرات المدارس هناك .

...

# الفصل الثاني

نظام التعاليم في السودان  
في الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٦٣ م

تمهيد :

تحدثت في الفصل السابق عن نظم التعليم التي كانت سائدة في السودان قبل عصر محمد علي ثم تطرقت لجهود محمد علي في مجال التعليم في السودان بعد ضمه إلى الإدارة المصرية وذكرت أن محمد علي قد شجع التعليم الديني الذي كان موجوداً في السودان ولكنه لم يوسع إلى تطويره ولم ينسره له فتح مدرسة واحدة في السودان كما فعل في مصر . وسأحاول في هذا الفصل تتبع جهود خلفاء محمد علي ، عباس وسعيد في مجال التعليم في السودان .

- جهود عباس الأول :

قام عباس الأول بإغلاق بعض المدارس التي كان جده محمد علي قد افتتحها في مصر مما جعل بعض الكتاب يتهمون به بالرجعية ومحاربة العلم والعلماء . ولكن الأمر الذي فاجأ به عباس هؤلاء الكتاب هو قيامه بافتتاح مدرسة نظامية في الخرطوم تعتبر الأولى من نوعها مما جعل قطاعاً كبيراً من المؤرخين يشككون في نوايا عباس ويعتقدون أن عباس ما افتتح هذه المدرسة إلا لتكون منفى لرجال العلم والأدب وقبادة النهضة في مصر (١) .

وقد جاء في خطاب عباس باشا الذي أرسله إلى حكام السودان بخصوص هذه المدرسة ما يلي : " لما كانت الأقاليم السودانية من البلاد الجسيمة ولما لم يكن قد أنشئت في تلك الديار المتسعة مدرسة يرى فيها أولاد مشايخها وغيرهم من أهلها والأولاد الأتراك الذين ذهبوا إلى تلك الديار وتوطنوا بها

(١) انظر Hill, Richard - *Egypt in the Sudan*. op cit. p. 88.

وكذلك الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى - تحقيق د. محمد عمارة المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ج ١ ص ٥٧ وما بعدها .

منذ أعوام خلت وكذلك أحفادهم ، يتعلموا فيها الفنون والقراءة والكتابة فيزدادوا شفاقة وفطنة ولما كان المجلس الخصوصى قد تشاور فى جلسته التى عقدها أخيراً فقرر إنشاء مدرسة بتلك البلاد بغية انقاذ أولادها من ظلمات الجهل وتنويرهم بأنوار المعارف بمقتضى مراحم الذات الخديوية والمكارم الأصفية التى شملت جميع الرعايا والبرايا ، قد قرّر الرأى على أن تفتح هذه المدرسة فى العاصمة الخرطوم وأن يكون نظامها موافقاً لأصول المدارس المصرية وعلى نمط ترتيب مدرستى المبتديان (١) والتجهيزية (٢) ، وأن يقبل ويسجل فيها نحو مائتين وخمسين غلاماً من أولاد المشايخ والأهلين القاطنين بمديريات دنقله والخرطوم وسنار والتاكة وملحقاتها ، وكذلك من أولاد الأتراك الذين توطنوا بتلك الديار وأحفادهم وعلى أن يولى عليها ناظر مهلم بأصول المدارس ليتمكن من ترتيبها كما ينبغى وتنظيمها على أحسن وجه فاستحسن المجلس إختيار أميرالاي رفاعة بك الذى بديوان المدارس ناظراً للمدرسة المذكورة وأرساله إلى تلك الديار وانتخاب المعلمين الذين تحتاج إليهم تلك المدرسة برأى البك المشار إليه وكتب إلى حضرة صاحب العزة الباشا مدير المدارس فى ٦ من ح ج ب ١٢٦٦ م ورقم ١٦٦ بأن يبلغ رفاعة بك المشار إليه مهمته ويطلب إليه أن يشعر المجلس بالمعلمين الذين يصطفيههم وينتدبهم وأن يضع مشروعاً يبين فيه مقدار المأكولات والملابس وسائر اللوازم التى تصـرف لهذه المدرسة شهرياً و سنوياً على نحو الترتيبات المتبعة فى المدارس المصرية وأن يرسل هذا المشروع موضوعاً على نهج مدرستى المبتديان والتجهيزية كما اسلفنا وقد أنبأنا حضرة المدير المشار إليه فى كتابه رقم ٧٢ المحرر

(١) المدارس الابتدائية التى كانت موجودة فى الأقاليم فى عهد محمد على

— انظر أحمد عزت عبد الكريم — تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ١٤٧

(٢) التجهيزية عبارة عن مدرسة ابتدائية كانت تعد الطلاب لدخول المدرسة الحربية انظر المرجع السابق ص ٨٣



فى ١٣ من رجب سنة ١٢٦٦ م ان المعلمين اللّازمين لتلك المدرسة قد انتخبوا من بين أكفاء الرجال وأنّه قد وضع مشروع يبين فيه الموظفون الآخرون ومقادير الفرش والملابس والجرايات والمرتبات ورفع إلى الاعتناب فنال موافقة ارادة ولى النعم وأنّ الاشياء اللازمة للطلبة والمذكوريين التى جاء بيانها فى المشروع قد قدرّت ثمانها على حسب أسعار القاهرة وأنّ على المعلمين الذين ذكرت أسمائهم فى المشروع أن يقوموا بتدريس الطلبة وبمهمة الضبط والربط ، والوزان ووكيل الخرج (١) والغسّال والسقاء والطباخ وغيرهم من الخدم ينبغى انتدابهم من تلك الديار ، وأن تلاميذ اذ يكونون مبتدئين عند دخولهم المدرسة فيستطيعون الدخول فى عداد التلاميذ التجهيزية فى ظرف ثلاث سنوات أو أربع فقد اعتبروا مبتدئين والحالة هذه وخص لكل منهم مرتباً شهري قدره ستة قروش . وقد أرسل إلينا المشروع المذكور فاطلعنا عليه وتبين لنا أن مجموع نفقات المدرسة المذكورة سنوياً تبلغ ثلاثمائة وثلاثين ألفاً وثلاثة وثلاثين قرشاً وتسعاً وثلاثيه بارة فوافق المجلس على تنفيذ مقتضى الترتيب المذكور وقرر استصدار أمر إلى رفاعة بك المشار اليه بأن يستصحب حين يبلغه القرار الأحد عشر معلماً والطبيب الذين انتدبوا من هنا وذكرت أسمائهم فى المشروع السالف ذكره فيسرع بهم إلى صوب مهمته ويبادر فى تأسيس المدرسة المذكورة وينظمها وفق المطلوب السامى عند وصوله إلى الخرطوم بعد أن يخبر حضرة الباشا حاكم دار السودان وأن لا يألوا جهداً فى التأكيد على المعلمين وفى البحث والتحرى وأن لاتعد عيناه عن التلاميذ وأن يرغبهم فى العمل ويبذل همته فى سبيل تقدمهم فى اكتساب العلوم والمعارف وأمر إلى صاحب العرة الباشا مدي المدارس فى سياق نحو قيد البك المشار اليه وقيود المعلمين والطبيب الذين سبق ذكرهم من سجلات استخدامهم ويرسل كشوف مرتباتهم وجراياتهم إلى

---

(١) لم أقع على معناها .

حضرة صاحب السعادة حكمدار السودان ليقيّدوا في مجال استخدامهم بتلك  
الديار جرياً على الأصول وأمر الى حضرة صاحب السعادة حكمدار السودان بان  
يخصص محلاً مناسباً للمدرسة المذكورة حين يصل اليك المشار اليه الى الخرطوم  
فيقيّد البك المشار اليه والمعلمين والطبيب السالف ذكرهم بموجب الكشف  
الذي سيرسل من ديوان المدارس وأن يختار الخدم والموظفين الآخرين الوارد  
ذكرهم في الترتيب من أهل تلك الديار وأن يقيّد للمدرسة المذكورة بتشاور  
مع الناظر المشار اليه طلباً من أولاد مشايخ الجهات السابق ذكرهم  
وأهلها من أولاد الأتراك المتوطنين بتلك الديار منذ قديم الزمان وأحفادهم  
على الوجه الذي أسلفنا كما ( هكذا ) جاءوا حتى يبلغ عددهم مائتين وخمسين  
طالباً وأن يقيّد طعامهم ولباسهم ومرتباتهم ولوازمهم الأخرى على الوجه  
الذي يبين في كتاب الترتيب ابتداءً من تاريخ قدومهم ويحضرها ويصرفها  
لهم في أوقنتها . كما قرر المجلس إرسال صور من المشروع المذكور الى  
المشار اليهم في هذا القرار" (١) .

وتنفيذاً لما جاء في هذا الخطاب انتخب رفاعة الطهطاوي أحد عشر  
مدرساً وطبيباً للعمل معه في مدرسة الخرطوم وكان أكثر المدرسين ممن  
تلاميذه الذين درسوا عليه (٢) .

(١) عابدين - المعية دفتر ١٩٥٨ قرارات المجلس الخصوصي (تركي) رقم (٤)

صفحة ١١٩ فصل المدارس نقلاً عن د. محمد فؤاد شكرى - الحكم المصري  
في السودان . مرجع سابق ص ٣٠٢-٣٠٤ .

(٢) الأساتذة الذين أختيروا لمدرسة الخرطوم هم :

- ١- القائم مقام محمد بيومي أفندي من قدامى أساتذة مدرسة  
المهندسخانة ورئيس قلم ترجمة الكتب الرياضية .
- ٢- الصاغول أحمد طائل من مدرسي المهندسخانة وقد كان مفتشاً  
بديوان المدارس .

٣- الملازم أول محمد علي أفندي ٤- الملازم ثاني علي عثمان أفندي

م- الملازم ثاني ابراهيم محمد أفندي (=)

لقد كان من الأهداف التي يرجى أن تحققها تلك المدرسة ايجاد موظفين سودانيين يعزفون القراءة والكتابة ليتولوا أعمال الكتبة والمحاسبين في دواوين الحكومة وربما ترسل هذه المدرسة بعض الطلاب الذين يظهرون استعداداً طيباً للدراسة في مصر في المدارس التجهيزية . إلا أن ظروفًا غامضة اكتتفت إنشاء هذه المدرسة منذ البداية . فعلى الرغم من أن قرار إنشاء هذه المدرسة قد صدر في سنة ١٨٥٠ إلا أنه لم يتم افتتاح هذه المدرسة إلا في عام ١٨٥٣م فقد مضت ثلاثة أعوام بين صدور القرار بإنشاء هذه المدرسة وبين افتتاحها بالفعل . كما أن رفاعة الطهطاوى لم يكن سعيداً بالعمل الذي انتخب لأدائه . ولعله قد اضطر إلى الإنصياع لأمر الباشا باضطراب . ولم يكن بعيداً أن رفاعة رأى في شخوصه إلى الخرطوم عقاباً له ونفيًا . فكثيراً ما شكا إلى أصحابه الذين حملوا رسائله من الخرطوم إلى أهله وأصدقائه في مصر (١) .

اتهم بعض الباحثين رفاعة رافع الطهطاوى بالتقصير في أدائه مهمته والتهاون في إنشاء المدرسة في الخرطوم . ثم اوردوا خيراً بأن رفاعة قد تصرف في المهمات التي أخذها معه من مصر (٢)

(=) ٦- الملازم ثاني محمد مرسى أفندي .

٧- الشيخ رجب وكان من علماء الأزهر .

٨- الملازم ثاني أمين أفندي .

٩- الشيخ اسماعيل فرغلي .

١٠- الشيخ أحمد الواعظ .

١١- الشيخ مكاوي من علماء الأزهر .

١٢- الطبيب سليمان السيوطي .

ويلاحظ أن معظم هؤلاء المدرسين من السلك العسكري .

انظر عبدالعزيز أمين عبد المجيد : تاريخ التربية في السودان ج ٢ ،

مرجع سابق ص ٢٨-٢٩ .

(١) انظر د . ابراهيم الحارولو : الرباط الثقافي بين مصر والسودان ، ص ١٢ .

(٢) انظر عبدالعزيز أمين عبد المجيد . نفس المرجع ، ص ٣١ .

وقد صحبت الفترة التي قضاها الطهطاوى فى الخرطوم ظروف قاسية إذ مات أربعة من المدرسين الذين صباه إلى الخرطوم للعمل فى مدرستها فأصبح هذا حدثاً فاجعاً للعاملين من المدرسين ومصدر فزع لكل من يعين مستقبلاً فى السودان . وكانوا يرجعون أسباب الموت إلى رداءة الطقس فى السودان والأمراض الناجمة عنه وكان من بين الذين توفوا محمد بيومى أفندى صديق رفاعه ورفيق دربه (١) .

يضاف إلى كل ذلك تشكيك المؤرخين - كما ذكرنا - فى نوايا عباس فعباس فى نظرهم مثال للرجعية ومعاداة العلم والعلماء وقد أغلقت من المدارس ما كان قائماً فكيف يمكن تفسير افتتاحه لهذه المدرسة ما لم يكن قصده منها أن تكون منفى للعلماء (٢) . ويؤكدون ذلك بان مرتتب رفاعه الطهطاوى ظل محجوزاً منذ أن غادر القاهرة حتى عاد إليها بعد وفاة عباس باشا . وكان حجز الصرف بدعوى أن رفاعه كان قد تصرف فى الكتبخانة الأفرنجية التى كانت بمدرسة الألسن . وتم حجز مرتبته حتى يتم الفراغ من جرد الكتبخانة . وبعد عودة رفاعه صدر أمر بصرف بعض استحقاقه . وقد دافع بعضهم عن نوايا عباس فى افتتاح هذه المدرسة بقوله " لو أراد عباس نفى رفاعه الطهطاوى أو غيره لأمكنه ذلك دون اللجوء إلى المبررات والمعاذير (٣) .

- 
- (١) انظر ابراهيم الجار دلو : الرباط الثقافى بين مصر والسودان ، مرجع سابق ص ١٣ .
- (٢) انظر د . مكى شبيكه : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ود . محمد عمارة : الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ج ١ ، مرجع سابق ص ٦٠ .
- (٣) انظر عبدالعزيز أمين عبد المجيد - تاريخ التربية فى السودان ج ٢ مرجع سابق ص ٢٥ .

وأنا أرى أنَّ الأمرين معاً يمكن أن يكونا قد حدثا . لأنَّ المجلس  
الخصوصى هو الذى وافق على افتتاح هذه المدرسة كما رأينا فى خطـ<sup>ب</sup>اب  
عباس باشا إلى حكمدار السودان . وربما يكون المجلس الخصوصى قد استشعر  
حاجة البلاد إلى مثل هذه المدرسة . فلما رأى عباس أنَّ المدرسة تقرـ<sup>ر</sup>  
فتحها أرسل إليها رفاعة الطهطاوى ومن معه من الأساتذة غير المرغـ<sup>وب</sup>  
فيهم .

على كل افتتحت المدرسة بقليل من الطلاب ، واحدا وثلاثين (١) طالباً  
ولم يزدوا على هذا العدد بعد استمرار الدراسة فيها وإن لم ينقصوا .  
وهذا عدد قليل جداً بالنسبة للعدد الذى حدده المجلس الخصوصى ( ٢٥٠ غلاماً )  
ولم تستمر الدراسة أكثر من سنة دراسية واحدة . بدأت فى شوال سنة ١٢٦٩ هـ إلى  
شعبان سنة ١٢٧٠ هـ وكانت نحواً من تسعة أشهر . ولا أحد يستطيع الحديث  
عن الفائدة التى خرج بها هؤلاء التلاميذ . وفى هذا العام وبعد وفاة عباس  
باشا صدر أمر فى ٢٧ شوال سنة ١٢٧٠ هـ إلى حكمدار السودان بالغاء  
مدرسة الخرطوم وذكر أنَّ حكمدار السودان لم يستقبل رفاعة وأصحابه  
استقبالاً طيباً بل وزع معدات المدرسة على الجيش وأهمـ<sup>ل</sup> شأن رفاعة وصحبـ<sup>ه</sup>  
وقد قيل أنهم بقوا فى الخرطوم مدة طويلة دون عمل وبلغ الهـ<sup>وان</sup>

---

(١) ذكر ريتشارد هل ان جيمس هاملتون الذى زار الخرطوم فى ذلك الوقت  
( ١٨٥٣ ) قد وجد فى مدرسة الخرطوم أربعة وثمانين تلميذاً ليسوا من  
أبناء الشعب السودانى والمواطنين وإنما هم من أبناء العاملين  
فى الدولة كما ذكر أنَّ المدرسة كانت تحت إدارة رفاعة الطهطاوى  
ومعه اثنى عشر معلماً ومعهم طبيب واحد وأنَّ الطلاب كانوا يدرسون  
القرآن واللغة العربية والتركية وقليل من الهندسة وعجب هاملتون  
لتقدم التلاميذ فى هذه الفترة . انظر :

Hill , Richard - Egypt in the Sudan - op cit . p. 88.

برفاعة مبلغه عندما ندب لاحصاء النخيل (١) .

وقد ذكر الدكتور أبوسليم أن طلاب هذه المدرسة كانوا من أبناء الموظفين وأثرياء المدينة . أما أبناء العامة فكانوا يذهبون إلى الخلوى (٢) .

وقد ذكر الشيخ الطهطاوى بأن مشايخ الخرطوم الذين يحفظون القرآن قد تعلموا منه تجويد القرآن وعلم القراءة حتى صاروا ماهرين فى ذلك كما قام رفاعة بترجمة كتاب فى الأدب أثناء مكوثه فى الخرطوم (٣)

وبالطبع " لم تسعد الخرطوم الشيخ فصار يرسل التوسل تلو التوسل لروء سائه يستعطفهم العفو عنه واعادته إلى مصر وقد سجل لنا فى كتبه شيئاً عن السودان بما فى ذلك قصيدة هجا فيها الخرطوم وحياتها القاسية التى إذا قورنت بما رأى من حال المدنية والحضارة فى فرنسا تعد أكثر من بدائية (٤) وهذا ما تكشفه لنا قصيدته الطويلة والتى اختتمها بقوله :

ثلاث سنين بالخرطوم مرت	بدون مدارس طبق الممراد
وكيف مدارس بالخرطوم ترجى	هناك ودونها خرط القتاد
نعم ترجى المصانع وهى أجدى	لتأييد المقاصد والمبادئ

(١) انظر د . محمد ابراهيم أبوسليم : تاريخ الخرطوم . مرجع سابق ص ٤٣ .

(٢) انظر محمد ابراهيم أبوسليم . المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) انظر الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى . مرجع سابق ج ١ ص ٤٦٢ .

(٤) حسب الله محمد أحمد : قصة الحضارة فى السودان - دار يوليو للترجمة والنشر . القاهرة ١٩٦٦م . جماعة بحث التاريخ السودانى - ص ٣٦٦ .

علوم الشرع قائمة لديهم لم رغوب المعاش أو المعاد (١)

ولم يقض رفاة الطهطاوى فى السودان بعد وفاة عباس باشا سوى أيام معدودات أعد فيها نفسه لمغادرة الخرطوم إلى القاهرة ولم يعد بعدها للسودان أبداً .

هذا ما كان عليه حال التعليم على المعيد الرسمى . أما على الصعيد الشعبى فقد استمرت المساجد والخلوى والعلماء فى أداء مهمتها التعليمية واستمر الطلاب فى هجرتهم إلى مصر لطلب العلم فى الأزهر الشريف .

ويلاحظ أنه قد ظهرت لأول مرة فى هذا العهد إجازات علمية لبعض الطلاب السودانيين الذين كانوا يدرسون العلم بالأزهر . وسأحاول هنا أن أستعرض بعض هذه الإجازات مع التعليق عليها .

أقدم هذه الإجازات المؤرخة هى اجازة الشيخ على العربى من علماء الأزهر لأحمد بن محمد بن عيسى السنارى (٢) وولده الشيخ محمد (٣) وهى

(١) انظر الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ج ١ ص ٤٥٣ وما بعدها .

(٢) هو أحمد البدوى أحد حفدة الشيخ عيسى بن بشارة الأنصارى الخرجى ولد بقرية كترانج جنوب الخرطوم . رجل إلى مصر والتحق بالأزهر ودرس على شيوخه ونال بعض الإجازات . عاد إلى السودان سنة ١٢٧١ الموافق ١٨٥٥م وجلس للتدريس فى كترانج . كانت وفاته سنة ١٢٨٦/١٨٦٩ ببربر وهو فى طريقه إلى الحج ودفن بها . انظر عز الدين الأمين . قرية كترانج . مرجع سابق ص ٧١ .

(٣) الشيخ محمد بن أحمد البدوى رحل من مولده كترانج إلى مصر وتلقى علوم الأزهر عن شيوخ والده وحصل معه على إجازات مشتركة بينها وهذه الإجازات تدل على أن الفقيه محمد تلقى كوالده فى المذاهب الثلاثة المالكية والشافعية والحنفية . ولقد عين الفقيه محمد مدرساً بالأزهر وظل فى وظيفته تلك ثمانى سنوات حيث توفى هناك ودفن بمصر بعد أن قام بها إقامة علمية تزيد عن العشرين سنة . انظر المرجع السابق ص ٧٤ .

بتاريخ سنة ١٢٦٧ هـ مع أن هناك بعض الاجازات غير المؤرخة لهذين  
الشيخين من بعض شيوخ الأزهر . وقد جاء في الاجازة الأولى (١) :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما  
بعد فقد استجازنى كل من أخينا الفاضل والهمام الكامل بركة الوقت  
وصالح الزمان الحقيق لكمالهما بأن يشار إليهما بأطراف البنان من أرجو الله  
أن ينفعنى ببركته وشريف همته الممنوح من العطايا بامداد المرلى  
البارى، الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى السنارى وولده العامل والفاضل  
الكامل الشيخ محمد بما أجازنى به مشايخ الكرام الذى من جملة ماتضمنه  
هذا الثب لظنه أنى أهل لذلك رأئى من فرسان تلك المسالك فقلت وبالله  
التوفيق أجزت كلا منهما بما تجوز لى وعن روائته من معقول ومنقول  
أدام الله لهما السرور والقبول راجياً ألا ينسيانى من الدعوات فى  
الخلوات والجلوات والناجى من يأخذ بيد أخيه يوم لا ينفع مال ولا بنون  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . كتبه بيده الفقير على العزى  
المعروف بالمحلان الشافعى مذهباً الأحمدى طريقة غفر الله له ولوالديه  
وأحسن إليهما وإليه وإلى جميع المسلمين آمين ولا حول ولا قوة إلا بالله  
العلى العظيم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم" (٢) .

(١) اعتبر الدكتور عز الدين الامين هذه الاجازة هى الثانية من ضمن  
الاجازات التى منحت للفقهاء أحمد بن محمد بن عيسى ولابنه محمد  
ولكن اعتبرها الأولى لأنها تحمل تاريخ سنة ١٢٦٧ هـ بينما بقيّة  
الاجازات لا تحمل تاريخاً أصلاً أو تحمل تاريخاً بعد هذا .  
انظر: د. عز الدين الامين : قرية كترانج وأثرها العلمى . مرجع

سابق ص ٨٣ .

(٢) انظر صورة هذه الاجازة فى ملاحق هذا البحث .



( هنا ختمه على العزى ) (١)

١٢٦٧

تحليل هذه الاجازة :

طريقة الاجازات طريقة معروفة فى نظم التعليم الاسلامية وقد تحدث عنها القلقشندى باستفاضة فى كتابه صبح الأعشى . وهى نظام أشبه بنظام الشهادات العلمية التى تمنحها الجامعات والمعاهد لطلابها فى زماننا هذا .

وبالنظر لهذه الاجازة العلمية يمكن ملاحظة عدد من الملاحظات منها أن هذه الاجازة بدأت بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وهذه سمة موجودة فى كل الاجازات باعتبار أن كل أمر ذى بال لابد أن يبدأ بالبسملة والصلاة على النبى - ص - .

الملاحظة الثانية هى أن الطلاب هم الذين يطلبون هذه الاجازات من شيوخهم ويتضح ذلك من قول الشيخ ( فقد استجازنى كل من أخينا الفاضل والهمام ... الخ ) .

ولكن الشيخ لا يقوم باعطاء الاجازة إلا بعد أن يتأكد من إتقان الطلاب لعلومهم باعتبار أن هذا العلم أمانة .

الملاحظة الثالثة هى أن الشيخ يجيز فيما أجازه مشايخه من علم وبهذه الصورة يكون العلم منضبطا ومتسلسلا .

الملاحظة الرابعة تتعلق بأسلوب كتابة الاجازة الذى غلب عليه السجع وهو من أساليب تلك الفترة .

---

(١) يذكر الدكتور عز الدين الامين أن اسم هذا الشيخ هو الشيخ محمد العربى وليس العزى . انظر د. عز الدين الامين : تراث الشعراء السودانى . مرجع سابق ص ٤٤ .

من الملاحظات أيضاً أن هذه الاجازة لم تحدد علماً بعينه ولا كتاباً باسمه وإنما جاء فيها ( أجروا كلاً منهما بما تجوز لى وعن روائتـه من معقول ومنقول ) وربما يكون سبب ذلك أن الشيخ كان مشهوراً وبالتالى كانت المواد التى يقوم بتدريسها مشهورة ومعروفة كذلك .

فى نهاية الاجازة ذكر الشيخ مذهبه وطريقته واختتم ذلك بالدعاء له ولوالديه ولسائر المسلمين ثم الصلاة والسلام على رسول الله . وفى ذيل الاجازة وضع ختمه .

#### ـ الاجازة الثانية (١) :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم والحمد منك وإليك ونصلى ونسلم على سيدنا محمد خير من دل عليك وعلى آله وصحبه الهادين والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين أمّا بعد فقد طلب منى الشيخ الفاضل والصالح والكامل الناجح الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى السفارى وولده العالم الفاضل محمد أن أجيز كلاً منهما بما تصح لى اجازته وصحت لى روائته من العلوم منقولها ومعقولها وقد اجتمع علينا كل منهما فى قراءتنا بالأزهر الأنور المعمور بذكر الله وسمع كل منهما منا من العلوم منقولها ومعقولها فقلت أجزتهما بما صح لى وعنى وسمعاه منى على شروط الاجازة المقررة المشهورة فى بابها المحررة موصياً لهما بتقوى

---

(١) اصول هذه الاجازات موجودة بمكتبة جامعة الخرطوم وأورد نصوصها كل من عبد العزيز أمين عبد المجيد - تاريخ التربية فى السودان - مرجع سابق ج ٣ ص ٤٩-٥٥ و د. عز الدين الامين : قرية كترانج واشهرها العلمى فى السودان - مرجع سابق ص ٨٩ وما بعدها .

الله العظيم وأن لا ينسياني فمخ خلواتهما وجلواتهما من صالح دعواتهما —  
وعلى الله اعتمادى وهو حسبى وكفى ورسلاً على عباده الذين أصفى قاله  
الفقيه أحمد بن محمد كيوه العدوى حامداً مصلياً مسلماً.  
( ختمه احمد بن على بن محمد كيوه المالكي ) (١)

#### التعليق على الاجازة :

نفس الملاحظات السابقة يمكن ملاحظتها على هذا الاجازة مما يدل على  
أن أسلوب كتابة الاجازات فى الأزهر كان أسلوباً واحداً معروفاً ومتداولاً حتى  
أن الباحث يلاحظ أن عبارات بعينها قد وردت فى الاجازتين معاً مما يجعلنى  
اعتقد بأن أحد الشيخين قد رأى اجازة الشيخ الآخر قبل أن يكتب هو اجازته  
ولو كانت الاجازة الثانية مؤرخة بتاريخ معين لاستطعت أن أحدد من —  
الشيخين رأى اجازة الشيخ الآخر . انفردت الاجازة الثانية بوصية للفقيه  
أحمد وابنه بتقوى الله العظيم .

#### الاجازة الثالثة :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه  
وسلم حمداً لمن فتح قلوب ذوى المعارف لفهم أسرارهم ونور بصائرهم (هكذا)  
بنور جلاله وكساهم حلل أنواره فهم الوارثون للعلوم من حضرة الرسول مع  
اقتفا (هكذا) آثاره والمغازون (٢) منه ببث العلوم والمعارف فصح سندهم  
فى ذلك وتابعهم فى ذلك سالف وخالف . فالسعيد من تعلق بأزيالهم واقتفا  
(هكذا) آثارهم والا فهو تالف وصلة وسلاماً على (على) (٣) من قال علماً (هكذا)

(١) انظر صورة الاجازة فى ملاحق هذا البحث .

(٢) لعلها المجازون .

(٣) زيادة فى الاصل .

أمتى كانبيا ( هكذا ) بنى اسرائيل فكفى بذلك شرفاً وياحبذا ذلك الفضل والتعظيم وعلى الآل والأصحاب والأتباع ذو الفضل الجزيل وبعد فلما كان السند من مهمات الدين وشأن ( هكذا ) الجهابذة المخلصين طلب أخوننا العمدة الفاضل العلامة اللوزعى الفهامة الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى السنارى وابنه الشيخ محمد أن أجيزهما بما تلقيته عن الجهابذة الأعلام على عادة المحييين فأجزتهما بذلك وإن كنت لست أهلاً لما هنالك ضارعاً إلى المولى الكريم أن ينفع (١) به المسلمين موصياً بالتقوى فانها السبب الأقوى والألّ يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه وأن لا ينساني فن صالح دعواته فى خلواته وجلواته وصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم الفقير إلى الله تعالى أحمد ابوالسعود الاسماعيلى المالكي المعيدى المقيم بالأزهر عفى عنه .

( هنا ختمه أحمد الاسماعيلى ) (٢)

#### التعليق على الاجازة :

تضمنت هذه الاجازة ما تضمنته الاجازات التى سبقتها وهى كذلك مثل التى سبقتها بدون تاريخ . ويلاحظ أن بعض كلماتها لم ترسم رسماً صحيحاً خاصة تلك التى تنتهى بهمزة على السطر كاقْتفاء وعلماء وأنبياء حيث كتبت بدون همزة . كما أن بعض الكلمات فى الاجازة ساقطة مثل كلمة ينفع المشار اليها وفى نفس الوقت وكانت هناك كلمات زائدة فى الأصل مثل كلمة على كما شاهدنا .

(١) غير موجودة بالأصل .

(٢) انظر د. عز الدين الامين : قرية كترانج وأثرها العلمى . مرجع

سابق ص ٨٣ - ٨٤ .

يلاحظ كذلك ان الاجازة كانت للشيخ أحمد وابنه إلا أن نهايتها كانت خطاباً لمفرد لا لمثنى ( أن ينفع به المسلمين . أن لا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته ) .

#### الاجازة الرابعة :

الحمد لله الواحد الأحد الفرد العلى الماجد الصمد والصلاة والسلام على الرسول السند سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولى الاغاثة والمدد وبعد فلما كان الاسناد من الدين وقد جرى عليه السلف من المتقدمين والخلف من المتأخرين وقد قيل أن من لا سند له كاللقيط الذى لا أب له ، استجازنى العالم الفاضل والهمام الرحامة الكامل الأخ فى الله تعالى الشيخ أحمد ابن أحمد بن محمد بن عيسى الأنصارى السنارى وولده الشيخ محمد بما تجوز لى روايته فقلت فقد أجزت المذكور وولده بما فى هذا السند كما أجازنى به أشياخى العارفون والأئمة ( هكذا ) الهداة المحققون موصياً لهما بما أوصى به نفسى من تقوى الله العظيم والنصح لعباد الله المسلمين بمتابعة النبى الكريم ومن يتقى ( هكذا ) الله يجعل له من أمره يسرا ومن يتقى ( هكذا ) الله يكفر عنه سيئاته ( هكذا ) ويعظم له أجرا وله الحمد فى الأولى والآخرة والصلاة والسلام على سيدنا محمد وخلقنا باخلاقه الطاهرة .

كتبه راجى عفو الله الفقير محمد خير الله العدوى المالكى عفى عنه .

( هنا ختمه ) (١) .

#### الاجازة الخامسة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد

(١) انظر د . عز الدين الامين - قرية كترانج وأثرها العلمى . مرجع

فقد أجزت الأخ في الله الهمام الأمجد والامام المفرد أحمد بن محمد بن عيسى الأنصارى النسارى وولده الفاضل الكامل الشيخ محمد بجميع ماتجوز لى روايته أو تصح عنه دراية من فروع وأصول ومنقول ومعقول كما أجازنى بذلك أسيأخى سيما بما حواه ثبتنا شيخنا الأمير عليه وعلى بقية أسيأخى سحاب ( هكذا )  
رحمة ربنا القدير متع الله الوجود ببقاء المجازين ونفع بهما فى الدارين وأحسن لنا ولهما وجميع أهل العصر من المسلمين . الختام بجاه الرسول الامام الفقير مصطفى المهبط الشافعى خادم العلم بالازهر .

( هنا ختمه ) (١)

#### الاجازة السادسة :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله  
أما بعد فقد أجزت الأخ في الله الهمام الأمجد والامام الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى السنارى الأنصارى وولده الشيخ محمد فى جميع مايجوز لى روايته أو تصح عنى درايته من فروع وأصول ومنقول ومعقول كما أجازنى بذلك أسيأخى سيما بما حواه ثبت شيخنا الأمير الكبير وولده سيدى محمد المغير عليهما وعلى بقية الأسيأخ رحمة ربنا القدير متع الله الوجود ببقاء المجازين ونفع بهما فى الدارين وأحسن لنا ولهما وجميع أهل العصر من المسلمين الختام بجاه الرسول الختام عليه أفضل الصلاة والسلام الفقير الى الله أحمد .

( هنا ختمه أحمد السنهورى ) (٢)

ويلأظ فى الاجازتين الخامسة والسادسة تشابه الأسلوب حتى أن كثيراً من الكلمات تكاد تكون متطابقة .

(١) انظر د. عز الدين الامين : قرية كترانج وأثرها العلمى . مرجع سابق ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

هذا بالنسبة للاجازات المشتركة بين الفقيه أحمد بن محمد بن عيسى وولده محمد ولكن توجد هناك اجازات منفردتان لكل منهما من الشيخ عlish وتحمل كل واحدة منهما تاريخ سنة ٢٦٨ هـ وهما كما يلى :

(١) اجازة خاصة بالفقيه أحمد البدوى بـ الشيخ محمد بن عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة وسلاماً دائماً دائمين إلى يوم الدين . أمّا بعد فيقول محمد عlish قد من الله تعالى على بصحة الشيخ المبارك أحمد بن الشيخ / بـ محمد بن الشيخ أحمد (١) بن الشيخ عيسى السنارى المشهورين بالعلم والصلاح والبركة مدة مفيدة ومشاركتى فى كتب عديدة فى فنون من العلوم الفرعية وآلاتها ولما أراد العود إلى وطنه التمس منى الاجازة بها ظناً منه أنى من أهل ذلك وأنا متيقن أنى لست ممن سلك تلك المسالك ولكن جبر خاطره ورجاء بركته حملانى على اجابته فقلت أجزت أخى المذكور بما سمعه منى وغيره مما أجازنى به أشياخى ضاعف الله لهم الأجور موصياً له بملازمة التقوى فانها للفلاح السبب الأقوى وأن لا ينسانى من صالح دعواته فى جلواته وخلواته ضارعاً للمولى الكريم أن يمن علينا بالخير العميم وأن يجنينا من الفتنة والأهوال وأن يملح لنا ولأخواننا الأحوال وأن يختم لنا بخاتمة السعادة وأن يجعلنا ممن لهم الحسنى وزيادة الذين دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (٢) .

(هنا ختمه محمد عlish ٦٨) .

(١) : زيادة فى الاصل .

(٢) انظر قرية كترهاج وشرها العلمى . مرجع سابق ص ٧٧ .

اجازة خاصة بالفقيه محمد بن أحمد البدوي :

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن أجاز مستجازه وشكرًا لمن أجاب من دعاه وأفازه فله الحمد  
على نعمه التي لا تحصى وله الشكر على مننه التي لا تستقصى سبحانه لا اله  
غيره ولا خير إلا خيره رب العالمين وبر للعاملين وهو أجل من أن يثنى عليه  
وإنما هي أعراض دالة على كرمه منحها لنا على لسان رسوله لنعيده بها  
على أقدارنا لا على قدره وصلاته وسلاماً على سيدنا محمد وآله وصحبه مدى الأبد  
أما بعد فيقول محمد عlish قد تفضل الله تعالى على بصحة الشاب الصالح  
المبارك الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد (١) بن  
عيسى السنارى المشاهير بالعلم والملاح والبركة مدة طويلة وشاركنى فى  
كتب كثيرة من فنون العلوم الشرعية وما يعين عليها وحين قصده الرجوع  
إلى بلده (٢) طلب منى اجازته لحسن ظنه فأجبتة وأجزتة راجياً البركة لى  
وله قائلًا أجزت اخى المذكور بما سمعه منى وغيره مما أجازنى به أشيأخى  
ضاعف الله لى ولهم الأجور موصياً له بملازمة تقوى الله وتقديمها على كل  
ما تميل اليه النفس وتهواه سائلاً المولى الكريم أن يفيض علينا خيره الجسيم  
وأن يوفقنا للعمل بما علمناه ويمن علينا بعلم ما جهلناه وأن ينجيننا  
من الأهوال ويصلح لنا الأحوال وأن يمن علينا بحسن الختام بجاه سيدنا محمد  
عليه الصلاة والسلام وعلى سائر النبيين والحمد لله رب العالمين (٣) ..

( هنا ختمه - محمد عlish ٦٨ )

- 
- (١) زيادة فى الأصل .  
(٢) فى الأصل قصده ولكن المعروف أن الشيخ محمد لم يرجع الى بلده وإنما  
بقى فى مصر إلى أن توفى .  
(٣) انظر صورة الاجازة فى ملاحق هذا البحث .



هذه الاجازات تعكس المستوى العلمى الجيد الذى حازه الشيخ أحمد وولده الشيخ محمد الذى أوصله علمه لأن يصبح استاذًا بالازهر. ولاشك أن الشيخ أحمد وابنه ماهما إلا نموذجين لكثير من الطلاب السودانين الذين هاجروا إلى الأزهر لتلقى العلم فى هذه الفترة .

...

#### - التعليم فى السودان فى عصر سعيد باشا :

كان محمد سعيد مثل عباس باشا فى عدم اهتمامه بالتعليم فى مصر والسودان على الرغم من علمه وثقافته وتأثره بحضارة أوروبا. بل قام سعيد بقفل المدرسة الوحيدة التى أنشأها عباس فى الخرطوم والتى كانت بداية للتعليم المنظم فى البلاد .

ولكن استمر الحكمداريون فى منح العطايا والمكافآت للعلماء والأدباء والطلاب الأمر الذى شجع الحركة العلمية ولكنها على كل حال تبقى حركة شعبية غير مرشدة ولا موجهة .

شهد عصر عباس وسعيد نوعاً جديداً من أنواع التعليم وهو التعليم الكنسى الذى كان له بالغ الأثر فى مستقبل البلاد .

فأن محمد على باشا كان قد أصدر أوامره للولاة فى الخرطوم بتقديم كل عون للرساليات واعفاؤها من الضرائب . كما وافق سلطان تركيا العثمانى استجابة لرغبة الامبراطور فرانز جوزيف امبراطور النمسا على منح الرساليات التبشيرية فى السودان نفس الامتيازات والاعفاءات التى منحها للمبشرين النمساوى فى سائر أرجاء الدولة العثمانية (١) . وهذه الامتيازات كانت قد

---

(١) انظر محمد عمر بشير : تطور التعليم فى السودان - مرجع سابق ص ٤٩ .

منحت للدول الأوروبية في الدولة العثمانية في طورها الأخير أيام ضعفها وتفككها .

وقد بدأ نشاط الارسالية الكاثوليكية في الخرطوم سنة ١٨٤٨ حينما وصل الأب لويجي منتوري<sup>(٢)</sup> وفتح مدرسة صغيرة لأبناء الجالية النصرانية بالخرطوم ثم أنشأ كنيسة ومقبرة . وتواصل هذا الجهد بوصول دفعات من المبشرين البيض الذين تعرضوا لنكبات المرض والموت في وسط أفريقيا حيث أمر البابا باغلاق ارسالياتهم في وسط أفريقيا وقرر بقاءهم في الخرطوم<sup>(٢)</sup> .

وقد كان القبول بمدرسة الأب لويجي منتوري قاصراً على أبناء الكاثوليك المقيمين في الخرطوم وأبناء الرقيق الذين حررتهم الحكومة . وكان التلاميذ يدرسون فيها القراءة والكتابة والانجيل<sup>(٣)</sup> .

وقد كتب الأب منتوري إلى ممثل البابا بأنه اعتزم فتح مدرستين إحداهما بمنطقة الشك بالجنوب والثانية بين قبائل القالا في شرق السودان على حدود إثيوبيا . وكان من رأيه أن يعلم ويدرب نفر من هذه القبائل للمساعدة في نشر النصرانية في أفريقيا الوسطى . إلا أن الأب منتوري غادر السودان قبل تنفيذ مشروعاته وخلقه في الاشراف على الكنيسة والمدرسة القس سبراسنت الذي ترك رعاية الارسالية والمدرسة في عام ١٨٥٥م<sup>(٤)</sup> .

(١) قسيس من نابلي بايطاليا كان قد حكم عليه بالاعدام في إثيوبيا ولكنه فر إلى السودان .

(٢) انظر حسن مكي محمد أحمد : جزور وأبعاد التبشير المسيحي في العاصمة المثلية . المركز الاسلامي الأفريقي بالخرطوم شعبة البحث والنشر . كراسة رقم (١) ص ٤٠ .

(٣) انظر محمد عمر بشير : تطور التعليم في السودان . مرجع سابق ص ٥٠ .

(٤) انظر المرجع السابق نفس الصفحة .

وتنفيذاً لمقترحات الأب منتورى وافق البابا جريجورى السادس عشر على إنشاء مركز للفاتيكان فى أفريقيا وأصبحت الخرطوم بمقتضى هذا المرسوم البابوى مركزاً لنشاط الارساليات الكاثوليكية فى السودان . ونتيجة لهذه الجهود افتتحت مدرسة بالخرطوم التحق فيها أبناء الأقباط وأبناء الأوربيين الموجودين بالخرطوم إضافة إلى أبناء غير المسلمين من السودانيين وكان يدرس فيها اللغات العربية والفرنسية والاطالية والحساب والموسيقى والأعمال اليدوية ، وقيل أن تلامذة هذه المدرسة قد بلغ عددهم فى وقت من الأوقات أربعين تلميذاً جلهم من السودانيين . وكانت المدرسة تحظى بتأييد سلطات الحكومة ولم يعترض عليها الأهالى لأنه لم يكن يعنيه من أمرها شيئاً إذ لم تفتح أبوابها لقبول أبناء المسلمين بل اقتصررت على أبناء المسيحيين (١) .

هذا وقد أرسل اثنان من تلاميذ هذه المدرسة الى مالطة لمواصلة تعليمهم بينما انخرط التلاميذ الآخرون الذين أكملوا تعليمهم فى المدرسة فى سلك العمل الحكومى (٢) . وقد اتسع النشاط التبشيرى فى السودان حتى شمل الجنوب حيث أسس مركزان فى غندكرو فى سنة ١٨٥٠م وفى كاكا سنة ١٨٦٢م ، إلا أن هذين المركزين لم يذكر لهما نشاط فى حقل التعليم (٣) .

هذا ماكان عليه امر التعليم فى عصرى عباس وسعيد وسنحاول فى الفصل القادم أن نتتبع حركة التعليم فى عصر الخديو اسماعيل .

...

- 
- (١) انظر محمد عمر بشير : تطور التعليم فى السودان . مرجع سابق ص ٥٠ .  
 (٢) المرجع السابق ص ٥١ .  
 (٣) نفس المرجع والصفحة .

# الفصل الثالث

نظام التعليم في السودان  
في الفترة من ١٨٦٣-١٨٨٥ م

### نظام التعليم فى السودان فى عصر اسماعيل :

ذكرت فى الفصل السابق أنَّ عباس باشا بدأ فى السودان لأول مرة تعليمًا منظمًا وذلك بافتتاحه مدرسة الخرطوم التى أغلقت بعد عام واحد من افتتاحها . كما أُشرت إلى أن سعيد باشا لم يهتم بأمر التعليم لافى مصر ولا فى السودان على المستوى الرسمى . أما على المستوى الشعبى فقد استمرت المساجد فى أداء رسالتها واستمر طلاب العلم فى هجرتهم إلى الأزهر كما استمر العلماء والمشايخ فى نشر العلوم والمعارف على الراغبين فيها .

إلا أنَّ أكبر نهضة شهدتها التعليم فى السودان فى هذه الفترة كانت فى عهد اسماعيل وذلك فى اعتقادى ربما يرجع الى سببين :

(١) السبب الأول هو اتصال اسماعيل بأوروبا ووقوفه على النهضة هناك وبالتالى محاولة جلب هذه النهضة لبلاده . وهذا الاتجاه لا يمكن أن يتم إلا بنشر التعليم الحديث .

(٢) حرص اسماعيل الشخص واهتمامه بالسودان وترقية سكانه ويظهر هذا الحرص - كما سبقت الإشارة - فى معظم المراسلات التى كانت تدور بين اسماعيل وولاته فى السودان .

ويمكن أن نشاهد آثار هذه النهضة التعليمية على المستويين الرسمى والشعبى .

### أولاً : على المستوى الرسمى :

فى عام ١٨٦٤م طلب موسى حمدى حكمدار السودان من الخديو اسماعيل أن يوافق على تعليم أبناء العمدة والمشايخ القراءة والكتابة وذلك للاستعانة

بهم بعد اتمام دراستهم فى دواوين الحكومة وكان اسماعيل قد وافق على فتح مدرسة الخرطوم لتعليم أبناء السودان واشترط أن تضم المدرسة خمسمائة تلميذ (١) .

كما طلب هذا الحكم دار من الخديو ترتيب راتب شهرى مع كمية من الذرة لبعض الزوايا التى يتلقى فيها الطلاب العلم وقد رد الخديو على طلبه بالخطاب التالى :

من المعية إلى الحكم دار السودان موسى حمدى

فى ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٠ هـ الموافق ٢٧ مارس ١٨٦٤م

" قد اطلعنا على المكاتبة العربية الواردة منكم رقم ٧ بتاريخ ١٨ رجب سنة ٨٠ التى تطلبون فيها ترتيب مرتب ٧٥ قرشاً وأُردباً من الذرة، شهرياً إلى الزاوية التى بناها الشيخ مصطفى ابراهيم الأصوانى أحد الفقراء المتوطنين فى بربر بناءً على التماسه ترتيب مبلغ بصفة إعانة حيث أن تلك الزاوية محضرة لتعليم القرآن والعلوم الدينية وينتسب لها أثنان وعشرون نفرًا لتلقى العلوم الشريفة والتى تذكرون فيها أن المساجد الشريفة الكبيرة الموجودة بالسودان مرتب لها مرتبات لغاية ٢٥٠ قرشاً وأربعة أرباب بصفة احسان من الحكومة إعانة لها لمعيشة الفقراء (٢) وبما أن أملنا الوحيد هو قيام الشعب بتحصيل العلوم وتعلمها وصلاح حالهم ودخولهم إلى سبيل المدنية بتعلم القراءة والكتابة وحيث أن إنشاء مثل هذه الزوايا والأعمال الخيرية مما يستوجب سرورنا نأمر بتوسيع زاوية الشيخ مصطفى ابراهيم وتجديده

---

(١) انظر د. السيد يوسف نصر : الوجود المصرى فى أفريقيا - مرجع سابق

ص ٢٧٦ .

(٢) يعنى الطلاب المنقطعين لتلقى العلم .

بنائها لتكون مثل الزوايا الأخرى بالسودان على نفقة الحكومة واحتساب المصاريف وخصمها من الاحسانات على جانب الديوان ، ونأمر أيضاً بصرف ٢٥٠ قرشاً شهرياً إلى ماشاء الله وكذلك صرف أربعة أرباب شهرياً بصفة احسان للزاوية المذكورة لفقراء الأهالى الذين سيقصدونها لتعلم القرآن والعلوم الشريفة أسوة بالمساجد الكبيرة . فنأمركم بتنفيذ ذلك كما أننا نطلب منكم عناية كبيرة بتعليم القرآن وتدريس العلوم للأهالى فى مقابل هذا الالتفات السامى" (١) .

وهذا الخطاب يعتبر من أكبر الدلائل على حرص اسماعيل على نشر التعليم فى بلاد السودان ، إذ أن حكمدار السودان وصاحب الزاوية المذكورة قد طلب مبلغ ٧٥ قرشاً فقط وأردباً واحداً من الذرة ولكن حرص الخديو على نشر العلم جعله يرفع المبلغ إلى مائتين وخمسين قرشاً كما أنه رفع أردب الذرة إلى أربعة أرباب .

ويزيد الخديو من اهتمامه بالتعليم فيأمر بفتح خمسة مدارس ابتدائية دفعة واحدة بدلاً من مدرسة واحدة تكون فى الخرطوم وذلك بغرض نشر التعليم فى أكبر مساحة ممكنة من البلاد السودانية وقد رؤى أن تكون هذه المدارس فى مدن الخرطوم ، بربر ، دنقلة ، كردفان ، والتاكة . وقد جاء فى خطاب اسماعيل للحكمدار بهذا الشأن ما يلى : " وحيث أن تأسيس خمس مدارس فى المديرية المذكورة لنشر وتعميم العلوم والمعارف والحضارة على الوجه المشروع موافق لنفس المصلحة ، بناءً عليه بادروا إلى اجراء ايجابه واسعوا فى تعليم سكان الجهات المذكورة وتقدمهم بأحسن وجه" (٢) .

(١) عابدين - المعية دفتر ٥٢٩ تركى رقم ٢ ص ١١٧ نقلًا عن د. محمد فؤاد

شكرى - الحكم المصرى فى السودان . مرجع سابق ص ٣٠٥ .

(٢) مكى شبيكه : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٤٣ .

وقد زودت هذه المدارس بما يلزمها من الكتب والأدوات المكتبية وغيرها . وقد خصت مدرسة الخرطوم بخمسين كتاباً من كل صنف من أصناف الكتب المقررة وزودت المدارس الأخرى بخمس وعشرين كتاباً من كل صنف . كما زودت هذه المدارس بالمدرسين اللازمين للتدريس (١) . وكان كل واحد منهم يتقاضى مبلغ شهري قدره ألف قرش . أما العمال فقد كان العامـل يتقاضى مبلغ خمسة وثلاثون قرشاً (٢) .

وقد كانت هذه المدارس تحت الاشراف الفني لديوان المدارس بمصر ، وتتبع خطط الدراسة المتبعة في المدارس المصرية وقد اختير بعض خريجي هذه المدارس لاتمام تعليمهم بمدارس التلغراف والهندسة والطب والصيدلة ، والمدارس الفنية بمصر (٣) .

وقد بلغ عدد الطلاب الذين كانوا يتلقون تعليمهم في مدرسة الخرطوم ١٢٤ طالباً و ٧٥ طالباً في جميع المدارس الأخرى (٤) .

والمناهج التي تدرس في هذه المدارس اللغة التركية وفي بعضها اللغة الفرنسية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ كما كان يدرس فيها علماء من الأزهر علوم اللغة العربية والدين كشرح الكفراوى وشرح الشيخ خالد أو شرح الأزهرية وشرح ابن عقيل على الفية ابن مالك . بالإضافة إلى تعليم الخط ، الذي عنى به عناية خاصة ، حتى أن الطالب لا ينجح إذا رسب فيه . ويمكننا من ذلك أن ندرك المستوى الرفيع الذي بلغته تلك المدارس (٥) .

(١) وزع هؤلاء المدرسين على المدارس كالتالى : محمود شاكـر أفندى بمدرسة الخرطوم ، حافظ محمد على الخرطوملى بمدرسة دنقله ، محمد أفندى يوده بمدرسة بربر ، حافظ خليل أفندى بمدرسة التاكة ، اسماعيل يوسف أفندى بمدرسة كردفان .

(٢) انظر د . السيد يوسف نصر : الوجود المصرى فى أفريقيا ، مرجع سابق ص

٢٧٦-٢٧٧ .

(٣) انظر شوقى الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ج٢ مرجع سابق ص ١٤٣ .

(٤) انظر د . محمد عمر بشير : تطور التعليم فى السودان . مرجع سابق ص ٤٢ .

(٥) انظر محمد سليمان : دور الأزهر فى السودان مرجع سابق ص ٥٧ .



وكان من يتخرج فى هذه المدارس من الطلبة يستوعب فى الوظائف فى دواوين الحكومة للمساعدة فى الإدارة والكتابة ومن أراد منهم أن يواصل تعليمه يلتحق بالمدرسة التجهيزية فى مصر (١) .

" وكان نظام الدراسة فى هذه المدارس ينقسم إلى قسمين : قسم خارجى وهو بالمصروفات التى تبلغ قيمتها الشهرية ريال مجيدى لكل تلميذ ( أى ستة عشر قرشاً ) وقسم داخلى وكانت الدراسة فيه بالمجان . وبعد التخرج كان تلاميذ القسم الداخلى يعينون فى وظائف كتابية فى السلكين العسكرى والادارى بينما كان تلاميذ القسم الخارجى يخبرون بين التوظيف والأعمال الأخرى وكان تلاميذ هذه المدارس من أبناء المصريين المقيمين بالسودان ومن أبناء جنود الجهادية والمشايخ والعمد " (٢) .

هذا وقد كان جعفر باشا مظهر حكمدار السودان محباً للعلم والأدب فاجتمع حوله كثير من العلماء والأدباء الذين كسبوا عطفه . ونالهم حظ من رعايته واهتمامه . فخلق هذا الاهتمام وسطاً ادبياً علمياً فى أيامه وزاد من الصلة الثقافية بين مصر والسودان واخذ أدباء السودان وشعراؤه يرسلون أعمالهم الأدبية لنشرها فى الوقائع المصرية بالقاهرة " (٣) .

وقد كتب هذا الحكمدار إلى مصر يطلب الموافقة على إرسال بعثات من الطلاب السودانيين الذين يحفظون القرآن وممن حصلوا على بعض مبادئ الفقه والتحقوا للدراسة بالأزهر الشريف لمدة ثلاث سنوات يعودون بعدها لأهلهم رسل ثقافة دينية سليمة ودعاة دين قويم (٤) .

(١) انظر د. ابراهيم الجاردلو - الرباط الثقافى بين مصر والسودان .

مرجع سابق ص ١٥٩ .

(٢) د. السيد يوسف نصر : الوجود المصرى فى أفريقيا ١ مرجع سابق ص ٢٧٨ .

(٣) انظر د. ابراهيم الجاردلو . نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٤) انظر محمد سليمان : دور الأزهر فى السودان . مرجع سابق ص ٥٦ .

وقد رد عليه الخديو بالخطاب التالى :  
 من المعية إلى حكمدار السودان جعفر باشا مظهر  
 فى ٥ شعبان سنة ١٢٨٤ ( ٢ ديسمبر ١٨٦٧ م )

فقد عرضنا على أعتاب ولى النعم إفادتكم المفصلة الواردة هذه المرة بتاريخ ١٧ رجب سنة ٨٤ الوارد فيها أنه بناءً على أمر الجنب العالى الخاص بلزوم تشويق وترغيب الأشخاص المسلمين بعلوم الفقه والنحو مبن على أهالى السودان فى الحضور إلى الجامع الأزهر وملازمتهم الإقامة فيه مدة سنتين أو ثلاث سنوات لتكميل علومهم وهذا لأجل نشر وتعليم أصول أحكام الشريعة والديانة فى الأقطار السودانية حيث أنه يندر وجود العلماء والفقهاء فيها - بناءً على ذلك الأمر قد أحضرتكم معكم هذه المرة نجلى المرحوم الشيخ عمر قاضى عموم مديرية التاكة وذهبتم بهم إلى جامع الأزهر وحيث عاشتهما برغيف واحد فقط الذى هو المرتب الوحيد لطلاب الجامع المذكور سيؤدى إلى نفورهما كما أنه سيوجب كسر رغبة أمثالهما فى المجيء إلى مصر . لذلك رأيت من اللائق تخصيص مرتب يوهى بمبلغ قرشين لكل منهما ليكون مـداداً لمعيشتهما . وحيث أن الجنب العالى وإن كان وافق على تخصيص مرتب يوهى بمبلغ قرشين لكل من الشخصين المذكورين حسب التماسكم إلا أنه أصدر نطقه الكريم بلزوم صرف هذه اليوميات من إيرادات الأقاليم السودانية" (١)

كما التمس الحكمدار جعفر مظهر كذلك زيادة المرتبات لمعلمى المدارس الابتدائية فى السودان وقد جاء رد الخديو كالتالى :

إلى حكمدار السودان فى ١٨ ربيع الآخر سنة ١٢٨٧ ( ١٨ يولييه ١٨٧٠ م )  
 أمر منطوقه لقد علم لدينا من إفادة سعادتك المؤرخة ١٤ ربيع الأول سنة ٧٨ هـ نمرة (١) أن تلاميذ المدارس الأميرية التى بمراكز مديريات

(١) د. محمد فؤاد شكرى - الحكم المصرى فى السودان - مرجع سابق ص ٣٠٦ .

السودان تقدموا فى الكتابة والقراءة حتى أن بعضهم الحق بعملية التلغراف والبعض استحصل على الكتابة الديوانية والبعض جارى تعليمه فن الهندسة ولمناسبة أن الماهيات المرتبة لكل من الخوجات (١) - مايتين وخمسين قرش مكفى والنظار فمنهم لغاية خمسمائة قرش وتكرر منهم التماس مكافأتهم على خدماتهم فلهذا وكونهم الجميع يستحقوا الزيادة فقد أوعدتهم (٢) بها وأستحسنتم أن تكون العلاوة للخوجات من ثلاثمائة قرش لغاية خمسمائة قرش بحسب استعداد ووظائف كل منهم ومائة قرش على ماهيات النظار وأردب ، واحد ذرة لكل من الخوجات والنظار لبذل مجهودهم والتفائهم لأداء وظائفهم لآخر مافى الافادة ، وقد حصل لنا غاية الممنونية من أولئك التلامذة لما يستلزم على هذا من انتشار المعارف بالجهات السودانية وانتظام أهاليها فى سلك التمدن كما هو أقصى آمال الحضرة الخديوية . وعلمنا أن هذا ناشئ على حسن مساعيكم الخيرية . وبذل مجهود الخوجات فى حركة التعليم وقيام النظار بأداء واجبات الضبط والربط وحيث أنهم بهذا صاروا يستحقون المكافأة على حسن صنيعهم فقد وافق لدينا ما استحسنتموه من علاوة المائة قرش شهري على ماهية كل من النظار واجعال ماهية الخوجات من ثلاثمائة قرش إلى خمسمائة قرش بحسب ماتروه هن استعداد كل منهم ووظيفته مع ترتيب ومصرف أردب الذرة فى كل شهر لكل من النظار والخوجات المذكورين ومع هذا يصير تفهيمهم بأننا مسرورون من قبلهم وأنهم إذا استداموا على ما هم عليه من حالة الاجتهاد وصرف الأفكار فى التعليمات ما زال تحصيل

---

(١) الخوجات يقصد بها المعلمين .

(٢) هكذا الصحيح ان يقول وعدتهم بها .

لهم المكافآت وحسن الالتفات ولهذا لزم اصداره لسعادتكم للمعلومية (١) .

هذا وقد كانت هذه المدارس تكلف الحكومة المصرية الكثير من الأموال فقد بلغت تكاليف مدرسة الخرطوم الشهرية ٨٣٤٦/٤٠ قرشاً وتكاليف مدرسة كردفان بما فى ذلك مرتبات المدرسين ومعيشة التلاميذ ٢٩١٣/٧٢ قرشاً وتكاليف مدرسة بربر ٢٨٧١ قرشاً وتكاليف مدرسة دنقلة ١٢٨٧ قرشاً كما بلغت تكاليف مدرسة التاكة ٢٩١١ قرشاً وبلغت التكلفة الاجمالية الشهرية لهذه المدارس ٢٩٩١٣ قرشاً تقريباً (٢) .

كذلك أحدثت الادارة المصرية فى السودان شبكة لخطوط التلغراف بين الخرطوم والأبيض وفازوغلى والكوة وبربر وكسلا وسواكن وغيرها من مدن السودان (٢) .

وكان لابد لهذه الشبكة من فنيين فى التلغراف يقومون بأمرها ولذلك أنشئت مدرستان فى كل من الخرطوم وكسلا لتعليم التلاميذ من خريجى المدارس الابتدائية فى التلغراف وكان يشرف على هؤلاء التلاميذ أحد المهندسين ووكيل تلغراف كل جهة وبعد أن ينهى هؤلاء التلاميذ تدريباتهم فى تعلم فن التلغراف ينقسمون إلى ثلاث فئات حسب مستواهم العلمى فيقسمون إلى تلغرافى أول وثانى وثالث ، وقد عمل هؤلاء التلاميذ بعد تخرجهم فى محطات التلغراف السودانية ، وإلى جانب تعلمهم فن التلغراف تعلم البعض منهم فن الهندسة والحساب فكانوا يلحقون أيضاً بترسانة الخرطوم البحرية وكانوا يمكثون بها عدة شهور وبعدها يوزعون للعمل على السفن التى تعمل فى النيل والبحر الأحمر (٣) .

(١) انظر د. السيد يوسف نصر الوجود المصرى فى أفريقيا . مرجع سابق ص ٢٧٨ .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول شبكة التلغراف فى السودان فى هذه الفترة انظر الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى أفريقيا . مرجع سابق ص ٢٩١ .

(٣) انظر د. السيد يوسف نصر . المرجع السابق ص ٢٧٩ .

هذا وقد أنشأ محافظ سواكن والبحر الأحمر مدرسة ابتدائية فى سواكن للمحررين من العبيد بسبب عدم انصهارهم فى المجتمع وعدم تقبل المجتمع فى ذلك الوقت لاندماجهم فيه (١) .

واضافة الى هذه المدارس طلب حكمدار السودان من الصاغ محمد شكرى أحد الاطباء الذين يعملون بمستشفى الخرطوم أن يقوم بتعليم عدد من التلاميذ من خريجي المدارس الابتدائية مهنة الطب وقد أبدى هذا الطبيب استعداداه للقيام بهذه المهمة ولكن لما عرض هذا الأمر على الخديو اسماعيل رفض ذلك بحجة أن مهنة الطب تحتاج إلى وقت طويل من التعليم ووعده بأنّه سوف يرسل أطباء من مصر للسودان (٢) .

ويذكر الدكتور شوقي الجمل أنه قد أنشئت بعض المدارس لتدريب السودانين على الصناعات الصغيرة المختلفة ، وبعض هذه المدارس كانت تعلم الصبىة فى الصباح بينما يؤمها الكبار فى الليل لدراسة القرآن الكريم . كما يضيف كذلك أن ممتاز باشا عندما شعر بالحاجة إلى ميكانيكيين لإدارة الماكينات الخاصة بمحارج القطن أرسل عدداً من الشباب السودانين إلى مصر لتعلم الصناعات الميكانيكية (٣) .

هذا وقد وضع مشروع لفتح مدرسة صناعية فى جنوب السودان ليستفيد منها الأهالى فى تعليم أبنائهم تعليماً مهنيّاً فضلاً عن تعليمهم اللغة العربية والدين الاسلامى . كما وضع مشروع متكامل لفتح مركز لتطوير المجتمع

(١) انظر محمد عمر بشير : تطور التعليم فى السودان . مرجع سابق ص ٤٥ .

(٢) انظر د . السيد يوسف نصر - الوجود المصرى فى أفريقيا مرجع سابق ص ٢٧٩ .

(٣) انظر د . شوقي الجمل : تاريخ السودان وادى النيل . مرجع سابق ص ١٤٣ .

فى أدفو بالقرب من القاهرة ليلتحق به حوالى مائة وعشرين طالباً سودانياً على أن تتراوح أعمارهم من اثنتى عشر سنة إلى خمسة عشر سنة على أن يقبـلـ مئـتى طالب كل عام . وأن يسكن الطلاب فى مشروع زراعى وأن يتلقوا تعليمًا أوليا وتدريباً عملياً فى الزراعة . وكان المشروع يتضمن دراسة مبسطة للاقتصاد والتدبير المنزلى وتربية الأطفال . وكان يهدف أساساً لمد السودان بمزارعين متعلمين وذوى خبرة إلا أن هذه المشروعات لم تـر النور (١) .

كذلك تشير بعض المراجع إلى أن بعض التلاميذ الذين ذهبوا إلى مصر قد التحقوا بمدرسة المبتديان وذلك ليتعلموا العلوم الزراعية وبعض العلوم الأخرى وكان بعض الذين التحقوا بمدرسة المبتديان من كبار السن والبعض الآخر من صغار السن ويبدو أن كبار السن كانوا لا يتقدمون فى دراستهم ولما علم اسماعيل بعدم تقدمهم فى الدراسة قرر أن ينهى دراستهم وأن يلحق أقوىاء البنية منهم بالجيش . أما ضعاف البنية فيلحقون بالحرف والصناعات الأخرى (٢) .

ذكرت سابقاً (٣) أن الحكومة المصرية سمحت للبعثات التبشيرية بممارسة نشاطها فى السودان كما أن الحكومات الأوربية حصلت على إذن بذلك للبعثات التبشيرية من السلطان العثمانى باعتبار أن السودان جزء من الأراضى العثمانية وبالتالي يحق للأوربيين التمتع بالحقوق والامتيازات التى أعطتها لهم الدولة العثمانية فى أيام ضعفها وقد ذكرت فيما سبق

(١) انظر د . محمد عمر بشير : تطور التعليم فى السودان . مرجع سابق ص

٤٥-٤٦ .

(٢) انظر د . السيد يوسف نصر - الوجود المصرى فى أفريقيا . مرجع

سابق ص ٢٨٠ .

(٣) انظر فصل نظام التعليم فى تهدي عباس وسعيد .

المحاولات التى قامت بها البعثات لنشر نوع من التعليم الخاص بها . ولقد ساعد الحكام الأجانب الذين عملوا فى السودان هذه البعثات فى مهامهم — وخاصة الانجليزى غردون الذى كتب فى سنة ١٨٧١م لمجلس الكنيسة الاسقفية فى إنجلترا داعياً رايها للقيام بنشاط تبشيري فى المناطق الاستوائية (١) .

(٢)  
وكان من أكبر المبشرين فى تلك الفترة فى السودان الأب دانيال كميونى الذى عمل فى السودان منذ سنة ١٨٥٧م وكان يرى أن اعتناقه الأفارقة للمسيحية لا يمكن أن يتم إلا بقس من بنى جلدتهم يتعلمون تعليماً خاصاً . وقد نشر هذا الرأى فى كتيب صغير سنة ١٨٦٤م وفى عام ١٨٦٧م أسس معهدان للتبشير المسيحى فى فيرونا بايطاليا وكان أولهما معهد ملاذ السود يقوم بتعليم وتدريب القس للتبشير فى أفريقيا وثانيهما هو معهد الأمهات الصالحات لتدريب الراهبات لنفس الغرض كما أسس دانيال كميونى معهدين آخرين لنفس الغرض فى القاهرة (٣) .

وقد أرسل الأب كميونى ثلاثة سودانيين من الجنوب إلى معهد فيرونا بايطاليا كما أرسل ثمانية عشر امرأة إلى معاهد القاهرة لتلقى التدريب هناك . كما أنشأ الأب كميونى مركزاً تبشيراً بالجنوب وفتح مدرسة مهنية بالأبيض وقد بلغ عدد طلابها فى سنة ١٨٧٦م أكثر من مائة وخمسين طالباً درسوا مختلف المهن . وفى سنة ١٨٨١م أعدت مزرعة كبيرة فى جنوب الأبيض كانت تعيش فيها حوالى ثلاثمائة أسرة وكان أفرادها يدرّبون على الأعمال الزراعية .

- 
- (١) انظر د. محمد عمر بشير : تطور التعليم فى السودان . مرجع سابق ص ٥٣ .  
(٢) مبشر بايطالى توفى بالخرطوم سنة ١٨٨١م ودفن بها .  
(٣) انظر محمد عمر بشير . المرجع السابق ص ٥٤ .

كذلك أسست مدرستان تبشيريتان فى بربر وسواكن . كما بلغ عدد طلاب مدرسة الخرطوم الكاثوليكية فى سنة ١٨٧٧م مائتين من البنات ومن الطلاب ثلاثمائة معظمهم من السودانين .

ونتيجة للنجاح الملحوظ الذى حققه دانيال كميونى فقد طلب منــــه غردون باشا وجس وأمين باشا أن يعيد إنشاء وتنظيم التعليم التبشيري فى جنوب السودان (١) .

إلا أنه يجب أن نذكر فى هذا المقام أن قدرًا من اللغة العربية والتعليم الاسلامى قد انتشرت فى الجنوب فى هذه الفترة بسبب امتداد الادارة المصرية الى هناك . وبسبب نشاط التجار الشماليين كالزبير باشا وغيره وفى هذا الصدد يقول الأستاذ حسن مكى: ومايهم أن جهود الزبير أدت الى استتباب الأمن وازدهار التجارة مما أدى بدوره الى تقوية انتشار الاسلام واللغة العربية كما لعب المجندون الجنوبيون فى جيش الزبير باشا دورًا بارزًا فى نشر اللغة العربية ، لأن هؤلاء هؤلاء ظل يتنقل عبر الحكام والمغامرين بعد إبعاد الزبير فعملوا مع غردون وأمين باشا وجس وعدد هؤلاء لىــــس بقليل إذ فى الجيش الاسلامى الذى كونه الزبير بلغ عدد الجنوبيين اثنا عشر ألف عسكري (٢) .

إلا أنه يعلق على دخول الاسلام واللغة العربية الى الجنوب بقوله: " وهكذا نرى أن دخول الاسلام والعربية فى جنوب السودان حدث أبان انحطاط الدولة الاسلامية وفهف كيائها إذ افتتح الجنوب على العالم الاسلامى فى

(١) انظر محمد عمر بشير : تطور التعليم فى السودان . مرجع سابق ص ٥٤ .

(٢) حسن مكى محمد احمد : السياسة التعليمية والثقافة العربية فى جنوب

السودان ، مرجع سابق ص ١٢ .



القرن التاسع عشر حينما كانت الخلافة العثمانية تتهاوى أمام ضربات الأوربيين كما أن الاسلام الرسمى الذى دخل السودان إنما كان اسلام العلمانيين الذى يقوم على فصل الدين عن الدولة ، ويعد محمد على أول أبطاله فى العصر الحديث كما أن ممثلى الدولة التركية فى جنوب السودان جلهم من المسيحيين لذا فان الاسلام الذى دخل الجنوب إنما جاء نتيجة للجهد الشعبى والاتصال الحضارى العضوى<sup>(١)</sup> .

#### - وظيفة الافتاء ودورها فى نشر العلم الشرعى :

عندما تم تعيين مفتى عام للسودان فى الخرطوم وتعيين مفتيين فى المديريات قام هؤلاء المفتون بدور كبير فى نشر العلم الشرعى الاسلامى واللغة والأدب حيث كان اتصالهم بالجمهور اتصالاً مباشراً .

هذا ويشير كثير من الباحثين إلى ازدهار اللغة العربية وعلومها فى هذه الفترة وذلك نتيجة لوجود المدارس التى أكتسبت العقول ثقافة ونفجاً انعكس على شعر الشعراء ومن أمثلة ذلك القصائد التى قيلت فى عهد محمد رؤوف حكمدار السودان والتى قيلت بمناسبة الاحتفال بامتحانات مدرسة الخرطوم فى ١٨ من شعبان سنة ١٢٩٧ هـ الموافق سنة ١٨٨٠م وكان الحكمدار قد حضر ذلك الاحتفال وألقى القصائد من قبل الطلاب والمدرسين (١) .

(١) المرجع السابق ص ١٢-١٤ .

(٢) انظر د. عز الدين الامين - تراث الشعر السودانى - مرجع سابق ص ٤٨ .

هذا وقد سبقت الإشارة إلى اهتمام الحكمدار جعفر باشا مظهر بالعلم والأدب والتفاف العلماء والادباء حوله وتشجيعه لهم حيث أنهم أصبحوا يرسلون انتاجهم إلى القاهرة لنشره في الصحف المصرية .

أمّا على المستوى الشعبى فقد استمر الطلاب في هجرتهم إلى أرض الكنانة للتزود بالعلم وبعد عودتهم إلى ديارهم يقومون بنشره ومن أمثلة هؤلاء الشيخ أحمد الأزهرى<sup>(١)</sup> الذى ذهب إلى مصر وقضى بها فترة طويلة وأصبح من أساتذة الأزهر ثم رجع إلى بلاده حيث قصده الطلاب من أماكن بعيدة<sup>(٢)</sup> .

كما استمرت المساجد فى أداء رسالتها من تحفيظ للقران ونشر علوم الشريعة ومن المساجد التى عمرت فى هذا العهد مسجـر الخرطوم ، الجامع الشريف بدنقلة ، الجامع العتيق بالأبيض ، مسجد سنار ، مسجد قرية عبيود بالجزيرة ، مسجد المسلمية ، مسجد مروي مسجد طوكر والمساجد التى بنيت فى سواكن وغيرها<sup>(٣)</sup> .

وبهذه المناسبة نذكر أن ممتاز باشا عندما كان حكاماً على السودان أوقف صرف المكافآت والاعانات التى كانت تعطى للعلماء بحجة ضبط وتنظيم الميزانية<sup>(٤)</sup> . وأعيد صرف هذه المكافآت والاعانات إلا أن غردون باشا قد أوقفها بعد تعيينه حكاماً عاماً على السودان .

(١) انظر ترجمته فى النظام القضائى .

(٢) انظر تطور القضاء فى السودان - مرجع سابق ص ١٠٢ .

(٣) انظر د . شوقى الجمل - تاريخ السودان وادى النيل ج ٢ مرجع سابق ص ١٤٥ .

(٤) انظر الشاطر بمبلى عبد الجليل - معلم تاريخ السودان وادى النيل ،

مرجع سابق ص ٢٧٢ .

هذا ما كان عليه أمر التعليم في السودان في عهد الخديو اسماعيل —  
والباحث المنصف يلمس نهضة وتطوراً في مجال التعليم في السودان —  
هذه الفترة وقد أشاد بهذه النهضة التعليمية عدد من الكتاب السودانيين  
منهم محمد أحمد الجابري في كتابه في شأن الله أو تاريخ السودان كما يرويه  
أهله حيث يقول : ولم تقتصر نهضة السودان على النواحي الاقتصادية —  
والاجتماعية فحسب بل شملت هذه النهضة الناحية الفكرية فكان عهد التركيبة  
السابقة (١) فتحاً جديداً في تاريخ الفكر السوداني إذ استيقظ الفكر —  
السوداني في ذلك الوقت من سباته فتحرر من كابوس الخيالات الأولى —  
التي تشبه هذيان المرض وأوهام الاطفال ونفض عن نفسه ما كان يساوره —  
فرع وهلع ازاء مشاهد الطبيعة وأحداثها .

" فبفضل انتشار التعليم وإنشاء المدارس ودراسة العلوم الفقهية —  
والرياضية وبفضل تعيين الأهالي في وظائف الحكومة الادارية وبفضل ارسال  
البعثات للخارج صارت تتسابق الناس إلى دور التعليم والانتساب إلى العلماء  
والفقههاء " (٢) .

وممن أشاد بهذا الجهد من الكتاب المصريين الدكتور شوقي الجمل  
إلا أنه رأى عليه بعض المآخذ منها أن هذا التعليم لم يكن سائراً على  
خطة معلومة كما أن هذا التعليم لم يصيغ بالصيغة الدينية " (٣) .

- 
- (١) سبق أن اشرت إلى أن كثير من الكتاب يطلقون على هذه الفترة —  
فترة التركية السابقة . انظر فصل النظام الاداري .  
(٢) محمد أحمد الجابري : في شأن الله — مرجع سابق ص ٣٨-٣٩ .  
(٣) انظر د . شوقي الجمل : تاريخ السودان وادي النيل ج ٢ مرجع —  
سابق ص ١٤٦ .

ويمكن لى من خلال هذا الاستعراض أن أسجل الملاحظات التالية :

- (١) إن التعليم خلال فترة اسماعيل شهد نهضة كبيرة على المستويين الرسمي والشعبى وفى جميع المجالات تقريباً بالنسبة لما كان عليه قبل هذه الفترة .
- (٢) هذه النهضة التعليمية والتوسع فى افتتاح المدارس لم توضع لها سياسة واضحة تحكم مسارها وتحدد أهدافها مثلما كان فى مصر وإنما كان الأمر متروكاً لمبادرات الحكام وتوجهاتهم .
- (٣) كانت هذه الفترة هى بداية الفصام فى السياسة التعليمية والتى استمرت إلى اليوم حيث جعلت مؤسسات التعليم المدنى موازية لمؤسسات التعليم الدينى وكانت هذه التجربة منقولة من التجربة المصرية ومن الآثار السيئة لهذه التجربة ظهور العلمانية فى مجال التعليم والتى ما يزال التعليم فى السودان يعانى منها .
- ولو قامت الادارة فى السودان بتوحيد التعليم المدنى والشرعى لكان السودان فى غنى عن المشكلات التى يعانى منها اليوم . ولكن الذى حدث هو أن المدارس المدنية مثلما هو فى مصر - تخرج أجيالاً لاصلة لها بالدين إلا نادراً وأن المدارس والمعاهد الدينية تخرج أجيالاً تفتقر إلى العلوم العصرية مما أحدث ثنائية سيئة فى بنية المجتمع الواحد .
- (٤) سمحت الدولة للمؤسسات التبشيرية بإنشاء تعليم كنسى كان له أثر سلبي على أبناء المسلمين . كما أن هذه المؤسسات التبشيرية ظلت تنفذ سمومها ضد الاسلام وحضارته عبر مدارسها ومؤسساتها التعليمية كما أوجدت هذه المؤسسات شريحة من المتعلمين غربية الولاء أحدثت شرخاً واسعاً فى المجتمع السودانى المسلم .

وهذه الطريقة السيئة التي اخطتها الادارة المصرية بالسماح للمؤسسات  
التبشيرية بانشاء تعليم خاص بها ماتزال قائمة الى اليوم . وهذا  
المؤسسات التعليمية الكنسية لاتخضع لنظام التعليم في الدولة وبعد  
ان كانت في الماضي قاصرة على ابناء النصارى أصبح يدرس بها اليوم قطاع  
كبير من ابناء المسلمين .

ومما يجدر ذكره في خاتمة هذا الفصل ان جميع المؤسسات التعليمية  
التي اُنشئت خلال هذا العهد قد توقفت اُبان فترة المهدية ، واستأنف  
بعضها نشاطه بعد ذلك .

...

# الباب الثالث

## نظام القضاء

ويعتوى على ٢-

- ١- نظام القضاء في السودان من ١٨٢٠ - ١٨٤٨ م
- ٢- نظام القضاء في السودان من ١٨٤٩ - ١٨٨٥ م

# الفصل الأول

نظام القضاء في السودان  
في الفترة من ١٨٢٠ - ١٨٤٨ م

- تمهيد :

سأتحدث في بداية هذا الفصل عن النظم القضائية التى كانت سائدة فى الممالك السودانية قبل ضمها إلى إدارة محمد على باشا ، وذلك حتى يتسنى لنا مقارنة هذه النظم بالنظام الذى أحدثه محمد على والتطورات التى يمكن أن تكون قد حدثت فى هذا النظام .

فى البداية أقول إن النظام القضائى فى السودان أحد من النظم التى لم يهتم بها الذين اشتغلوا بتاريخ السودان فلايكاد الباحث يجد إلا إشارات هنا أو هناك ، بينما يتركز اهتمام المؤرخين والباحثين حول النظم السياسية والإدارية وتطوراتها . ولذا يجد الباحث فى هذا المجال صعوبة كبيرة فى جمع تلك الأشتات ليصوغ منها صورة واضحة لنظام قضائى متكامل .

أولاً : النظام القضائى فى مملكة سنار :

مملكة سنار كما سبقت الإشارة فى النظام الإدارى واحدة من الممالك الإسلامية التى كانت تجتهد فى أن تحكم نفسها بالكتاب والسنة ، فى ذلك الزمن الذى كان يكتنفه الجهل خصوصاً سكان تلك المناطق النائية . وقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره صاحب الطبقات فى هذا الشأن حيث قال : " ولم تشتهر فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن ويقال أن الرجل كان يطلق الممرأة ويتزوجها غيره فى نهارها من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركى من مصر وعلم الناس " (١) .

---

(١) كتاب الطبقات : مرجع سابق ص ٣٤٤ .



وقد أُشرت في نظام التعليم إلى الدور العظيم الذي لعبه سلاطين هذه المملكة في نشر العلم ، وإكرامهم للعلماء حتى انتشرت مدارس الفقه والقرآن . وكان المذهب الرسمي لهذه السلطنة هو المذهب المالكي .

وقد كان منصب القضاء في هذه السلطنة يقوم به عالم ينتدبه السلطان للنيابة عنه في نظر القضايا بين المسلمين في المحاكم ويسمى هذا القاضي بقاضي الاسلام .

كما أنَّ منصب الافتاء يقوم به عالم ينتدبه السلطان ليستفتي في مسائل المسلمين الدينية وكان يطلق عليه مفتي الاسلام .

كذلك هنالك منصب شيخ الاسلام ويقوم به عالم ينتدبه السلطان يرعى شؤون العلماء بحسب درجاتهم واستحقاقهم ولياقتهم وينظر في جميع المسائل المتعلقة بهم كالعزل والتولية والايقاف .

كما ينتدب السلطان كذلك عالماً يرعى الطرق الصوفية وشؤونها ويسمى شيخ مشايخ الطرق (١) ويلاحظ أنَّ هذا النظام يكاد يطابق نظام الدولة العثمانية وربما انتقل هذا النظام إلى مملكة سنار من مصر أو الحجاز بحكم أنَّها كانت ولايات عثمانية .

أنشأت دولة سنار محكمة عليا بسنار العاصمة وعين ملوكها لها قاضياً يسمى بقاضي عموم سنار وأمروه بالحكم بين الناس بالعدل والانصاف . كما أنشأ كل ملك من ملوك هذه المملكة وكل شيخ من مشايخها محكمة صغرى بعاصمته وعين لها قاضياً ليحكم بين الرعية بما أنزل الله . فهناك قاضي مملكة

---

(١) انظر حسين سيد احمد المفتي : تطور نظام القضاء في السودان . مرجع سابق ص ١٧ .

السعداب فى شندى وقاضى مملكة الرياطاب فى ابى حمد وقاضى مملكة الميرفاب  
فى بربر وقاضى مملكة الشايقية فى حنك وقاضى مملكة المحس فى فريــــــــق  
وقاضى مشيخة الشنابلة فى المسلمية وقاضى مشيخة المناصير فى السلمــــــــات  
وقاضى مملكة الدفار فى الحتانة وقاضى مملكة تنفسى بجزيرة تنفس وقاضى  
مملكة الخندق بالخندق وقاضى مملكة أرقو بارقووهكذا فى باقى أنحاء  
المملكة " (١) .

وكانت المحاكم تشكل من قاضى واحد أو أكثر وعدة نواب يختلف عددهم  
قلة وكثرة بحسب أهمية المحكمة وأعمالها ويجوز أن يكون بالمملكة  
أو المشيخة الواحدة عدة قضاة فى جهة واحدة أو فى جهات متفرقة ومن ذلك  
ماحصل فى مشيخة العبدلاب فان الملك دكين ١٥٦٢م-١٥٧٧م الموافق ٩٧٠-٩٨٥هـ  
امر الشيخ عجيب من مشايخ العبدلاب بتوليته القضاء فى مشيخته فولى الشيخ  
عبدالله العركى والشيخ عبد الرحمن بن الشيخ النويرى والشيخ بقدوش  
على دار الجمعية (٢) .

هذا وكان يوجد قضاء بالممالك المذكورة يسمى " قضاء الشريعة  
البيضاء " وهو ينحصر فى القرى والبوادر فاذا حصل نزاع بين جماعة من  
أهل القرية أو البادية فأن لهم أن يذهبوا باختيارهم الى أحد العلماء  
المقيمين معهم بالقرية أو المسافرين معهم بالبادية فيقضى هذا العالم  
بينهم بالشريعة الاسلامية فاذا عارض معارض فى الحكم فأنه فى هذه الحالة  
يكتب العالم حكمه فى ورقة يرسلها مع المعارض الى قاضى المملكة  
أو المشيخة للنظر ومتى وجد القاضى الحكم مطابقاً لأحكام الشريعة

(١) انظر حسين سيد احمد المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان . مرجع

سابق ص ١٧ . ويبدو أن أهل السودان كانوا يطلقون على حكــــــــام  
الولايات أيضاً لقب الملوك .

(٢) انظر كتاب الطبقات - مرجع سابق - ص ٢٥٢ .

فانه يجيزه ويسرى مفعول الحكم كسائر أحكام القضاة" (١) .

كذلك عرف نوع من القضاة أطلق عليه قضاة الأجاويد وهم جماعة من كبار السن وشيوخ القبائل اذا عرضت مشكلة من مشكلات الأرض أو الدماء أو غيرها فانهم يجتمعون ويدرسون المشكلة ويعملون على حلها وهذا النوع من القضاة موجود في كل المجتمعات البدوية تقريبا .

ولم تحدد دولة سنار رواتب محددة للقضاة بل كان الملك يأمر بأن يدفع إلى القاضي من بيت المال ما فيه الكفاية له حتى لا يمد يده إلى أموال الناس بطريقة تسوء إليه وإلى قضاائه .

#### - المحكمة العليا بسنار :

هذه المحكمة عبارة عن محكمة عليا ولذلك فهي لا تختص بنظر دعاوى اقليم بعينه وإنما يشمل اختصاصها كل أرجاء دولة سنار وتحكم هذه المحكمة في القضايا الخاصة بالسلب والنهب والسطو والقتل وفي قضايا الزواج والطلاق والوراثة والوصايا والهبة والبيع والشراء والوقف والوكالة وكانت أحكامها وفق المذهب المالكي وبها عدد من النواب العلماء المعروفين بالعلم وحسن السيرة يعينهم القاضي ليساعده في الأحكام كما أن بهما كذلك عدد من الكتاب الذين يشتهرون بحسن الخط ولهم إمام تام باللغة العربية وفقه الشريعة ولم يكن لهذه المحكمة دار معينة فكانت تعقد بمسجد المدينة أو بمنزل القاضي أو في أي مكان آخر .

(١) انظر حسين سيد أحمد المفتي : تطور نظام القضاء في السودان . مرجع

ويحيط بمجلس القضاة الحجاب لجلد كل من تحدثه نفسه بالتشويش أو التعدي على الغير أثناء انعقاد الجلسة فأذا تمادى هذا المعتــــدى أمر القاضي بحبسه حالاً تاديباً له ومحافظة على حسن سير مجلس القضاء . لذلك فإنه قد كان للجلسة روعتها وأبهرتها وجلالها الشيء الذى يدل على مكانة القضاء فى نفوس جميع السكان . ثم يشرع القاضي فى سماع الدعوى ويتولى بنفسه توجيه الأسئلة إلى الخصوم وسماع شهادة الشهود ومناقشتهم ولأمانع من أن يطلب من النواب الذين معه بالجلسة توجيه ما يريدون من الأسئلة وبعد أن يتم التحقيق اللازم فى القضية يأمر القاضي الخصوم بالخروج من قاعة الجلسة وبعد خروجهم يتناقش القاضي والنواب فى القضية وبعد البحث والمناقشة إذا تم اتفاق الجميع فيها ونعمت - أما إذا حصل اختلاف فيرجع الجانب الذى معه القاضي وقل أن يختلف القاضي مع النواب . ثم يعاد الخصوم إلى الجلسة فينطق القاضي بالحكم ثم يملأ القاضي الحكم على أحد الكتــــبــــة فيذكر فيه أقوال المدعى والمدعى عليه وأدلة الأثبات والنفى وشهادة الشهود وغير ذلك من الاجراءات والمرافعات ثم ترجيح أحد الجانبين مع بيان النصوص الشرعية التى يعتمد عليها فى حكمه فيكتب الكاتب ذلك على ورقة بخط جميل واضح وبعد التوقيع عليها من القاضي تسلّم إلى المحكوم له الذى يجب عليه أن يحافظ على هذه الورقة حتى يتم تنفيذ الحكم إذ لا صورة لهــــا بالمحكمة (١) .

والقاضي فى دولة سنار لا يتقاعد عن العمل مادام يتمتع بصحة جيدة فى جسمه وقوة فى عقله وسمعه وبصره ولذلك قل أن تجد قاضياً من الشباب .

---

(١) مخطوطة مذكرات الاستاذ محمد عبدالرحيم مؤرخ السودان نقلا عن حسين سيد أحمد المفتى - تطور نظام القضاء فى السودان . مرجع سابق ص ٢٨٠

ويظهر أن القضاء في مملكة سنار في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري قد توارثه الناس كماتتوارث الضياع فبيوت القضاء معروفة مشهورة لا يخرج القضاء عنها ولذلك في كثير من الأحوال تجد أن قاضي الجهة هو ابن قاضيها السابق وحفيد قاضيها الأسبق كما في تراجم كثير من القضاة في كتاب الطبقات مثال ذلك الشيخ حلالى بن الشيخ محمد عيسى سوار الذهب فقد كان قاضياً بدنقله وكان أبوه قاضياً بها والشيخ ديباب ابن الشيخ نجيب كان قاضياً بسنار وكان أبوه قاضياً بها والشيخ قناوى بن محمد القناوى المصرى كان قاضياً ببربر كما كان أبوه قاضياً بها . ويروى صاحب الطبقات عن الشيخ محمد القناوى هذا قصة مشهورة إذ تناول ابنه قناوى الرشوة في أحكامه فركب الشيخ محمد القناوى رأيته وحمل علماً أبيض وطاف بالأسواق وهو ينادى أن أحكام ابنه قناوى باطلة لأنه ارتشى في قضاؤه (١) .

#### - المحاكم الصغرى :

تحدثنا عن المحكمة العليا . أما المحاكم الصغرى فاختصاصها الحكم في المسائل الزراعية والجرائم الصغيرة كالمشاجرات والسرقات البسيطة وفي مسائل الزواج والطلاق والمواريث والهبة والحجر والوصاية والوقف وكتابة حجج العقارات والأطيان ولا اختصاص لها في الدعاوى الكلية التى تختص بها المحكمة العليا .

وتتشكل كل محكمة صغرى من قاض واحد ونائب واحد - إلا فيما ندر - فإنها تتشكل من أكثر من ذلك كما سبقت الإشارة إلى محكمة الجموعىة

---

(١) انظر كتاب الطبقات - مرجع سابق ص ١٠٠ .

التي ذكر صاحب الطبقات أنَّ قضاتها ثلاث وربما يرجع ذلك لأهميتها وكثرة القضايا فيها أو لاتساع المنطقة التي تدخل في دائرة اختصاصها.

هذا وقد ذكر بعض الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مملكة سنار بعض المشاهدات المتعلقة بالقضاء ومن ذلك ما ذكره الرحالة يونسieh عن حاكم سنار حيث قال إنَّه " لم يكن يظهر في المناسبات العامة لجمهور الناس رالا وعلى وجهه نسيج من الشقوق الملون يغطى ملامحه ، يرأس بنفسه محكمته القضائية في هيئة شبيهة بهيئة حاكم روماني . وفيما يصدر الحكم على المجرمين كانوا يطرحون أرضاً ويفضون بالهراوات حتى الموت" (١).

ويمعب على المرء تصديق هذه الرواية في ضوء النظام القضائي الذي رأينا كذلك ذكر الرحالة كرهب أنَّه شاهد محكمة المانجل (٢) فذكر أنَّ الشاكي والمدعى عليه يختار كل منهما محاميه من بين الحضور فيخير الشاكي محاميه بالقضية الذي يقوم بعرضها ويرد المدعى عليه بأنه غير مذنب ثم يترافع كل محام عن جانبه الذي أوكله وقد يشترك بعض الحاضرين في المناقشة مؤيدين أو معارضين وأثناء ذلك ينصت المانجل وقد استوعب القضية بعد شرحها وتقديم الأدلة من الجانبين سواءً من المحامين أو من الحضور الذين اشتركوا في المناقشة وعند الانتهاء يصدر حكمه الذي لا استئناف بعده . وفي هذه المحاكمة بالذات أصدر حكمه على أحد المتخاصمين بالضرب حيث تناول الحاضرون عصيهم وانهالوا عليه ضرباً حتى أمر المانجل بالتوقف (٣) .

(١) ألان مورهيدي : النيل الأزرق . مرجع سابق ص ٢٣١ .

(٢) في دولة سنار كان يطلق على حاكم المنطقة أو المشيخة لفظ مانجل .

(٣) انظر د . مكي شيعة : تاريخ شعوب وادي النيل - مرجع سابق

هذه الحادثة والتي سبقتها لا يمكن أخذها على إطلاقها وذلك لجهل هؤلاء الرحالة بلغة أهل البلاد وعاداتهم إضافة إلى أن مشاهداتهم هذه لاتصلح للتعميم إذ ربما شاهد أحدهم واقعة تأديب بعينها فيأخذها كمثال يصدر به حكماً عاماً .

وقد علق أحد الباحثين على نظام القضاء الاسلامى فى دولة سنّار بقوله : " لهذا يمكننا أن نقول بأن تطبيق الشريعة خلال هذه الفترة قد شابه شيء غير قليل من التحريف لعدم وجود علماء يصلحون لاستنباط الأحكام الفقهية التى قامت عليها القواعد القانونية المختلفة خلال فترة مملكة الفونج ( سنّار ) ويمكننا أن نقول أيضاً بأن ضالة علم القبائل التى تكونت منها مملكة الفونج بالشريعة الاسلامية أدى إلى اختلاط قواعد الشريعة بشيء غير قليل من العادات القبلية وإلى طغيان تلك العادات على الشريعة نفسها أحيانا . وقد ظلت العادات والعرف القبلى يسيطران على المجتمعات القبلية التى لم تدخل تحت سيطرة الفونج وبالتحديد فى أقاصى الجنوب والشرق " (١) .

وربما يكون هنالك شيء من الجهل وربما تكون بعض التقاليد والأعراف قد أخذت طريقها إلى النظام القضائى وخاصة قضاء الأجاويد ولكن قطعاً لم تكن المصورة بهذه القتامة التى حاول الباحث أن يعكسها ودليلنا على ذلك هذا النظام القضائى الذى أشرنا إليه والذى قام عليه قضاة علماء سبق أن ترجمنا لبعضهم فى نظام التعليم .

(١) الأستاذ زكى مصطفى عبد المجيد المحامى : القانون المدنى السودانى تاريخه وخصائصه - معهد الدراسات العربية . القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٦-٧ .

### النظام القضائى فى سلطنة الغور :

كان فى سلطنة الغور نوعان من القضاء قضاء شرعى وقضاء عرفى أما القضاء الشرعى فقد كان يقوم على الكتاب والسنة ويستند فى أحكامه على المذهب المالكى . وكانت محكمة السلطان فى الغاشر العاصمة تتكون من عدد من القضاة ولها دار ملحقة بقصر السلطان ويرأس هؤلاء القضاة أوفرهم علماً ومعرفة وأكثرهم فطنة ويقوم بتعيينه السلطان وتستمع هذه المحكمة إلى القضايا فإذا كان المدعى والمدعى عليه موجودين بالغاشر سمعت الدعوى وفصل فيها أما إذا تخلف أحدهما فتؤجل القضية لإعلانه بالحضور وتحدد جلسة لسماع القضية .

ويجلس الخصوم على الأرض كجلسة المملى شأداً للمحكمة وينظر كل منهم إلى الأرض ولا يرفع رأسه إلا إذا طلب إليه الكلام . ويسوى رئيس الجلسة بين الخصوم فى الجلوس والاقبال والإشارة والنظر لافرق فى ذلك بين غنى وفقير ووزير وفقير وكبير وصغير . ويحافظ الرئيس على حسن سير مجلس القضاء فإذا حصل من أحد الخصوم إساءة أدب أو حصل ما يشوش على المحكمة أو يخل بنظامها انتهزه الرئيس فأن لم يمتثل وتمادى فى فعله أمر بجلسه فى الحال . ويحيط بالقضاة جماعة من الرجال عرفوا إذاك باسم القلاقنة وهم يقومون بدور الجلاوزة والحجاب .

ويباشر الرئيس التحقيق فى القضايا بحضور باقى الأعضاء ويشاورهم فيما يحتاج إليه ولا مانع من أن يلفت أحد الأعضاء نظر الرئيس إذا فلت عليه شئ أثناء نظر القضية . وكانت القضايا لاتدوّن فى محاضر . وكانت أحكام محكمة الغاشر غير قابلة للطعن أو المراجعة (١) .

---

(١) انظر مخطوطة مذكرات الاستاذ محمد عبدالرحيم مؤرخ السودان نقلاً عن حسين سيد أحمد المفتى - تطور نظام القضاء فى السودان . مرجع سابق ص ٥٦-٥٧



أما في الأرياف فقد كان لكل جهة محكمة تتألف من قاض واحد وكان اختصاصها في القضايا الجزئية كقضايا الطاعة والخضاعة والديون وأمور الزراعة . أما القضايا الكلية فيجب إحالتها إلى محكمة الفاشر . وكان للخصوم الحق في استئناف أحكام قضاة الأرياف أمام محكمة الفاشر . وكان القاضي في دارفور يرتدى جبة وقفطاناً من أجود واردات القطر المصري ويلبس الطربوش المغربي من غير أن يضع عليه عمامة .

وكان جل القضاة في دارفور من خريجي الأزهر الشريف (١) .

أما القضاء العرفي في دارفور فكان يوجد في القرى وقبائل الرجل ويشبه إلى حد كبير قضاء الأجويد الذي يقوم به كبار السن . والقضاء العرفي في دارفور مخالف لأحكام الشريعة وربما يكون السبب في ذلك أن كثيراً من القبائل في دارفور لم تكن مسلمة أو أن بعض أفرادها قد دخلوا في الإسلام حديثاً . ومن الأمور التي تصالح عليها القضاء العرفي ما يلي :

- (١) حرمان النساء من الارث .
- (٢) كل من يسرق يحاكم بغرامة مقدارها ست بقرات أو قيمتها .
- (٣) كل من يزني بمتزوجة يحاكم بغرامة قدرها ست بقرات فإذا زنى بغير متزوجة فيحكم بغرامة قدرها بقرة واحدة فقط .
- (٤) جزاء القاتل الدية وهي من البقر مائة ، إذا كان القاتل من مـلاك الأبقار أما إذا كان القاتل من أصحاب الإبل فالدية مائة بغير .

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٥٩ .

- (٥) كل من يضرب غيره ضرباً مبرحاً ينتج عنه كسر فى العظم أو تهشيم يحاكم بغرامة هى ثوب من الدمور ( نوع من القماش ) فاذا كان الضرب غير مبرح فالغرامة نصف ثوب من الدمور .
- (٦) كل من يشتم غيره شتيمة فظيعة فغرامته ثوب من الدمور فاذا كانت الشتيمة غير فظيعة فالغرامة نصف ثوب من الدمور .
- (٧) لاعقاب على الجرائم التى تقع من الصغار بعضهم على بعض .
- (٨) لاعقاب على الذى ياخذ من بهائم غيره لغرض ذبحها فى وليمة عرسه بشرط أن يكون العدد الماخوذ فى حيز المعقول (١) .

وقد جمعت الاحكام العرفية كلها فى كتاب واحد عرف بقانون والى وهو بمثابة قانون الجزاء ويقوم بتنفيذه المقاديم بالاتفاق مع أصحاب المناطق والقبائل (٢) .

#### - القضاء فى كردفان :

بالرغم من أن جزءاً كبيراً من كردفان كان تابعاً لسلطنة الغور إلا أن القضاء يختلف هنا قليلاً عن القضاء فى دارفور .

فقد عين سلطان الغور قاضياً عاماً لكردفان وجعل مقره الأبيض وأمره بالقضاء بين الناس بالعدل ومن اختصاص هذا القاضى الفصل فى سائر القضايا على اختلاف أنواعها طبقاً لأحكام الشريعة والمذهب المالكى ومن اختصاص هذا القاضى أيضاً تعيين الكتاب والنواب لمحكمته وكان للمحكمة

(١) انظر حسين سيد أحمد المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان . مرجع سابق ص ٦٠-٦١ .

(٢) انظر نعوم شقير: تاريخ السودان - مرجع سابق ص ٧٩ .

مقر دائم هو مسجد الأبيّض حيث يجلس القاضى ضحى كل يوم للقضاء بيــــن المسلمين وعن يمينه وشماله نوابه ومعهم جماعة من الفقهاء والأجاويد ومشايخ القبائل ويحيط بهم الحماية والأعوان وقد اختيروا بحيث يستطيعون التغلب على من يلجأ إلى القوة والعنف . ويباشر القاضى التحقيق فى القضية بمفته رئيس الجلسة وكان القاضى فى كثير من الأحوال يرجع إلى النواب وإلى الفقهاء الموجودين معه بالجلسة فيما أشكل عليه من المسائل الشرعية وكان لا يقطع أمراً دون استشارتهم . وبالمحكمة المذكورة جماعة من الكتاب لكتابة الأحكام بعد أن ينطق بها القاضى ولم تجر العادة هناك بتدوين مايجرى بين الخصوم فى محاضر ولا دفاتر وكل ما فى الأمر أنه بعد أن ينطق القاضى بالحكم فانه يأمر الكاتب بأن يكتب على ورقة تسلّم إلى المحكوم له مذيلة بختم القاضى وكان القاضى فى كثير من الأحوال يبعث نائبه معه من يستعين به من الكتاب وأصحاب الخبرة فى معاينة الأراضى وذلك للتمكن من اصدار الحكم الصحيح (١) .

وأحكام هذه المحكمة لاتقبل المعارضة ولا الاستئناف ولا الطعن ويتم التنفيذ بواسطة نائب السلطان المقيم بالأبيّض وذلك بالنسبة للأحكام الكبرى أمّا الاحكام الجزئية كاحكام الطاعة والجلد فيأمر بها القاضى وتنفذ فى جلسة المحكمة .

من خلال هذا العرض يتضح أن النظام القضائى الذى كان مطبقاً فى دارفور وفى كردفان لا يختلف كثيراً عن ذلك النظام القضائى الذى كان معمولاً به فى سنّار .

(١) انظر حسين سيد احمد المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان ، مرجع

هذا عرض للنظم القضائية التى كانت سائدة فى سنار ودارفور وكردفان، قبل ضمها للإدارة المصرية وسنحاول أن نستجلى معالم النظام القضائى الذى أنشأه محمد على فى السودان بعد ضمه للإدارة المصرية .

#### — النظام القضائى فى السودان فى عصر محمد على :

معلوم عند المؤرخين أن محمد على كان قد أرسل نحو ثلاثة من القضاة بصحبة حملته التى أرسلها إلى السودان وهم القاضى محمد الأسيوطى الحنفى والقاضى أحمد البقل الشافعى والقاضى السلاوى المغربى المالكى وذهب كلًّا منهم خلعة سنية وخمسة عشر كيسًا وأوصاهم أن يحثوا أهل البلاد على الطاعة بلا حرب بحجة أنهم مسلمون وأن الخضوع لجلالة السلطان أمير المؤمنين وخليفة رسول المسلمين واجب دينى (١) .

وبعد أن تمت عملية فتح السودان تم تعيين القاضى محمد الأسيوطى فى منصب قاضى عموم السودان وهو من علماء الحنفية المعروفين إذاك بالديار المصرية وبقى الشيخ فى منصبه هذا إلى أن توفى فى سنة ١٨٢٣م بمدينة إدار مدنى التى كانت مقر رئاسة الحكومة فى ذلك الوقت (٢) .

وبعد موت القاضى الأسيوطى قام عثمان بك حكامدار السودان بتولية الشيخ إدريس اليعقوبابى منصب قاضى عموم السودان سنة ١٨٢٥م وكان هذا القاضى من علماء السودان وقد مات بعد عام من توليته القضاء فى سنة ١٨٢٦م بمرض الجدرى .

---

(١) انظر نعوم شقير - تاريخ السودان . مرجع سابق ص ١٩٦ .  
 (٢) انظر حسين سيد أحمد المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان . مرجع سابق ص ٩٩ .

وفى شهر يونيو سنة ١٨٢٦م تم تعيين العلامة الاستاذ الشيخ أحمد السلاوى المغربى المالكى الذى قدم إلى السودان مع حملة اسماعيل باشا قاضياً عاماً للسودان . وقد كان عالماً وشاعراً . والى جانب تعيينه قاضياً عاماً على السودان تم تعيينه مفتياً للمالكية بالسودان . وقد كان أشر القاضى السلاوى على السودان كبيراً خاصة فى مجال التعليم كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

أما القاضى البقلى فقد رجع إلى مصر بعد عام من فتح الب——لاد السودانية (١) .

وقد سبق أن ذكرت أن المذهب الرسمى للممالك السودانية قبل ضمها لإدارة المصرية كان هو المذهب المالكى ولكن بعد ضم الاراضى السودانية لإدارة المصرية أصبح المذهب الرسمى هو المذهب الحنفى الذى كان معمولاً به فى جميع أرجاء الدولة العثمانية فأصبح أهل السودان من ذلك التاريخ يتمذهبون فى شعائرهم على المذهب المالكى وفى معاملاتهم واقضيتهم بالمذهب الحنفى .

كما أن الحكومة قد جعلت رواتب معلومة للقضاة فى السودان تتراوح بين الخمسمائة والالف قرش للقاضى شهرياً مع اعفائه من العوائد والضرائب وكان القاضى يرتدى جبة وقفطاناً ويفع على راسه الطربوش المغربى ————— وعليه عمامة بيضاء (٢) .

---

(١) انظر محمد سليمان : دور الأزهر فى السودان - مرجع سابق ص ٥٥ .  
 (٢) انظر حسين سيد أحمد المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان - مرجع سابق ص ٧٩ .

" ومن أشهر القضاة الذين رشحهم الأمير اسماعيل نجل محمد على باشا للقضاء فى دنقله الاستاذ الورع العلامة الشيخ البدوى القرافى الذى يقال أنه قد اشترط ألا يأخذ أجراً من الحكومة عن القضاء كما اشترط أن لا يقبض نفسه باللوائح والمنشورات بل يقضى بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ومما يشار إليه ان جميع القضاة فى ذلك العهد كانوا من السودانيين فيما عدا قضاة مديرية سنار وبربر " (١) .

وبضم السودان إلى الادارة المصرية أصبحت البلاد عبارة عن وحدة ادارية واحدة مقسمة إلى مديريات يرأس كل مديرية مدير كان يجمع فى يده جميع السلطات العسكرية والمدنية ويرأس قوة أمن الجند لحفظ الأمن فى المديرية ويساعده فى شئون الادارة وكيل وعدد من معاونين والكتاب وقاضى ووكيل قاضى ومفتى ومجلس أهلى وضبطية (٢) .

ونلاحظ هنا أن النظام القضائى أخذ شكلاً محدداً يتمثل فى قاضى المديرية ووكيله والمجلس الأهلى والضبطية التى تقوم باقرار النظام رغم أن المصادر لاتفصل أكثر ولكن تشير إلى أن الشئون القضائية كان القاضى هو الذى يفصل فيها ويصدر الأحكام (٣) .

وتشير بعض المراجع إلى أن الحكومة المصرية رأت أنه لابد من إنشاء محاكم شرعية فى السودان لتقوم بمهمة القضاء حيث أن قانون الشريعة كان هو القانون المعمول به فى تلك الديار . وتم لها ذلك وأنشئت محاكم شرعية عديدة فى المراكز وفى المديريات . وكان قاضى عموم السودان هو الذى

(١) انظر حسين سيد أحمد المفتى - المرجع السابق ص ٨٠ .

(٢) انظر د. نسيم مقار : الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى - مرجع سابق ص ٤٧ .

(٣) انظر نفس المرجع ص ٤٨ .

يختار القضاة من بين العلماء ويقوم حكماء عموم السودان بالتصديق على تعيينهم . أما قاضي عموم السودان فيتم تعيينه من قبل الحكومة المصرية بالتشاور مع حكماء عموم السودان .

وكانت المحاكم الشرعية وحدها المرجع الأعلى لكل ما ينشأ من خصومة بين السكان على السواء فالمحاكم الشرعية هي التي تنظر في قضايا القتل والسرقة والديون وقضايا الأحوال الشخصية وكل ما يتعلق بالأمور العائلية والارث والوقف واقامة الاوصياء على القصر واقامة القيم على المحجور عليه من أهل السفه والجنون والمفقودين وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وهباتهم ونقل الملكية وغير ذلك من أمور القضاء الشرعية .

ولكن لم يظل الزمن على هذه الحالة حيث صدر أمر بأحالة نظـر القضايا الجنائية لمديري المديريات . وفي الخرطوم العاصمة كان ينظر في القضايا الصغرى مأمور الضبطية ومعه مفتى من الضبطية (١) .

من هذا يستخلص أحد الباحثين أن الادارة المصرية في السودان لم تفلح في وضع نظام ثابت للقضاء في السودان واتسمت سياستها في هذا الجانب بشيء غير قليل من التخبط والارتجال . ولكن الشيء الذي يمكننا أن نستنتجه من الوثائق الخطية وما كتب عن هذا الموضوع أنه على الأقل من الناحية النظرية كان هناك مجلس محلي لكل مديرية وكان هناك مجلس استئناف بالخرطوم يسمى مجلس استئناف السودان . وفي بعض الأحيان كان يوجد بكل مديرية مفتى يقوم بالتصديق على أحكام المجلس المحلي وأحكام قاضي المديرية كما كان هناك مفتى لمجلس استئناف الخرطوم وكانت كل أحكام ذلك المجلس تخضع لتصديقه .

(١) انظر حسين سيد أحمد المفتى : تطور نظام القضاء في السودان - مرجع

وكان مجلس استئناف السودان يختص بنظر الاستئنافات من جميع أنحاء القطر السوداني، كما أن كل الأحكام الهامة كقضايا القتل والأذى الجسيم وسرقة أموال الدولة تحال إلى مجالس الأحكام في القاهرة للتصديق عليها (١) .

ويضيف هذا الباحث " وتوضح الوثائق أن الصلة بين مجلس كل مديرية ومفتيها ومجلس استئناف السودان ومفتيه من جهة ومجلس الأحكام في مصر يشوبها كثير من الغموض : وقد صدرت لوائح عديدة لتنظيم هذه المسائل ولكن الغموض الخلط وتداخل الاختصاصات ظل الطابع المميز في علاقات هذه المؤسسات وقد امتد هذا الخلط والتداخل فشمّل تعيين القضاة وعزلهم ، إذ أن بعض الوثائق تتحدث عن صلاحيات حكمدار السودان في تعيين القضاة وعزلهم بينما تتحدث وثائق أخرى على أن تعيين القضاة من حق ولي الأمر في مصر أو من حق مجلس الأحكام بالقاهرة . ولم تكن تشترط في البداية مؤهلات معينة في القضاة حتى أننا نجد أنه قد تم تعيين أحد الجنود الأتراك قاضياً في مديرية كردفان في وقت لم يكن فيه ذلك التركي يعرف حتى مبادئ القراءة والكتابة . وكان أعضاء المجالس المحلية على الدوام من الأعيان ووجوه المنطقة ولم يكن يشترط في تعيينهم أن يكونوا ملّمين بقدر من المعرفة أو العلم بالقانون (٢) .

ولعل السبب في اضطراب نظام القضاء في السودان في بداية عهد الإدارة المصرية هو ما صاحب هذه الإدارة نفسها من اضطراب كما سبق توضيح ذلك في النظام الإداري . يضاف إلى ذلك جهل الحكومة بطبيعة السودان

(١) انظر زكي مصطفى عبد المجيد : القانون المدني السوداني - مرجع

سابق - ص ٨ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٩ .



وأعراف أهله وعاداتهم ومعبوبة المواصلات وانتشار الامية .

وهذا النظام القضائى الذى وضعته حكومة محمد على - وإن كان نظرياً  
فى أغلبه - إلا أنه كان أساساً لنظام قضائى متكامل طبق فى السودان بعد  
ذلك .

وستعرض فى الفصل التالى على ما اضافهُ أبناء محمد على فى

هذا المجال .

...

# الفصل الثاني

نظام القضاء في السودان  
في الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٨٥ م

تمهيد :

لم تذكر لنا المصادر والمراجع شيئاً يذكر حول نظام القضاء في عصرى عباس وسعيد وربما يرجع ذلك إلى أن هذه الفترة تعتبر قصيرة إذا ما قيست بفترة محمد على السابقة أو فترة اسماعيل اللاحقة . وقد سبق لى أن أشرت إلى عدم اهتمام عباس الأول بأمر السودان عامة وأغلب ظنى أن القضاء فى هذا العصر استمر بنفس النظام الذى أقامه محمد على والذى يتميز بوجود قاض لعموم السودان يشرف على شئون القضاة وتعيينهم وعزلهم وقضاة المديريات إلى جانب القضاء المحلى الذى يقوم به مشايخ القبائل والرؤساء المحليين ومما يؤكد هذا الأمر أن سعيد باشا أبان زيارته للسودان أشار فى منشوره الأول الذى أصدره فى الخرطوم لتنظيم الإدارة إلى بعض النواحي التى تتعلق بالجانب القضائى فأشار إلى المؤسسات القضائية التى سبق أن ذكرناها . ومما جاء فى هذا المنشور عن القضاء قوله : " أما المنازعات والقضايا فيكون بحثها والبت فيها أمام المشايخ . ولكن فى الحالة التى يتعذر فيها الوصول إلى حل بهذه الطريقة فأن هذه القضايا يفصل فيها المكوك (١) الذين يقبلهم الطرفان المتنازعان . وإذا كانت من نوع لا يحل بهذه الطريقة فأنها ترسل إلى المديرية . ومالم يمكن الفصل والحكم فيه فإنه يعرض على المجلس أثناء الشهور الثلاثة التى ذكرت أعلاه - فعلى المجلس أن ينظر فى هذه الأمور ويصدر حكمه فيها " (٢) .

وهذا هو القضاء المحلى المرتبط بالإدارة الأهلية ويختص بالمنازعات البسيطة حيث يتحاكم الناس إلى مشايخهم فأن قبلوا أحكامهم انحلت المشكلات

---

(١) المكوك جمع مك وهم الحكام المحليين فى السودان فى تلك الفترة .

(٢) محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان - مرجع سابق ص ٣٤٧ .

وإلا فيلجأ الخصوم إلى المكوك وهم الحكام المحليون فأن فشلوا في حـلـ  
القضايا فأنها ترفع إلى محكمة المديرية فأن عجزت محكمة المديرية  
فيحل بعض القضايا فأنها تحال إلى المجلس الذى كونه محمد سعيد فى الخرطوم  
من الحكام والرؤساء المحليين وشيوخ القبائل لينظر فى كيفية حلها .

ويضيف سعيد باشا فى منشوره " أما فيما يختص بالمسائل المتعلقة  
بالقانون فهذه يحكم فيها القضاة . ويقوم بتنفيذ هذه الأحكام المشايخ  
والمديرية . أما قضايا القتل فيجب أن ينظر فيها مدنياً بمساعدة المديرية  
وتبحثها المحكمة فى المديرية ، وفى المجلس الذى سبق التحدث عنه وذلك  
بحضور القاضى والذين يخصهم الأمر حتى ترفع إلى بعد ذلك بواسطة  
المديرية . أما قضايا البدو فهذه من اختصاصات شيخ قبيلتهم أو الشيخ  
الأعلى" (١) .

ونجد أن سعيد قد ترك المسائل المتعلقة بالقانون للقضاة لأنهم أهل  
دراية ولم يتركها للحكام المحليين ولا للحكام العسكريين ولا لمشايخ  
القبائل ولا حتى للمجلس الذى يجمعهم جميعاً واشترط فى القضايا التى  
يببحثها المجلس أن تكون بحضور القاضى كما أن قضايا القتل بعد الحكم  
فيها لابد من رفعها إليه فى القاهرة للتصديق عليها .

وفى منشوره هذا ذكر سعيد الحكام بالعدل بين الناس وبرحمـة  
المساجين ومما جاء فى هذا الشأن قوله " ابحثوا المسائل وأعدلوا بين  
الناس دون ما تحيز فإذا استحق إنسان السجن لذنب من الذنوب فمن واجبك  
الاهتمام بانهاء هذه المسألة حتى لا يبقى المجرم وقتاً طويلاً فى السجن ، لأنه

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤٧

مع كون السجن ضروريًا للعقاب أحد الأشخاص على ارتكاب عمل سيء ومن المنتظر أن ينتج خيرًا إذ أن هذا من شأنه أن يمنع المجرم من اقتراف آثام أخرى في المستقبل وفي نفس الوقت تكون هذه العقوبة مثلاً يردع الآخرين عن الاتيان بأعمال تستحق هذا العقاب ، فإنه لما كان السجناء هم من رعاياي وشعبي فإن عدلي ورحمتي لا يسمحان بأن يبقوا في السجن أكثر من الوقت المقرر ورغبتى أن أكون شفيقاً في معاملتهم " (١) .

هذا كل ماوصلت اليه حول نظام القضاء في عهدى عباس الأول وسعيد باشا أما عن نظام القضاء في عصر اسماعيل فسنحاول التعرف عليه خـلال الصفحات التالية :

#### بـ نظام القضاء في السودان في عصر اسماعيل :

بما أن فترة حكم الخديو اسماعيل باشا كانت طويلة نسبيًا ١٨٦٣-١٨٧٩م فقد شهد نظام القضاء فيها مثل بقية أنظمة الحكم والادارة - تطوراً نحاول هنا أن نتلمس جوانبه .

في هذا العهد بـ عهد اسماعيل - قسمت المحاكم إلى محكمة عليا ومحاكم محافظات ومديريات ثم محاكم أقسام .

#### - أولاً : المحكمة العليا :

مقرها الخرطوم وكانت تسمى مجلس استئناف السودان وتشكل من عدة قضاة برئاسة قاضى عموم السودان ولها هقيتها ويسمى مفتى مجلس قضاة السودان ومن خصاصها أنها كانت تنظر في الأحكام الصادرة من قضاة المديريات والمحافظات الكائنة من مختلف أنحاء السودان بصفة استثنائية

(١) محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى في السودان - مرجع سابق ص ٣٥٠ -

إذا لم يقتنع المستأنف بقرار الاستئناف الصادر من مفتى المديرية  
في الحكم فأن كان الحكم مطابقاً للأصول الشرعية صدقت عليه وإلا قررت بطلانه  
وحددت جلسة للنظر في القضية والفصل فيها ، والأحكام التي تصدرها  
هذه المحكمة تكون نهائية وغير قابلة للمعارضة (١) .

هذا وقد كان آخر رئيس لهذه المحكمة هو الشيخ محمد خوجلى حتى  
كما ان الشيخ شاكربن الرئيس كان المفتى الأخير لهذه المحكمة وكانت  
أحكامها تسجل في محاضر ومن أمثلة القضايا التي قامت بالفصل فيها قضية  
التنازع بين أهالي قبة خوجلى وأهالي جزيرة توتى (٢) في الحد الفاصل  
بينهم في الأطيان (٣) .

هذا وقد صدر قرار بالغاء هذا المجلس وتكوين مجالس مشابهة في  
كل مديرية وقد جاء قرار الالغاء هذا في الخطاب الصادر من الخديو اسماعيل  
في الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٨٨ هـ الموافق الثاني من فبراير  
سنة ١٨٧٢ م . وقد جاء في هذا الخطاب مايلي :

" جواب للمستشار صورته ورد للمعية إفادة من مجلس الأحكام رقم  
٢٧ نمرة ١٢ بأن جهة السودان كان موجوداً بها مجلس واحد وكانت قضاياها  
تقدم للأحكام (٤) والآن وردت مكاتبة من حضرة الباشا مدير عموم قبلى (٥)  
انفهم منها (٦) لغو ( هكذا ) (٧) ذلك المجلس وأن حضرة مدير التاك

(١) انظر حسين سيد أحمد المفتى - تطور نظام القضاء في السودان . مرجع  
سابق ص ٨٣ .

(٢) صاحيتان من ضواحي الخرطوم بحرى .

(٣) انظر حسين سيد أحمد المفتى . نفس المرجع ص ٨٤-٨٥ .

(٤) يقصد مجلس الأحكام بالقاهرة .

(٥) يقصد مدير عموم قبلى السودان .

(٦) يقصد فهم منها .

(٧) يقصد الغاء .

غير معلوم (١) إن كان صدر أمر بلغو ( هكذا ) مجلس السودان المحكى عنه أو تسميته باسم آخر كما أنه مهما علم هن تشكيل مجالس لمديرية التاكة وبربر ومحافظات سواكن ومصوع مافهم إن كان مديريات كردفان وعموم قبلى السودان ترتب لها مجالس محلية أم لا . وإن كان ترتب للجميع مجلس استثناف أم كيف ؟ لآخر ماذكر ، والحال أنه وإن كان لم يصدر أوامر خصوصية بلغو ( هكذا ) المجلس السالف ذكره غير أن وجوده كان قبل تبديل هيئة الأقاليم السودانية كما هو معلوم بالمجلس الخصوصى . ولما صارت التشكيلات الجديدة واجعاليها ( هكذا ) جهات قائمة بنفسها وبلغو ( هكذا ) الحكمدارية ، قد أشير بالأمر فى وقتها أن كل جهة تعمل ترتيبها (٢) ، وتقدمه وفى غضون ذلك كان محافظ مصوع عمل ترتيب رقم (٢) ثم إن مديىر التاكا عمل أيضا ترتيبا وقدمه للمعية وأرسل إلى المجلس الخصوصى بأفاداة رقم (١٦) شوال سنة ٨٨ هـ نمرة (٢٢) للنظر فيه كما أن مدير عموم قبلى السودان عمل ترتيبه وقدمه إلى المجلس المشار اليه وأرسل صورته إلى المعية مع افاداة رقم (٤) الماضى نمرة (١١) وافاداة أخرى فى ذلك التاريخ نمرة (١٢) بأنه لمناسبة لغو (٣) ( هكذا ) واستقلال المجلس البلدى قد أجرى رقت الذوات الذين كانوا بمجلس السودان ورتب مجلس للخرطوم مركب من ريس ( هكذا ) وفقى (٥) ( هكذا ) وكتاب وفراش وموظفين وأن الاعضاء يكونوا من عمد ووجوه البنادر

- 
- (١) يقصد الغاء .
  - (٢) يقصد أنه لا يعلم .
  - (٣) يقصد أنه قد ترك لكل جهة اختيار التنظيم الذى يناسبها .
  - (٤) يلاحظ ضعف لغة الخطابات الرسمية وركاكتها فى هذه الفترة وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن القائمين على شئون الدواوين كانوا من الأتراك الذين كان إمام معظمهم باللغة العربية ضعيفا .
  - (٥) يقصد فقيه .

يحضروا بأوقات اللزوم ، فبهذه المناسبة وما تودى عن مجلس الأحكام عن وجود مجالس ببعض الجهات دون البعض وعن مجلس الاستئناف الذى قيل عنه صار هذا مما ينظر فيه بالمجلس الخصوصى وأن تحسن وجود مجلس بكل جهة واستئناف بالخرطوم على مجالس الجهات القريبة منه مثل جهات قبلى السودان وكردفان ودنقلة وبربر عدا التاكا وسواكن ومصوع لمناسبة بعدهم عن الجهة المذكورة وقربهم لمصر يكونوا تابعين استئناف مصر أو غير ذلك فما يرى ويستصوب بأفكار المجلس الخصوصى بهذا الشأن يصدر عنه القرار اللازم ويتقدم لعرضه على الأعتاب السنوية (١) ، بناءً عليه اقتضى تحريره بما ذكر (٢) .

#### ثانيا : محاكم المديرية :

ودائرة اختصاص كل محكمة مديريةية تشمل البلاد الداخلة فى حدود المديرية الكائنة بها . وتختص هذه المحكمة بالنظر والفصل فيما يرفع إليها بصفة استثنائية من الدعاوى المحكوم فيها من قضاة الأقسام التابعة لها . كما تختص بالنظر والحكم فيما يرفع إليها من القضايا بصفة ابتدائية متى ما كان المدعى من متوطنى بلاد مركز المديرية . وتشكل كل محكمة مديريةية من قاض واحد ونائب واحد وعدة كتبة . وكانت الجلسة علنية يحضرها من يشاء من العلماء والفقهاء ولمن يشاء منهم أن يعارض القاض أثناء التحقيق متى ما رأى اغفالا عن نقطة لازمة فى القضية فاذا اقتنع القاض بصحة رأى المعارض قبله ، وأما إذا أصر القاض على رأيه وأصدر حكماً - فللمعارض فى هذه الحالة - أن يقدم مذكرة إلى مدير المديرية يذكر فيها ما كان من القاض ويشير إلى الخطأ الذى ظهر

(١) يقصد بالاعتاب السنوية حضرة الخديوى .

(٢) عابدين دفتر ١٨٥٢ - معية عربى رقم ٢٩ صفحة ٧٣ نقلا عن الحكم

المصرى فى السودان ص ٢٧٦-٢٧٧ .



له ثم يذكر ما يؤيد معارضته من النصوص الشرعية وهنا يطلب المدير إلى القاضى النظر فى مذكرة المعارض فإذا وافق عليها فيجب إعادة النظر فى القضية (١) .

أما إذا لم يوافق القاضى على مذكرة المعارض فيجب عليه أن يرفع مذكرة إلى مدير المديرية يذكر فيها حيثيات حكمه ثم بعد ذلك يرسل مدير المديرية مذكرة المعارض وحيثيات حكم القاضى مع أوراق القضية إلى المفتى للنظر فيها ، ويجب هنا إيقاف تنفيذ الحكم حتى يأتى الرد ولا يخلو الرد من أمرين إما أن يؤيد المفتى حكم القاضى وإما أن يوافق على مذكرة المعارض . وفى الحالة الأخيرة يكلف مدير المديرية القاضى بإعادة النظر فى القضية مراعيًا ما جاء فى رد المفتى .

وإذا استشار المحكوم عليه عالماً من العلماء وأخبره بحكم القاضى ورأى العالم أن حكم القاضى كان خطأ فيجوز أن يذهب العالم إلى القاضى ويلفت نظره إلى الخطأ فى الحكم ، وبعد المناقشة إذا اقتنع القاضى برأى العالم أعاد النظر فى القضية ، أما إذا لم يقتنع القاضى فللعالم أن يبادر برفع مذكرة إلى مدير المديرية . ويحصل هذا عادة فى القضايا الكبرى والمهمة . ولهذا الاجراء فائدة كبرى حيث يشعر القاضى أن أعماله مراقبة من قبل غيره كما أن أحكامه عرضة للانتقاد ولذلك كان القضاة يبذلون جهداً كبيراً واحتياطاً واسعاً ومراجعة للنصوص قبل النطق بالحكم .

استمرت هذه الحال فى محاكم المديريات فى السودان عندما كان مجلس استئناف السودان قائماً . ولماتم إلغاء هذا المجلس جعل لكل مديرية

---

(١) انظر حسين سيد أحمد المفتى - تطور نظام القضاء فى السودان ص ٨٦ .

مفتياً أصبح يقوم بمهمة مجلس الاستئناف وفى حدود المديرية . وكانت محاكم المديرية لها أماكن معينة وغالباً ما تكون مبانى المحكمة ضمن مبانى المديرية نفسها (١) .

ثالثاً : محاكم الأقسام واختصاصها :

توجد هذه المحاكم فى الأقسام التى تتكون منها المديرية أو المحافظة وتسمى فى بعض الأحيان محاكم الأقاليم . ودائرة هذه المحاكم تشمل البلاد الداخلة فى القسم الذى توجد به المحكمة وتشكل هذه المحاكم من قاض واحد ونظام السجلات فيها لا يختلف كثيراً عن نظام السجلات فى محاكم المديرية - واختصاص هذه المحاكم يشمل النظر والحكم فيما يرفع إليها من القضايا متى ما كان المدعى بدائرة القسم الذى توجد به المحكمة ولكن يجب عليها أن تحيل القضايا الكبرى إلى محكمة المديرية أو المحافظة التى يتبع لها الأقليم أو القسم وقد جاء فى خطاب الحكومة المصرية إلى المسؤولين فى السودان بهذا الشأن ما يلى :

" والدعاوى الجسيمة التى تحتاج إلى النظر فى القرى والبلدات تحال على قضاة الولايات ( المديرية ) لينظروا فيها بما يتحقق وليحكموا بما يوافق أصول الشريعة الغراء (٢) .

ومن حقوق محكمة القسم كغيرها من المحاكم إضافة إلى الفصل فى القضايا ، كتابة حجج العقارات والأطيان ومباشرة الأشهارات كالهبة والوقف والتوكيل والرهن والبيع والشراء وكمثال على هذا حجة الشراء

---

(١) انظر تطور نظام القضاء فى السودان - مرجع سابق ص ٨٧

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٩٧

التي قام بكتابتها قاضى اقليم الحلفاية (١) فى سنة ١٢٩٧ هـ الموافق سنة ١٨٧٩م ونصها كالتالى:

" حجة شرعية مضمونها اشترى حضرة المكرم على ولد سالم بماله لنفسه من بايعه أحمد ولد الفكى محمد ولد أحمد ولد النور قطعة أرض زراعية كائنة بجهة الدببية ساقية بنت أبكر قدرها خمسة أذرع بالزراع الثمانى المتعارف عليه بينهم ومحدودة جهتها وحدها من جهة المعيد البشير ولد الحسين ومن جهة الشمال طين بابكر ولد النصح وشرقاً منتهى حد جيرانها غرباً بالبحر (٢) بمبلغ وقدره ثمانية ريال مجيدى ونصف وربع من الريال قيمة كل ريال عشرون قرشاً من القروش الأربعينية قطعة مصرية عملة رائجة فضة خالصة مسكوكة وكذلك البيع الواقع بينهما عاماً اتفقا على فلى هذا العقد بمجلس بينهم وعلى هذا المذكور رايجاب من البائع وقبول من المشتري ويشتمل هذا البيع على الايجاب والقبول والتسليم والتسلم وشروط الصحة وال لزوم ومكن البائع هذا المشتري من قبض هذه البقعة الواقع فيها البيع بالتخلية الشرعية بينه وبينها وأوقفه عليها وعلى حدودها فارغة عن تعلق حق أحد عليها وصارت ملكه وحقه بالبيع والتسليم بطوعهم واختيارهما وعقلهما وصحة تصرفهما وأترقا عن تراض منهما بذلك بشهادة البشير ولد حسين وحاج محمد الصادق .

قاض اقليم الحلفاية

٢١ جماد اخر سنة ١٢٩٧ (١٨٧٩م)

خولى عبد الرحمن

(الختم) (٣)

(١) ضاحية من فواحي الخرطوم بحرى .

(٢) يقصد بالبحر نهر النيل .

(٣) حسين سيد أحمد المفتى :تطور نظام القضاء فى السودان ص ٩٨ .

— منصب قاضى عموم السودان فى هذه الفترة :

تولى منصب قاضى عموم السودان فى عهد اسماعيل باشا الشيخ محمد خوجلى حتيك وهو من قبيلة المحسن (١) وكان ذلك فى عام ١٨٥٨م وكان عالماً ورعاً تقياً وبقي فى منصبه المذكور إلى أن قتل يوم سقوط الخرطوم على أيدي أنصار المهدي (٢) .

ومن هذا يتضح أنه فى عهد اسماعيل لم تكن هناك فترة محددة للقضاة يتقاعدون بعدها وانما يستمر القاضى فى منصبه إلى أن يهرم أو يموت أو يعزل لسبب من الأسباب .

فى عام ١٨٨٢م رأت الحكومة المصرية فصل غرب السودان قضائياً عن شماله فعينت المغفور له السيد أحمد الأزهرى (٣) قاضياً عاماً لغرب السودان ، ولكنه توفى قبل تسلم مهام منصبه .

أما فى شرق السودان فعندما ضمت سواكن إلى أملاك الخديو اسماعيل " استصدر محافظها ممتاز باشا مرسوماً من الخديو اسماعيل باشا بتعيين القاضى عبد القادر حسين بن عبد القادر أفندى راذ كان أول الفائزين فى الامتحان الذى أجراه مندوب مشيخة الأزهر الشريف بسواكن فكان نزيهه جداً ومدققاً فى أحكامه الشرعية والمدنية وخصوصاً الجروح فانه يعطيها

(١) المحسن من قبائل السودان الشمالى ويسكنون إلى الجنوب من هلفا وهم إحدى المجموعات النوبية التى تسكن شمال السودان . انظر محمد عوض محمد : السودان الشمالى . مرجع سابق ص ٣٠٢ .

(٢) انظر تطور نظام القضاء فى السودان ص ١٠١ .

(٣) ولد السيد أحمد الأزهرى بمدينة الأبيض عاصمة مديرية كردفان سنة ١٨٢١م وحفظ القرآن الكريم بمسجد والده بالأبيض وتلقى علومه الأولية على بعض العلماء فى كردفان ومن ثم ذهب إلى الأزهر لطلب العلم فانتظم فى سلك طلبته وأظهر نبوغاً عظيماً وبعد اثنتى عشر عاماً قضاه فى الأزهر أصبح من فحول العلماء العاملين وعين مدرساً بالأزهر فكان مرجع (=)

استحقاقها من العناية سواءً كانت كبيرة أو صغيرة . واشتهر بتعيينه —  
القضاة من أبناء البيوتات الدينية في المراكز التابعة لرئاسة  
فضيلته " (١) .

بعد ذلك جمعت سواكن ومصوع في ادارة واحدة فكان يقوم بالقضاء في  
كل منها مجلس مكون من العمد والتجار ورأى المجلس الخصوص أن القضية  
إذا نظرت بأحد هذين المجلسين يكون استثنائها في المجلس الآخر . وهذا  
وقد طلب حاكم هذه الادارة إلغاء هذه المجالس لأنها كلفت الحكومة المصرية  
مصاريف كثيرة مع أنه لا توجد قضايا تستدعي ذلك ولكن مصر لم تقر طلبه (٢) .

وقد كان من اختصاص قاض عموم السودان إلى جانب تعيين القضاة  
وعزلهم والمرور عليهم بالمديريات والمحافظات بعد تعيينهم والتفتيش على  
أعمالهم وارشادهم إلى ما يجعل أعمالهم صحيحة - إلى جانب هذه الأعمال كان  
عليه رئاسة المحكمة العليا، بالخرطوم . "وسواءً كان القاضى مصرياً  
أم سودانياً فقد كان يختاره قاضى عموم السودان ويعينه سعادة حاكم دار عموم  
السودان . أما قاضى عموم السودان ومفتى مجلس استئناف السودان وشيخ  
العلماء فقد كانوا يعينون بأمر خديو مصر" (٣) .

#### - وظيفة الافتاء :

ظهر منصب الافتاء كوظيفة رسمية في السودان في عهد محمد على كما سبقت  
الاشارة إلى ذلك حيث عين الشيخ القاضى أحمد السلاوى مفتياً للمالكية  
في السودان كما تم تعيين السيد أحمد البقل مفتياً للشافعية ولكنه رجع  
بعد فترة وجيزة إلى مصر لأنه لا يوجد في السودان إلا القليل جداً من  
الشافعية .

- (=) العلماء والطلاب في مصر في المسائل العلمية وفي سنة ١٢٨٩/١٨٧٣م عاد  
السيد أحمد إلى وطنه السودان وفي بلده الأبيض عقد حلقات العلم فقصده  
الطلاب في مختلف الجهات ثم عين قاضياً ولكنه توفي قبل استلام عمله .  
(١) محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الاحمر . مرجع سابق ص ١٤٠ .  
(٢) انظر د. شوقي عطا الله الجمل - سياسة مصر في البحر الاحمر في النصف  
الثاني من القرن التاسع عشر - الهيئة المصرية للكتاب . القاهرة ١٩٧٤ ص ١٠٢ .  
(٣) عبد الله حسين المحامى - السودان من التاريخ القديم الى رحلته  
البعثة المصرية . مرجع سابق ص ١٤٣ .

بعد ذلك عين السيد الشيخ محمد السليدي سنة ١٨٢٥م واستمر فى منصبه إلى أن توفى فى سنة ١٨٣٩م وخلفه الشيخ ابراهيم عبدالدافع .

ولما تم الغاء مجلس استئناف السودان جعل فى كل مديرية من المديريات مفتيا وكان اختصاص مفتى المديرية هو افتاء أهالى مديريته فى العيادات والمعاملات وغير ذلك من أمور الدين وكان مدير المديرية لايقوم بعمل يتعلق بالاسلام والمسلمين إلا إذا اتصل بالمفتى وتحصل على فتوى منه .

كما كان من اختصاصه أيضا النظر بطريقة الاستئناف فى الأحكام الصادرة من قضاة مديريته إذا لم يقبل بها المحكوم عليهم وتلك الأحكام هى التى كانت ترسل إلى مفتى المالكية بمصر قبل إنشاء وظيفة الإفتاء فى السودان، فلما تم إنشاء وظيفة مفتى المديرية جعل من اختصاصه نظر ماكان يحال الى مفتى المالكية بمصر (١) .

وتذكر بعض المراجع أسماء المفتين فى المديريات ومنهم الشيخ اسماعيل عبدالقادر المشهور باسماعيل المفتى ، مفتى مديرية كردفان وهو من خريجى الأزهر الشريف . ومنهم الاستاذ عبدالحى الطرابلسى فقد كان مفتيا لمديرية دنقلة والأستاذ زروق إدريس الحلقى الذى كان مفتيا لمديرية التاكة والأستاذ السيد أحمد الشنقيطى الذى كان مفتيا لمحافظة سواكن .. وهكذا فى بقية المديريات (٢) .

---

(١) انظر تطور نظام القضاء فى السودان ص ١٠٩ .

(٢)

### — استئناف الأحكام :

أوجد التنظيم القضائي الذي أحدثته مصر في السودان نظاماً استئناف الأحكام في حالة عدم قناعة المحكوم عليه بالحكم الصادر ضده وشمل نظام الاستئناف كل مراحل التنظيم القضائي ، ففي محاكم الأقسام أو الأقاليم متى ما صدر الحكم ضد شخص ورأى المحكوم عليه ضرورة الاستئناف ذهب إلى محكمة المديرية ، وهناك يخبر القاضي بطلبه للاستئناف فيحدد القاضي يوماً للنظر في الدعوى يحضر فيه الخصمان وتستمع المحكمة إلى أقوالهما وإلى الشهود فإذا رأى القاضي صحة الحكم ولم يقدم المستأنف دفعاً شرعياً قرر تأييد الحكم الصادر من قاضي القسم أو الأقليم . أما إذا رأى قاضي المديرية بطلان الحكم الصادر من قاضي القسم أو الأقليم سار في الدعوى إلى أن يفصل فيها بالمنهاج الشرعي .

وبعد انتهاء القضية من محكمة الاستئناف في المديرية فإن هذه المحكمة تخطر محكمة القسم بمضمون القرار الصادر عنها للعمل بموجبه (١) .

أما الأحكام التي تصدرها محاكم المديرية والمحافظات فإنها لا تقبل الطعن إلا إذا قدم الطاعن سواً كان المحكوم عليه أو المحكوم له نصوصاً شرعية تدل على عدم صحة الحكم ، وبيان ذلك ، رآنا أن يكون المستأنف عالماً بالنصوص الشرعية وإما أن يرجع إلى الراسخين في العلم فيكتب له أحد العلماء النصوص الشرعية ثم بعد ذلك يقدم المستأنف هذه النصوص إلى القاضي الذي أصدر الحكم فإذا اقتنع القاضي بنصوص المستأنف وحججه أعاد النظر

---

(١) انظر تطور نظام القضاء في السودان - مرجع سابق ص ١١٧ .

فى القضية ، أما إذا لم يقتنع القاضى فللمستأنف أن يرفع الأمر إلى مدير المديرية الذى يطلب من القاضى حيثيات حكمه وأوراق القضية ثم يوقف تنفيذ الحكم الذى أصدره القاضى ويرسل النصوص التى قدمها المستأنف مع أوراق القضية وحيثيات الحكم إلى مصر فإذا جاء الرد من هناك بعدم مطابقة الحكم للنصوص الشرعية نظرت القضية من جديد وأصدر فيها الحكم الشرعى الواجب التنفيذ.

#### - تنفيذ الأحكام :

يكون تنفيذ الأحكام من اختصاص القاضى الذى أصدر الحكم متى ما كان الحكم جزئياً كأحكام الجلد والحضنة والطاعة ، فإن القاضى يأمر بتنفيذ أمثال هذه الأحكام فى قاعة الجلسة فيأمر بجلد المجرم ويسلم المحضنون إلى حاضنه والزوجة إلى زوجها وهكذا ، أما بقية الأحكام فيباشر تنفيذها الحاكم الإدارى من غير حاجة للتصديق من جهة أخرى إذا كانت هذه الأحكام لاتشتمل على حكم بالاعدام .

أما أحكام الإعدام فلا يمكن تنفيذها إلا بعد التصديق عليها من قبل الحكومة المصرية بالقاهرة ، وبعد التصديق عليها فإن الحاكم الإدارى هو الذى يقوم بتنفيذ الحكم ، وفى اليوم المحدد يؤتى بالمحكوم عليه مع جماعة من المسجونين ، ثم يأتى الحاكم الإدارى والقاضى لمكان التنفيذ ثم تقرأ حيثيات الحكم جهراً على مرأى وسمع من الحاضرين وبعد الفراغ من قراءة حيثيات يسأل المحكوم عليه عما إذا كان يريد أن يوصى بشئ وهل له أو عليه بعض الديون وهل له رغبة فى تناول طعام أو شراب أو غير ذلك فان ذكر شيئاً معقولاً لا يعطل التنفيذ فإنه يجاب إلى طلبه ، ثم بعد ذلك ينطق المحكوم عليه بالشهادتين وينفذ الحكم عليه علناً (١).

(١) انظر تطور نظام القضاء فى السودان . مرجع سابق ص ١٢٣.



القانون السائد :

القانون السائد فى كل الولايات العثمانية هو القانون الهمايونى العثمانى والمعروف عن هذا القانون أنه كان يقوم على أساس الشريعة الإسلامية رغم أن القوانين الوضعية الأوربية قد عرفت طريقها إليه منذ عهد السلطان سليمان المعروف بالقانونى . إلا أن هذا القانون فى معظمه كان قانوناً إسلامياً .

أما فى مصر فيذكر أحد الباحثين أن مصر حتى عهد محمد على كانت تطبق الشريعة الإسلامية " ومن عهد محمد دعى بدأ القانون الفرنسى يدخل مصر ، لاسيما فيما يتعلق منه بالتجارة والقانون الجنائى وأخذ تأثير الشريعة الإسلامية ينكمش رويداً رويداً كلما دخلت مصر قاعدة من قواعد القانون الفرنسى وانتهى الأمر فى عهد اسماعيل بأن صدرت التقنينات المصرية الأولى آخذة الأغلبية من أحكامها عن القانون الفرنسى والقليل النادر منها عن الشريعة الإسلامية ، وهكذا أثر الشريعة فى القانون المصرى بالنسبة إلى منظمته التقنينات الصادرة وقتذاك بيد أن هذه التقنينات لم تتناول تنظيم مسائل الأحوال الشخصية " (١) .

أما فى السودان فقد استمرت المحاكم الشرعية خلال فترة محمد على تطبق أحكام الشريعة وفق القانون الهمايونى وفى عهد اسماعيل بقى القانون الهمايونى أساس المعاملات المدنية أما القانون العسكرى فهو السائد فى الأوساط العسكرية واختصت المخاكم الشرعية بالأحوال الشخصية (٢) . ويظهر

(١) الشيخ عبدالمجيد الشاذلى : حد الاسلام وحقيقة الايمان - مركز البحث العلمى جامعة ام القرى - الطبعة الاولى ١٩٨٣م مطابع الصفا بمكة المكرمة ص ٣٧٢ .

(٢) انظر د. مكى شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ٢٤٦ .

هذا الأمر من خلال الخطاب الذى أرسله الخديو إلى رؤوف باشا حاكم دار السودان وقد جاء فى هذا الخطاب مايلى : " وأما مايتعلق بالأمور القضائية سواء كانت شرعية أو نظامية تجرونها على قواعده المتبعة والحالة هذه انما يختص بهذا القسم من المخابرات أو ماترونه لزوم اجرائه من الاصلاحات يجب أولاً المخابرة عنه مع نظارة الحقانية ثم إن الرخصة التى كانت ممنوحة لأسلافكم بتنفيذ مايصدر من الأحكام شرعية كانت أو سياسية فى المواد القضائية الحقوقية والجنائية قد أبقيناها بعهدتكم أيضا ماعدا أحكام القصاص الواجب استحصال أو امرنا عنها (١) " .

يقول الخديو فى موضع آخر من نفس الخطاب مايلى : " فهذه الأفكار هى التى تكون أسس أعمالكم فى ترتيب وتنظيم عسكرية السودان مع مراعاة اجراء القانون العسكرى وكافة مايتعلق بهذا القسم من المخابرات والاستئذانات هو خاص بنظارة الجهادية . هذا مع بقاء حيازتكم الرخصة الممنوعة لأسلافكم بتنفيذ أحكام القانون العسكرى فى الجنايات وسائر الأحوال حسب ما تصدر به مضابط المجالس العسكرية فأن حكم العزل أو تنزيل رتبة أو ترقى الضابط جميع ذلك لابد من العرض عنه لطرفنا بواسطة نظارة الداخلية (٢) " .

هذا الخلط فى القوانين جعل أحد الباحثين القانونيين يقول " ولم يحدث أن وضع طوال فترة الحكم المصرى قانون خاص بالسودان وكل الذى نجده هو اشارات إلى منشورات ولوائح وأوامر صدرت لتنظيم أعمال المجالس أسوة بماكان يحدث فى مصر . ويبدو أن الادارة الجديدة وجدت نفسها مضطرة لاستمرار تطبيق الشريعة الاسلامية على السودانين نسبة لأنهم كانوا يعتبرون القوانين الوضعية التى كان يطبقها المصريون بدعاً لاتتمشى مع الشريعة وليسوا على

(١) نعوم شقير : تاريخ السودان - مرجع سابق ص ٣٠٨

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٩

استعداد لاحترامها والانصياع لها . وهذا مما اضطر هذه الادارة أن تطبق ثلاثة أنواع من القوانين والقانون المدنى المصرى على موظفى الدولة والقانون العسكرى على الجيش والمناطق التى توضع تحت القوانين العسكرية والشرعية على مسلمى السودان من المدنيين . بالاضافة الى كل ذلك كان رعايا الدول الاجنبية لا يخضعون لاي من هذه القوانين إذ كانت قضاياهم تحال الى قناصلهم وممثلى دولهم " (١) .

ويضيف هذا الباحث فى موضع آخر من كتابه : " ... وقد طبقت قواعد الشريعة المتعلقة بالقسامة فى الحالات التى لم يعرف فيها القاتل . هذا فيما يختص بجرائم القتل أما الجرائم الأخرى المتعلقة بالانسان من أذى جسيم وبسيط وسب وخلافها فقد كانت تحاكم سياسة حسب نصوص القانون الهمايونى واللوائح والأوامر الصادرة بموجبه ، أما الجرائم المتعلقة بالأموال من سرقة وخيانة أمانة وأمتلاك جنائى وتعدى على ممتلكات الدولة أو الغير فقد كانت تحاكم سياسة وكانت عقوبتها رادعة صارمة . وبعبارة أخرى أن جرائم قطع الطريق والسلب والنهب كان مرتكبوها يملبون أو يرفعون على الخوازيق (٢) وفى بعض الأحيان يرسلون الى الليمان لفترات طويلة أما خيانة الأمانة والاستيلاء على أموال الدولة فقد كانت من أكثر الجرائم المتفشية وسط موظفى الدولة وعمالها وقد كانت عقوبتها هى الأخرى صارمة للغاية تشمل ارجاع المسروقات والحبس مع الخدمات الدنيئة

(١) زكى مصطفى عبد المجيد : القانون المدنى السودانى . مرجع سابق ص ١٤٠  
(٢) الخوازيق جمع خازوق وهو من اللغة التركية ( خازيق ) ويعنى الوتد وهو عمود مدبب كانوا يجلسون عليه من يحكم عليه بالاعدام ليموت موتاً بطيئاً ألينما بنزيف الدم . انظر تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل . مرجع سابق ص ٨١ .

والتقييد بالحديد والارسال الى الجهادية (١) " .

" أما القضايا الأخرى التى كانت تشمل شرب الخمر ولعب الميسر فقد كان يقام الحد الشرعى على مرتكبيها بينما نجد أنه فى حالات أخرى كتزوير الأحكام يعاقب الجانى سياسة " (٢) .

وفى ختام هذا الفصل<sup>٣</sup> أستطيع تسجيل الملاحظات الآتية :

- (١) حدث تطور هائل لنظام القضاء فى السودان خلال عهد اسماعيل —————  
مقارنة بالذين سبقوه — ولو على المستوى النظرى — وأصبحت القضايا تسجل وتوثق .
  - (٢) نظام الاستئناف المعمول به يدل على الحرص على تحقيق العدل على الرغم من تأخيره للقضايا والنزاعات .
  - (٣) تعيين الحكام الأوربيين كان من الأسباب الأساسية فى اقضاء قوانين الشريعة واستبدالها بالقوانين الوضعية .
  - (٤) محاولة إلغاء قوانين الشريعة سببت سخطاً شديداً فى أوساط الشعب السودانى المسلم وجعلت قطاعاً كبيراً من هذا الشعب يلتف حول الدعوة المهدية لمناداتها بتطبيق الشريعة فى كافة أوجه الحياة .
- هذا ويعد انتصار الثورة المهدية انهاءً لهذا النظام القضائى كيقية الأنظمة وقام بدلاً عنه نظام قضائى آخر .

...

---

(١) زكى مصطفى عبد المجيد : القانون المدنى السودانى — مرجع سابق ص ١٧٠

(٢) المرجع السابق ص ١٨٠

# الباب الرابع

يسرى

## النظام الاقصادى والمالى

ويحتوى على :-

- ١- النظام الاقصادى والمالى فى الفترة من ١٨٢٠-١٨٤٨ م
- ٢- النظام الاقصادى والمالى فى الفترة من ١٨٤٩-١٨٨٥ م

# الفصل الأول

النظام الاقتصادي والمالي في السودان  
في الفترة من ١٨٢٠ - ١٨٤٨ م

- تمهيد :

- الوضع الاقتصادي في السودان قبل عصر محمد علي :

سأتحدث في بداية هذا الفصل عن النظم الاقتصادية والمالية التي كانت سائدة في أنحاء الممالك السودانية قبل ضمها للإدارة المصرية وذلك حتى يتسنى لنا معرفة التطور الذي يمكن أن يكون قد طرأ على السودان في هذه المجالات في ظل هذه الإدارة من خلال المقارنة مع النظم السابقة .

- النظم الاقتصادية والمالية في مملكة سنار :

ذكرت عند الحديث عن النظام الإداري لهذه السلطنة أن النظام الإداري فيها كان نظاماً بسيطاً يدور حول القبيلة وشيخها وكان المجتمع نفسه مجتمع بدوي أو قروي كما أن الاقتصاد كذلك كان اقتصاداً بسيطاً قوامه الرعي والزراعة والتجارة .

فالقرية وهي المعروفة محلياً " بالحلة " قد تتكون من أسرة واحدة أو مجموعة من قبيلة أو بطون قبائل متآلفة مع من دخل في كنفها من السكان المحليين . ويتولى شئون القرية زعيم يعرف بالشيخ يعاونه مجلس من كبار رجال القرية يسمى " الأجاويد " كما يساعده جماعة من أتباعه يعهد إليهم بوظائف الكتابة وتحصيل العشور والمحافظة على الأمن ويتأشرون هؤلاء في عددهم ووظائفهم بمركز القرية الاقتصادية والمالية ، الأمر الذي يختلف بين منطقة وأخرى .

والقرية تتكون من مجموعة قليلة من المساكن تقع على أطراف الأراضي الزراعية التي يقوم الشيخ بتوزيعها على أفراد القرية وفق النطاق الذي يراه من ناحية قدرتهم على العمل في الأرض . ولا يختلف الحال كثيراً

من ناحية الأسر التي تقوم عليها القرية عن حال المدينة الصغيرة أو الكبيرة فالمدينة تسيطر على مجموعة من القرى ويتولى شئونها مانجل<sup>(١)</sup> أو ملك. أما المدينة الكبرى وتكون عادة واقعة على ملتقى القوافل وتسيطر على عدد من المدن الصغيرة وما يتبعها من قرى ويتولى شئون هذه الوحدة الكبرى زعيم الدار ويحمل لقب مانجل وينادى بالأرباب .

وولاية السلطة للشيخ والملك والمانجل وراثية يتبادلها الزعيم وأقاربه أو من ينتمون إليه (٢) .

وتقام في المدن الكبرى والصغرى الأسواق الأسبوعية التي يختار لها يوم معين لكل منطقة يناسب مع المصلحة العامة للسكان حتى يتمكنوا من الانتقال من سوق إلى سوق . وفي هذه الأسواق يتبادل الأهالي مختلف منتجاتهم المحلية وكان التبادل غالباً عن طريق المقايضة في القرى والمدن الصغرى أما في المدن الكبرى فكانت تستخدم بعض العملات الأسبانية وغيرها (٣) .

" ويتحصل المانجل أو الملك على نصيبه من الدخوليات ، ومن المكوس على القوافل التي تختلف قيمتها بين منطقة وأخرى ، ويدفع الزعيم المحلي جزءاً من حصيلته ، العينية والنقدية إلى خزينة السلطات السّارية ، وكانت هناك ثلاث مراكز جمركية هامة في السودان الأول في دنقله والثاني في قرى والثالث في تشلجة (٤) " .

- 
- (١) سبق شرحها .  
 (٢) انظر الشاطر بصيلي عبدالجليل - معالم تاريخ السودان وادي النيل - مرجع سابق ص ١١٠ .  
 (٣) انظر المرجع السابق ص ١١١ .  
 (٤) الشاطر بصيلي عبدالجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والوسط من القرن السابع حتى القرن التاسع عشر . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢ م ، ص ٢٧٢ .



أما سنّار العاصمة فيصفها الرحالة كرمب الذى زارها سنة ١٧٠١م بأنّها " مركز تجارى هام وتتردد القوافل التجارية بينها وبين القاهرة ودنقلة ، وبلاد النوبة والهند وأثيوبيا ودارفور وبرنو وفزافا وغيرها من الأقطار وهى تأتى فى المرتبة الثانية بعد القاهرة من حيث ازدهار السكان ويقطنها جميع الأجناس بحرية واطمئنان وسوقها منظم وكل سلعة لها أماكن خاصة تعرض فيها (١) " .

وكان من قبله الرحالة الفرنسى بونسيه قد ذكر أن البضائع التى ترد الى سنّار من الخارج هى البهارات والورق والنحاس الأصفر والحديد وأسلاك النحاس والأدوات الحديدية والعطور والكحل وغيرها من أدوات الزينة وتجار سنّار حسب ما يروى الرحالة بونسيه يتعاملون مع ميناء سواكن حيث يأتون بالسلع من مقاصد فى تلك المدينة ويتاجرون مع مخافى اليمن ومع سبورات فى الهند وهناك ينقلون إليها الذهب والزيار وسن الفيل ويرجعون بالبهارات والبضائع الهندية الأخرى ويمضون فى هذه الرحلة نحو سنتين من الزمان (٢) .

ومن داخل السودان كان يرد الى سنّار التمر من دنقلة ومن كردفان التبر والحديد ومن فازوغلى والصعيد يأتونها الذهب والعسل والجلود والنعال والسياط والسّمسم . وكانوا يتعاملون بقطع من الدمور (٣) . كما يتعاملون بقطع من النقود أشهرها ريات مارياتيريزا النمساوية (٤) .

(١) د . مكى شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ٨٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه صفحة ٧٧ .

(٣) الدمور نوع من القماش .

(٤) انظر ألن مورهد : النيل الأزرق - مرجع سابق ص ٢٦٦ .

اما فى مجال الصناعة والحرف فيوجد الصاغة الذين اشتهر عملهم فى مصر بالسنارى وكذلك الحاكة لحياكة الدمور وغيره من المنسوجات القطنية . هذا وقد كان ملوك سنار يجمعون الزكاة والفطرة والعشور على نحو ما يفرضه الشرع الاسلامى . كما أنهم كانوا يقومون بتوزيع الاراضى على الراغبين فى فلاحتها أو رعيها وكثير من أهالى السودان اليوم يملكون اراضيهم بحجج منذ أيام ملوك سنار (١) .

#### التعامل الاقتصادى فى دارفور :

اقتصاد دارفور كان بسيطاً مثل اقتصاد سنار يقوم على الزراعة والتجارة والرعى . أهم زراعة كانت موجودة فى دارفور هى زراعة الدخن الذى كان يزرع بالأمطار (٢) .

هذا وكان سلاطين دارفور يعملون بالنظام المشهور فى الشرق فيما يتعلق بملكية الاراضى حيث جعلوا البلاد كلها ملكا للسلطان وقسموا بلاد الحضر إلى اقطاعات وجواكير وزعوها على اهلهم أو اصفيائهم أو كبار قومهم بحجج مختومة فعاشوا بريعها هم وأهلها المزارعون . وكذلك قسمت قبائل البادية فخصمت كل قبيلة بأمر من الأمراء أو بعين من الأعيان يجبى إليه خراجها . ويجمع السلطان من الناس الزكاة والفطرة والعشور حسبما تأمر به الشريعة الاسلامية وكان العمال يجمعون الزكاة من البادية وربما تنازل السلطان عن نصيبه فى القبيلة أو " الحاكورة " فيعطى صاحبها " حجة بالجاه " فلا يقربه أحد من الجباة " (٣)

(١) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ، مرجع سابق ص ١٢٧ .

(٢) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان - مرجع سابق ص ١٨٨ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٧٨ .

أما دخل السلطان فى دارفور الذى كان ينفق منه على بيته وأهله وجنوده فهن العشور والفطرة التى تجمع من الحضر والزكاة التى تجمع من أهل البادية وعشور البضائع التى تجمع من التجار والضرائب على التجار والحدادين والنفوس ومن الهدايا التى كانت تأتية من الحكام وأصحاب المقاطعات والتجار ولم يكن يدخل عليه أحد من رعيته من موظفين وأعيان وتجار إلا بهدية نفيسة تعرف " بالسلام " من الرقيق والأبل والخيول والبقر والغنم والذهب والفضة والعسل والسمن وسن الفيل " (١) .

" وكانت سلطنة الفور مستقلة عن دول الأرض كلها لاتدفع جزية لأحد ماعدا الحرمين الشريفين فأنها كانت تخدمهما بمحمل وصرة كل سنة فكان موكب المحمل يأتى إلى مصر ومعه الريش والسن والكمغ وغيرها من خيبرات البلاد فيبيعها ويتم بثمنها نقود الصرة ثم يستطرد الحج إلى الحرمين مع الركب المصرى (٢) " .

أما عن التجارة فى دارفور فقد كانت تربطها علاقات تجارية مع كردفان وبحر الغزال وداى ومصر وكان يرد منها إلى مصر من ١٠-١٥ ألف جمل فى العام تحمل الرقيق والسن والريش والصمغ والتمر الهندى والنحاس والعطرون والجلود والأقداح الخشبية والأطباق والعسل فتعود إلى دارفور ومعها الأنسجة القطنية والحريرية والديبلان والجوخ والملايات الحجازية والبنادق والسيوف والسروج وأنواع الحلى الذهبية والفضة والمرجان والسوميت وغيره من أنواع الخز" (٣) .

(١) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان ص ١٨٠

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ص ١٨٣

(٣) انظر المرجع السابق نفسه ص ١٨٨-١٨٩

هذا وقد ذكر محمد بن عمر التونسي وسائل التعامل التي كانت سائدة في دارفور فذكر أن " مملكة دارفور ليس فيها شيء من المعادن إلا ما جلب من الأقطار ، حتى أن أعظم حلى نسائهم من الحجارة ، وتغير الحال بدخول التجار في دارفور وتمصرت متاجرهم وعملوا حينذاك سكة يتعاملون بها في البيع والشراء ، فانقسمت بذلك مجموعات السكان أقساماً ، وأعمـل كل قسم من المعاملة ما يتناسب مع حاله وأول هذه الأقسام العاشر وهي مقر السلطنة ، فقد جعلوا من القصدير خواتم يشتررون بها ما يحتاجونه من مأكـل وغيره وهذه الخواتم تنقسم إلى قسمين رفيعة وغلظة ، ويتعاملون بالخواتم الرفيعة في الأمور البسيطة ويتعاملون في الأمور الكبيرة بالتكاكي جمع تكية (بضم التاء وكسر الكاف المشدد وفتح الباء ) وهذه التكية عبارة عن شقة من غزل القطن طولها عشرة أذرع وعرضها ذراع وهي على نوعين : شبيكة ( بكسر الشين وفتح الكاف ) وهي نسيج خفيف غير مندمج والثانية كتكات ( بفتح الكافين وسكون التاء ) ونسيجها ثقيل مندمج وتعادل كل قطعة من التكاكي بريال فرنسي ومن الكتكات كل قطعتين ونصف بريال فرنسي .

وما عدا ذلك فبيعهم كله بالمقايضة شيء بشيء . وتباع الحاجيات الكبيرة بالرقيق " (١) .

والملاحظ أن هذا الريال الفرنسي هو المعروف باسم أبو مدفع . وهو أيضاً معروف بهذا الاسم في حوض النيل الأوسط . كما أنهم يستعملون في حوض النيل الأبيض قطع القماش في المعاملات بنفس الصورة المستعملة في دارفور . (٢)

(١) محمد بن عمر التونسي : تشييد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان . مرجع سابق ص ٢٩٧ .

(٢) انظر الشاطر بصيلي عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط . مرجع سابق ص ٣٨٧ .

ويذكر التونسي أن أهل كيكية يتعاملون بالحرش ( حاء مفتوحة وراء مكسورة ) وهو خرز ليس بالغليظ ولا بالرفيع ومنه أخضر وأزرق يعمد سبحا في كل سبعة مائة حبة ويستعمل لزينة النساء كما يستعمل في البيع والشراء للحاجيات الصغيرة . وقيمة التكية ثمان سبح وتسير المعاملات في بقية الأحوال كما هي عليه في الفاشر . (١)

ويتعامل في منطقة قوطة وما والاها بالفلقة ( سكون اللام وضم القاف ) وهو ملح يستخرج من تراب الأرض يصب عليه الماء لترسيب الأوساخ والتراب ويصفى ويقطر ماؤه ويتلقون المقطر منه في قوالب كالأصابع ليجمع بعد برودته . ويذكر التونسي أن لهذا لملح لذة عجيبة في طعمه تخالف تلك التي في الملح الطبيعي إلا أنه غير شفاف وفيه سمرة . وفي دارفور ثلاثة أنواع من الملح : الزغاوى وهو ملح طبيعي يستخرج من بئر الزغاوى وميدوى وهو ملح طبيعي ولونه أحمر وتستخرج منه قطع كبيرة وهو غال في ثمنه والثالث هو الفلقة السابق (٢) .

وفي منطقة كسا يتعاملون بالدخان الذي يعرف باسم التابا (٣) ويصنع منه أحجام على شكل أقماع هرمية مصنوعة من ورق الدخان الأخضر يعد دقة في مهراس من خشب حتى يصير كالعجين ويجفف في الشمس وهو شديد الرائحة ويتعامل به في صفائر الحاجيات ومن هذه الأقماع ما هو صغير وكبير ويتعاملون أيضا بربطات غزل القطن طول الواحدة عشرة أذرع وفيها عشرون فتلة وتستخدم

(١) انظر تشحيد الازهان . مرجع سابق ص ٢٩٨ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٩٩ .

(٣) لعله تصحيف لفظي لكلمة التبغ .

فى المعاملات الصغيرة كما يتعاملون أيضاً بلوزات القطن بعد جنيه (١) .

ويتعاملون فى سوق رأس الفيل بالحشاشات وهى قطع حديد يستخدم فى حرث الأرض . ويتعاملون فى الأمور البسيطة من حشاشة إلى عشرين ومأزاد ، فى التكاكى أما فى تمور كـ فمعاملتهم بدمالج النحاس وتستخدم فى الأمور الهامة وبالحذور ( بفتح الحاء وتشديد الذال وفتحها ) وهـ تستعمل فى المسائل الصغيرة ويتعاملون كذلك بالذرة والدخن كما يتعاملون بالبقر فيشتري الفرس مثلاً بعشرة أو عشرين بقرة (٢) .

وهكذا تختلف أساليب المعاملات فى سلطنة الغور من منطقة إلى أخرى . سبقت الإشارة فى النظام الإدارى إلى أن هذه السلطنات قد ضعفت فى أواخر أيامها وانفرط فيها حبل النظام وتهدد الأمن فانعكس ذلك كله على النشاط الاقتصادى حيث لم يكن هناك سلطة عامة موحدة تستطيع أن ترسم سياسة اقتصادية موحدة أو مشتركة تشرف على أوجه النشاط الاقتصادى فى أقاليم السودان المختلفة وتوجه هذا النشاط وفق حاجات البلاد ومقتضيات الظروف والأحوال (٣) .

وخلاصة القول أنه لم يوجد بالسودان قبل امتداد الإدارة المصرية إليه دول أو حكومات بمعنى الكلمة تشرف أو تنظم نواحي النشاط الاقتصادى المختلفة فى البلاد إذ فيما عدا الضرائب والرسوم التى كان السلاطين والملوك يجمعونها من التجار والمزارعين والبدو والحرص على تنظيم قوافل التجارة التى كان لهم فيها النصيب الأوفر ، فقد ترك كل شئ كيف نفسه

(١) انظر التونسى : تشييد الأذهان . مرجع سابق ص ٣٠١ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٠٢ .

(٣) انظر د . نسيم مقار : الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى - مرجع

سابق ث ٢٧ .

وفق ظروفه الطبيعية الخاصة ، حتى أن الباحث في أحوال السودان الاقتصادية في ذلك الوقت يجد نفسه أمام أوجه للنشاط البشرى التلقائى الذى فرضته ظروف البيئة على الانسان ونتيجة لتفاعلها معه أكثر من أن يكون نشاطاً موجهاً من قبل الحكومات السودانية القائمة وقتذاك .

فالتجارة على سبيل المثال وقد كانت تمثل أهم مظهر للنشاط الاقتصادى، فى الأقاليم السودانية قبل امتداد الادارة المصرية إليها فى سنة ١٨٢٠م أسهم فيها مختلف الجماعات من بدو وسكان مدني وقرى وحكام ، هذا المرفق الحيوى الهام فى اقتصاد البلاد كان يتهدده خطر داهم يتمثل فى غارات السلب والنهب التى اعتادت بعض القبائل البدوية شنّها على القوافل عند مرورها عبر الصحراء حيث يقطن أكثر هذه القبائل وبخاصة على الطرق الصحراوية التى كانت تربط شمال الوادى بجنوبه (١) .

هذا ما كان عليه أمر النظم الاقتصادية فى الممالك السودانية قبل أن يقوم محمد على باشا بحملته التى نتج عنها ضم هذه الممالك إلى الادارة المصرية وستناول فى الصفحات التالية النظم الاقتصادية والمالية التى أوجدها محمد على فى السودان بعد أن أصبح جزءاً من دولته .

#### - النظام الاقتصادى والمالى فى السودان فى عصر محمد على :

بعد أن تم لمحمد على ضم السودان إلى أملاكه على يد ابنه اسماعيل كامل باشا وصهره محمد بك الدفتردار - أنشأ فيه نظاماً ادارياً أشبه بالنظام الإدارى الذى كان قد أنشأه فى مصر - كما سبقت الإشارة عند الحديث عن النظام الإدارى - وبالتالى كانت سياسة محمد على الاقتصادية والمالية

تبعاً لهذا النظام الإداري وأشبه سياسته في هذا المجال في مصر .  
وقد سبق أن أشرت إلى الأهداف التي دفعت محمد علي لفتح السودان  
فكان منها أهدافاً اقتصادية تتمثل في استخراج الذهب وتأمين طرق التجارة<sup>(١)</sup> .

ترك محمد علي لابنه اسماعيل تقدير ما يراه مناسباً من الضرائب عند  
فتحه للسودان وذلك لأن السودان كان مجهولاً بالنسبة لمحمد علي . وبعد  
أن تم الفتح أرسل محمد علي ابنه ابراهيم باشا ليعاون أخاه الأمفـــــر  
في إدارة البلاد وتنظيم اقتصادها وذلك لما له من خبرة في الشـــــام  
والحجاز .

اهتم ابراهيم واسماعيل بأمر الضرائب وتقديرها على الناس وكان من  
رأى ابراهيم باشا أن يجري احصاءاً تقريبياً لعدد من القرى في الإقليم  
السودانية من أفواه الذين يوثق بكلامهم وبعد عمل هذا الاحصاء التقريبي  
كانت النتيجة أن قرى سنار والحلفاية تبلغ ثلاثة آلاف قرية وفازو على ألف  
قرية وكردفان ألف وخمسمائة قرية ولم تزد . في الوثائق احصائية عن قرى  
مناطق بربر وشمال السودان . ورأى ابراهيم أن يعين قائمقام مع عشرة  
من الفرسان وعشرة من الجنود المغاربة على كل من ١٣-١٧ قرية لجمع  
خراجها وقد انه يمكن الحصول على ألف أو ألفين من الريالات في كل قرية<sup>(٢)</sup>

ولكن في تقديرى إن عدم معرفة ابراهيم باشا بواقع البلاد وباقتصاد  
أهلها هو الذى جعله يتصور امكانية الحصول على هذه المبالغ الكبيرة

(١) انظر الشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل . مرجع  
سابق ص ١٥٧-١٥٨ ود . سليمان محمد الغنام : قراءة جديدة لسياسة  
محمد علي باشا التوسعية ١٨١١-١٨٤٠م في الجزيرة العربية والسودان  
واليونان وسوريا . تهامة . الطبعة الاولى ١٩٨٠م ص ٤٨ .

(٢) انظر مكى شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١١٥ .



فنظام الضرائب الذى أقامه محمد على فى السودان والذى هو من المقومات الرئيسية لسياسته المالية فى هذه البلاد لا يختلف - كما ذكرت - فى جوهره عن النظام الضريبى الذى طبقه فى مصر من حيث أنه يقوم أساساً على أن تدفع الضريبة نقدًا . وربما كان دفع الضريبة بالنقد أمراً مألوفاً عند المصريين بحكم تقدم مجتمعهم وتمدنه بيد أنه أمر لم يعتده السودانىون إذ كانت غالبية التعامل بينهم تجرى بطريقة المقايضة أو المبادلة بالسلع والمنتجات المختلفة . وليس من شك فى أن حكومة محمد على قد أخطأت التقدير حين أفترست وفرة النقد فى السودان وفاتها أن الحال فى السودان غيره فى مصر (١) .

ترك اسماعيل باشا بعد عودة أخيه إلى مصر - أمر تقدير الضرائب إلى وكيله سعيد أفندى والمعلم حنا الطويل فنقما بتسجيل القرى ووضعاعليها ضرائب باهظة لم يألها الناس من قبل فقد رأيا أن يدفع صاحب الحمار خمسة ريالات فى العام وكذلك صاحب الشاة فى وقت ماكانت الشاة ولا الحمار يساوى ثمنها هذا المبلغ وبالطبع " ماكان لوكيل مثل محمد سعيد أفندى يريد أن يرتفع فى عين رئيسه أو لمباشر كحنا الطويل يريد ان تتضخم الجزية التى يحرسها أن يفعلا غير ذلك وربما كانا يقيسان الحالة بمصر وهما يجهلان مبادئ الاقتصاد ويجهلان أن السلع تختلف قيمتها باختلاف البلاد . وهذه المقارنة قادتتهما إلى ارتكاب ذلك الخطأ الفادح فأهل السودان آنذاك اغلبيتهم تتعامل بالذرة والدمور كنقد والريالات المتداولة

---

(١) انظر د. نسيم مقار : الاسس التاريخية للتكامل . مرجع سابق ،

بين الناس قليلة . والسودانى الذى يريد ان يقوم بتأدية هذه الضريبة الباهظة قد يعوزه السوق الذى يبيع فيه ماشيته " (١) .

وقد أدت هذه الاجراءات المستحدثة إلى فرار قطاع كبير من السكان الذين لجأوا إلى تخوم بلاد الحبشة كما فكر بعضهم فى الثورة على النظام الجديد . وكان المعلم حنا الطويل قد ارسل الدفاتر التى قدرت فيها الضرائب إلى مصر لاعتمادها . فلما رأى اسماعيل باشا الأثر الذى أحدثته هذه الاجراءات فكر فى تعديلها وبعث بهجان ليلحق بالدفاتر التى ارسلت إلى مصر ويرجعها ولكنه لم يدركها فحذف اسماعيل جزءاً كبيراً منها بأن أنزل الخمسة ريالات إلى ريالين وأمر الجباة باستعمل الرفق واللين فى تحصيلها " (٢) .

ولكن اسماعيل باشا لم يستعمل هذا الرفق واللين مع نمر ملك الجعليين حين طالبه بمبلغ ضخم احتج عليه الملك فمر مما جعل الباشا يشغى إليه الأمر الذى تسبب فى مقتل اسماعيل .

ذكرت فى فصل النظام الإدارى ان الشؤون المالية والضرائب قد اختص بها المباشر أو الباشكاتب وهو الذى يتولى تقدير الضرائب وتوزيعها على أقسام المديرية المختلفة ويقوم بعمل حسابات المديرية لتقديم للخرانة العامة فى القاهرة فى الوقت المعين ويكون ذلك بجمع حسابات الأقسام التى تضمها المديرية وعمل حساب اجمالى فى دفتر خاص يصدق عليه مدير المديرية والحكمدار ويشفع بالمستندات المالية اللازمة (٣) .

(١) د. مكى شبكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١١٨ .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ص ١١٩ .

(٣) انظر د. نعيم مقار : الأسس التاريخية للتكامل ص ٤٨ .

" ويعاون الباشكاتب فى الشئون المالية والضرائبى الصراف ويتولى رؤية الحسابات النقدية فى المديرية • وفى المناطق التى يكثُر فيها التعامل بالاقمشة التى تصنع محلياً ويقدمها الأهالى من حساب الضريبة المقررة عليهم كما هو الحال فى مديرية دنقلة كان يعين فيها صراف لرؤية أمور الجوالات والقماش • كذلك فى المناطق التى يكثُر فيها التعامل بالذهب والفضة وتكون أكثر المعاملات التى ترد لخزانة المديرية أو تصرف منها من هذين المعدنين كما فى مديرية سنار وفيزوغلى (١) وكان يعين فيها صراف مختص باختبار الذهب والفضة وضبط عيارهما ويعرف بالمعيارجى" (٢) •

هذا ويدخل ضمن اختصاصات الحكمدار القيام بجولات تفتيشية فى المديريات والمراكز وبخاصة عند وقوع حوادث رشوة أو اختلاسات مالية • وفى تلك الحالة تتولى لجان فنية تكون عادة مرافقة للحكمدار وتضم عدداً من المفتشين الماليين والكتبة مهمة فحص أوراق وحسابات الجهة التى تقع فيها مثل هذه الحوادث • وهو ما يعرف بنظام التفتيش المالى (٣) وقد تطرقت لذكره عند حديثى عن النظام الإدارى فى عصر محمد على •

أدرك محمد على بعد فترة خطأ سياسته الاقتصادية فى السودان والتى كانت غايتها أول الأمر الاستغلال السريع غير المنظم الذى يصل أحياناً إلى درجة الاستنزاف وتمثل ذلك فى حرصه على إرسال العبيد إلى مصر وحرصه الشديد على جمع السلع والمنتجات السودانية ذات القيمة التجارية مثل الصمغ وسن الفيل وريش النعام وحش الحكام والموظفين على بذل الجهد والسعى للحصول عليها بكافة الطرق والوسائل • هذا إلى جانب إهتمامه البالغ بأمر النقيب عن معدن الذهب فى بعض مناطق السودان • ولكن سرعان ما اتضح

(١) هكذا والمصحيح فازوغلى •

(٢) د • نسيم مقار : الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى ص ٥٠ •

(٣) انظر المرجع السابق ص ٤٥ •

لمحمد على فشل خطة السعى إلى الاستغلال السريع غير المنظم وأدرك أن الحصول على المنافع الحقيقية والشاملة لا تكون بهذه الطريقة ، إذ أن السودان غنى بموارده الطبيعية المتنوعة (١) .

ويشير الدكتور شوقي الجمل إلى أن امتداد الإدارة المصرية للسودان ترتب عليه زيادة في حجم التجارة الخارجية بالإضافة إلى تنظيم التجارة الداخلية حيث بدأت تنتشر العملة المصرية الفضية والجنه المصري خاصة في مدن السودان الكبرى (٢) .

كذلك تشير المراجع إلى أن محمد على قداهتم بالبلاد السودانية اهتماماً كبيراً بعد أن وصلتته أنباء الدمار الاقتصادي الذي أصاب هذه البلاد نتيجة لسياسة ولاته ، فأرسل خورشيد باشا حكمداراً على السودان وأمر أن يرسل معه ماينوف على المائة من الفلاحين والخولية وزعوا على الأخطاط المختلفة يعلمون الأهالي بالطريق العلمي أحدث وأنفع طرق الزراعة . كما وضـح لخورشيد باشا أن الانتاج الزراعى يجب أن يبنى على الرى المستديم لعلـى مياه الأمطار ، فطلب عمالاً من مصر يجيدون صناعة السواقي المصرية لتروى بها أراضى بلاد الجعليين كما طلب عمالاً آخرين لحفر الترع حيث تستغل مياه الفيضان . وفى الجزيرة أغرى خورشيد السكان الذين يقطنون بعيـداً عن النيل بأن يبنوا بيوتهم عليه وينشئوا السواقي هناك .

وقد استحضرت أغراس الأشجار المثمرة من مصر لتزرع فى السودان وشجعت بعض المزروعات كالتيلة وقصب السكر وتحسين نسل الضأن الموجود بالسودان ، جلبت أكباش ممتازة من مصر لتحقيق هذا الغرض (٣) .

(١) د . نسيم مقار : الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى ص ٥٦-٥٧ .

(٢) انظر د . شوقي الجمل : تاريخ السودان وادى النيل مرجع سابق ج ٢ ص ٣٥ .

(٣) انظر د . مكى شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٢٨ .

ودعا خورشيد باشا لاجتماع موسع يضم معظم الاداريين بالبلاد وذلك لمناقشة الوضع الاقتصادي والمالى وقد تم هذا الاجتماع فى يوم السبت الثامن من محرم سنة ١٢٤٢ هـ الموافق ١٢ اغسطس سنة ١٨٢٦م وقد حضر هـذا الاجتماع صاحب الدولة الدفردار وحسن اُغا ناظر المواشى وحسين بك ورستم اُفندى ناظر القماش ومحمد اُفندى ناظر القسم الثانى للمعامل (الفاوريقات) وراتب اُفندى وكيل ناظر الكيلارية (١) وامين افندى وكيل الاهناف وامين اُفندى ناظر المبانى الاميرية وعبدالرازق اُغا مأمور التقارير والمعلم حنا الطويل وآخرين . وقد كتب بهذا الاجتماع محضر وارسل الى القاهرة وهو محفوظ بدار المحفوظات المصرية (٢) .

فى بداية هذا الاجتماع قال خورشيد باشا مخاطبا الحضور: ونحن نحبذل مائى وسعنا ومقدورنا فى عمران هذا الاقليم ولكننا نرى هذا الاقليم فى غاية من الخراب والتشتت والوقت لايسمح لنا أن نتجول فى أنحاء البلاد كي نطلع على الدرك الذى انحطت اليه من الخراب إطلاعا مصيبا لحلـول الأمطار فكل واحد منكم قد قضى فى هذه الديار سنة أو سنتين أو ثلاث سنين فانبئوننا بما عندكم من العلم بما يختص بعمرانها أو خرابها كما وكيفاً" (٣)

كانت أول مشكلة تعرض لها هذا الاجتماع هى مشكلة المواطنين الفاريين من الضرائب وكيفية طماننتهم وتحصيل الضرائب السابقة منهم حيث قال أحد الحاضرين: "واما مسألة عمران الجزيرة وتحصيل الأموال الاميرية فلم يقبـض

- 
- (١) كلمة كيلار كلمة تركية من أصل يونانى وهى غرفة تخزين فيها حوائج البيت من المواد الغذائية والكيلارية تعنى المخازن . انظر تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى فى الدخيل . مرجع سابق ص ١٨٠ .
- (٢) عاباين : المعية - محفظة ١٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٢ .
- (٣) د . محمد فؤاد شكرى - الحكم المصرى فى السودان . مرجع سابق ص ٣٢٠ .

شئ من مال سنة احدى وأربعين ( ١٢٤١هـ ) حتى الآن ولن يمكن تحصيل شئ منه بعد ذلك مادامت البلاد خربة ، وأما مال سنة اثنين وأربعين ( ١٢٤٢ هـ ) فاذا نزلت الامطار كالمعتاد قديماً ورجح الفارون أو الهاريون وعمرت الجزيرة ومنع من الناس ظلم العساكر ومنعت سخرتهم وصار لهم الاهانة عنهم ، اهانة العربان واذاهم ، ولم يطلب منهم المال بموجب الترتيب والتوزيع القديمين ، بل وزع بمعرفة خورشيد على السواقي والجرف والجزر والقرى على حسب قدرة كل شخص وبمقتضى القانون توزيعاً لاثقاً وحسب الذرة والسمن والقماش المأخوذ منهم لحاجة الجنود من المطلوبات الأميرية فإنه يمكن قبض سدس المطلوبات الأميرية من الجزيرة وحلفا والبحر الأبيض بموجب الدفتر الذى نظمه حنا الطويل . وأما سنة ثلاث وأربعين ( ١٢٤٣هـ ) فلماذا روعيت فيها المساعدة والاعفاء أيضاً وأنشئت سواقي بالأقاليم وزرع القطن والنيلة وصار شراؤهما من الرعايا بأثمان مناسبة فى مقابل المطلوبات الأميرية ، فإنه يمكن قبض ثلث الأموال الأميرية بموجب الدفتر القديم وعلى هذا يمكن قبض نصف المال الأميرى سنة أربعة وأربعين ( ١٢٤٤هـ ) (١) .

وقد تحدث فى هذا الاجتماع كل من موسى الكاشف وعثمان أغا ناظر المهمات وصالح أغا وحنا الطويل أما الدفتردار فقد قال : " أنا أيضاً نزلت إلى سنار فى شوال سنة ١٢٣٨ ففتحت خراج ١٢٣٧ هـ فى ربيع الأول سنة ١٢٣٩هـ (٢) . وقد افتتح أيضاً عثمان بك خراج سنة ١٢٣٨ هـ فى ربيع الأول سنة ١٢٤٠ هـ . وقد قال مباشر سنار فى تقريره أنه يمكن تحصيل ألف كيس من مال خراج سنة ١٢٤٢ وأما مال سنة ١٢٤٣ فيمكن تحصيل أربعة آلاف كيس

(١) د. محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان - مرجع سابق ص ٣٢١ .  
(٢) لعل السبب فى تاخير الخراج هو اضطراب الاحوال الامنية بسبب مقتل اسماعيل باشا .

منه بعد مساعدة البلاد واعانتها . فعلى تقرير المذكور يمكن تحصيل  
سنة آلاف كيس من مال خراج سنة ١٢٤٤ هـ بعد بذل الاعانة وصرف الجهد  
على الوجه المشروع (١) .

وعند الحديث عن الإيرادات طلب الاجتماع من المعلم حنا الطويل توضيح  
المقدار الذى يبلغه الإيراد فأخذ المعلم دفتر الإيراد وقرّر المعلم  
ميخائيل (٢) بموجب ترتيب المعلم حنا الطويل أن إيراد نفس جزيرة سنّار  
يبلغ ١١١٠٠ كيس وأن إيرادها حقاً يبلغ ٢٩٤ كيساً وأن الإيراد الوارد من  
العرب بجهة النيل الأبيض يبلغ ٣١٤ كيساً وأن المجموع كله يبلغ ١١٧٠٨ كيساً (٣).

هذا وقد ترك المجتمعون أمر تعديل هذه المبالغ للحكماء خورشيد باشا .  
بعد ذلك ناقش المجتمعون أمر زراعة الأفيون التى كان محمد على باشا قد  
بدأها فى السودان فقرروا وقف هذا النشاط وذلك لأن الأفيون لم ينتج فى  
السودان . كما قرر الاجتماع إرجاع خبراء الأفيون إلى مصر حيث أن مرتباتهم  
الشهرية تكلف الحكومة اثني عشرة كيساً (٤) .

كذلك ناقش هذا الاجتماع مواضيع اقتصادية أخرى مثل صناعة الدباغة  
والتنجيم عن الذهب ومتأخرات الجند وتوزيع الخولية الذين أتوا من مصر  
بصحبة خورشيد باشا كما ناقش الاجتماع موضوع إقليم عطيش التابع للحبشة  
حيث أنه أصبح ملجأً للفارين من الضرائب (٥) .

(١) المرجع السابق ص ٣٢٣ .

(٢) لاحظت أن معظم القنائمين على النظام المالى فى السودان فى عهد محمد على  
وأبنائه كانوا من الأقباط .

(٣) انظر د. محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان مرجع سابق ص ١٣٢٨

(٤) يتعجب المرء كيف تقوم دولة مسلمة بتشجيع مثل هذا النوع من النشاط  
الاقتصادى فى الوقت الذى كانت فيه الدول غير المسلمة تقوم بمحاربة  
زراعته بشتى السبل .

(٥) انظر د. محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان - مرجع سابق،  
ص ٣٢٠ وما بعدها .

بلغ من اهتمام الادارة المصرية وحرصها على رفع مستوى إدراك السودانيين فى نواحى النشاط الاقتصادى المختلفة وتزويدهم بالخبرات اللازمة للاستغلال موارد بلادهم الطبيعية على الوجه المرضي ، أنها فرضت على الخبـراء والفنيين المصريين الذين يقومون بتعليم السودانيين وتدريبهم فى المجالات الاقتصادية أن يقوم كل واحد منهم حسب مجاله بتعليم وتدريب عدد معين من السودانيين ، بل وألا يغادر البلاد السودانية إلى الديار المصرية قبل أن يتم له ذلك . وهذا ما فعلته مع المشايخ والخولـيصة والمهندسين الزراعيين مع أصحاب الحرف مثل الدباغين والحدادين والنجارين (١) .

سعت الادارة المصرية فى المجال الصناعى إلى تعليم السودانيين وتدريبهم على بعض الحرف والصناعات مثل صناعة دبغ الجلود وصناعة النيلة التى تستخدم فى صناعة الاقمشة . كما اهتمت هذه الادارة بصناعة السفن والتعدين .

أما فى مجال الزراعة فنجد أن محمد على عند زيارته للسودان عام ١٨٣٨ / ١٨٣٩م قد شرح للزعماء والمشايخ السودانيين فضائل الزراعة ووضح لهم ما تتمتع به بلادهم الواسعة من الأراضى الخصبة وما يمكن أن يعود عليهم بالنفع والخير والتقدم وحشهم فى الوقت نفسه على أن يوفدوا أبناءهم إلى مصر ليستزيدوا بالعلم والمعرفة (٢) .

ويبدو أن حديثه كان له تأثير كبير فى نفوسهم ، فسارعوا إلى تلبيـة الدعوة وسافر بالفعل بعضهم - كما سبقت الإشارة فى نظام التعليم - حيث

(١) انظر د. نسيم مقار - الأسس التاريخية للتكامل . مرجع سابق ص ٦٠ .

(٢) انظر : مجلة آداب القاهرة العدد ٨ المجلد الثانى ص ٤٤ .



التحقوا بمدارس مصر التجهيزية والفنية وقد أوصى محمد على المسئولين — بوجوب معاملتهم معاملة ممتازة نوعاً ما عن التلاميذ الآخرين نظراً لمجيئهم من بلاد بعيدة وروى أن تكون مدة تعلمهم ثلاث سنوات — يتعلمون فيها فى بادئ الأمر القراءة والكتابة حتى إذا ظهرت كفاءتهم بدأوا فى تعلم فن الزراعة لتكون لهم القدرة التلمة علماً وعملاً فى الشئون الزراعية (١) .

واستكمالاً للمنفعة أمدت الحكومة الفلاحين بالآلات الزراعية التى كان يستعملها الفلاحون المصريون وقتذاك وأهمها المحراث الحديدى الذى لم يكن قد انتشر استعماله فى بلاد السودان حتى ذلك الوقت . وفى الوثائق إفادة من مجلس شورى المعاونة إلى وكيل الجهادية يستعجله فيها ضرورة إرسال خمسمائة محراث (٢) .

ولقد توسعت الإدارة المصرية بصفة عامة فى إقامة السواقي وشجعت الأهالى فى جهات السودان المختلفة على الاكثار منها وبخاصة فى المناطق التى أقامت فيها بعض مشروعاتها الزراعية لإنتاج الغلات والمحصولات الجديدة وكذلك فى الأراضى الخالية " البور " حيث سمحت للمواطنين أن يقيموا عليها السواقي بقصد استغلالها فى الزراعة وزيادة عمرانها، (٣) حتى أن أحد الباحثين — قد ذكر أن قرية القطينة (٤) الواقعة على الطرف الشمالى للنيل الأبيض كانت تنتج محصولاً وفيراً من القمح بفضل الساقية المصرية التى عرفها أهالى هذه الجهات منذ الفتح التركى المصرى فقط . كذلك اهتمت الحكومة بحفر الترعى

(١) انظر محمد عمر بشير : تطور التعليم فى السودان . مرجع سابق ص ٤٠ .

(٢) انظر د . نسيم مقار : الأسس التاريخية للتكامل . مرجع سابق ص ٧١ .

(٣) انظر المرجع السابق نفس الصفحة .

(٤) سماها الكاتب قرية جوتينة والمصحح القطينة وربما يكون السبب فى ذلك ان الكاتب استقى معلوماته من مصادر أجنبية .

والقنوات والآبار فى بعض جهات السودان التى يتطلب التوسع الزراعى فيها مثل هذه الوسائل لرى الأرض كدنقلة وسنار وكردفان وبربر التى بعض حاكمها مرة إلى حكومة القاهرة يفيدها بوصول المهندس الذى أرسلته لحفر التبرع فى الاقليم المذكور .

وقد ذكرت بعض المراجع أن عدد الآبار التى قامت الحكومة المصرية بحفرها قد بلغ خمسة آلاف بئر<sup>(١)</sup> وهذا يدل على عظم اهتمام الادارة المصرية بأمر الزراعة فى السودان ومحاولة تطويرها والنهوض بها .

فى ختام هذا الفصل يلاحظ الباحث أن النظام الاقتصادى فى السودان فى عهد محمد على - مثل بقية النظم - وجد اهتماما كبيرا من الحكومة إلا انها لم ترفع سياسة واضحة فى هذا المجال بل تركت الأمر لتقدير المسؤولين .

ملاحظة أخرى، هى أن الادارة المالية فى القاهرة كانت تتحكم فى حسابات السودان فتُرسل حسابات السودان المركزية والمحلية شهرياً وسنوياً إلى القاهرة لتسجيل مقدار الدخل والانفاق وحساب حصول الفرق بينما سارت سياسة محمد على على مبدأ ضرورة قيام السودان بدفع نفقات حكمه وقد طالب خورشيد باشا بإنشاء ادارة للحسابات خاصة بالسودان (٢) .

كذلك طبق محمد على نظام الاحتكار الزراعى والصناعى فى السودان كما طبق فى مصر وإن لم يكن تطبيق هذا النظام فى السودان بنفس المستوى الذى طبقه به فى مصر إذ يلاحظ أن الاحتكار فى السودان لم يشمل الحبوب وغيرها من الغلات الزراعية التى اعتمد عليها المواطن السودانى فى معيشته . ولكن بصفة عامة لم يكن السودانيون راضين عن نظام الاحتكار الذى فرضه محمد على

(١) انظر: محمد صبرى : الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر . مرجع سابق ص ٧٢ .

(٢) انظر د . ابراهيم شحاته حسن : مصر والسودان . مرجع سابق ص ١٠٨ .

على بعض نشاطهم الاقتصادى ، بل لقد عدّوه هو وغيره من النظم الجديدة  
تقييداً لحريتهم حيث أنّها لم تكن مألوفة لديهم من قبل بغض النظر عن  
الفوائد والمنافع التي قد تنجم من جراء تنفيذها أو العمل بها (١) .

ولعل من أكبر الأخطاء التي رافقت النظام المالى والاقتصادى ولازمت  
جهاز الحكم بصفة عامة هي الطريقة التي كانت تجبى بها الضرائب القادحة  
فقد مورست وسائل قهرية لاجبار المواطنين على الالتزام بما فرض عليهم من  
ضرائب، الأمر الذى اضطرهم إلى الهجرة وترك ديارهم مما ترتب عليه خلخلة  
كبيرة فى بنية الاقتصاد السودانى التقليدى الذى كان يعتمد على العنصر  
البشرى فى الزراعة والرعى .

هذا ما كان عليه أمر النظم الاقتصادية فى السودان أبان فترة محمد على  
وسنرى التطور الذى حدث فى هذا المجال خلال مطالعتنا للفصل التالى .

...

---

(١) انظر د. محمد صبرى : الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ص ٧٢  
ود. نسيم مقار : الأسس التاريخية للتكامل . مرجع سابق ص ٥١-٦٢ .

# الفصل الثاني

النظام الاقتصادي والمالي في السودان  
في الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٨٥ م

تمهيد :

بعد أن عرفنا التطورات التي حاول محمد على إدخالها في السودان في مجال النظام الاقتصادي والمالي وذلك من خلال مطالعتنا للفصل السابق، نستعرض في هذا الفصل سياسة خلفاء محمد على في هذا المجال وسنبداً بفترة عباس الأول وسعيد باشا ثم نستعرض جهود الخديو اسماعيل في هذا الجانب .

أولاً : فترة عباس الأول :

ذكرت عند الحديث عن النظام الإداري أن عباس الأول عندما تربع على حكم مصر وملحقاتها جعل اهتمامه الأول هو تصفية حساباته مع أفراد أسرة محمد على فانشغل يحيك المؤامرات وتنفيذها عن سياسة دولته ورفاهية شعبه . وانقضت السنوات الخمس التي قضاها في الحكم دون أن ينجز أعمالاً كتلك التي أنجزها جده محمد على .

انتهز الحكام في السودان انشغال عباس عنهم فعاشوا في الأرض فساداً حيث انتشرت الرشوة بينهم وعم الفساد وخربت النفوس وفرضت الضرائب الباهظة على الشعب المسكين .

ولما تفاقم الأمر حاول عباس أن يخفف وحدة الرشوة المنتشرة بين الإداريين والموظفين كبارهم وصغارهم فعالج ذلك بأن عين موظفين برتب أعلى في الوظائف المسئولة وكانت أول خطوة قام بها في هذا المجال هي تعيينه للمديرين برتبة الأميرالاي بعد أن كانوا من قبل في رتبة القائم مقام وكان يظن أن الموظف المسئول إذا كان في رتبة عالية وتناول مرتباً عالياً خفت حدة رغبته في استلام الرشوى كما أن رتبته العالية وكبرياءها سوف تمنعانه من قبول الرشوة (١) .

---

(١) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث مرجع سابق ص ٧٠ .

كما حاول أن ينظم النواحي المالية فى السودان وذلك بوضع أسس صحيحة للحسابات والمراجعة المالية العامة، ولذلك وفدت على السودان أعداد كبيرة من الأقباط للقيام بهذا العمل . وبحث هذا الفريق فى الشؤون المالية والاقتصادية فى السودان وكان التعديى والبحث عن الذهب من أبرز الصعوبات التى واجهتهم لأنهم بعد مراجعة الصرف والدخل وجدوا أن استخراج الذهب يكلف أكثر مما ينتج وهذا ما جعل الخديو عباس يأمر بإبطال العمل فى استخراج الذهب فى السودان (١) .

وفى عهد عباس بدأت مجموعات من التجار الأوربيين تدخل السودان وأخذوا فى تنشيط التجارة بين السودان والدول الأخرى ، كما فتحو المتاجر والمخازن فى عدة أماكن من البلاد وكانت تقابلهم بعض الصعوبات فى تجارتهم ، خاصة فى النيل الأبيض حيث أن الحكومة ومنذ عهد محمد على كانت تحتكر التجارة فى هذه المنطقة وسبب هذا الأمر بعض المشكلات بين هؤلاء التجار وبين لطيف باشا حاكم السودان الذى حاول أن يمنع الأجانب من استغلال جامعى الصمغ، ولذلك فقد حدد له سعراً خاصاً يعاقب من يشتري ومن يبيع بأقل منه . وبالفعل نفذ حاكم كردفان عقوبة الجلد فى أحد التجار الانجليز المخالفين لهذا السعر فاحتجت الدول الأوروبية على ذلك واعتبرت هذا الاجراء مخالفة لحرية التجارة الممنوحة للأوربيين فى الدولة العثمانية كما تقدم هؤلاء التجار بعرائض إلى الخديو يشكون فيها الحكماء وقد زعموا أنه يقيد تجارتهم ويحتكر لنفسه جزءاً كبيراً من تجارة السودان ، وتجنباً لما قد يحدثه القناصل الأجانب ودولهم من متاعب فى مصر. فأن عباس باشا قد استدعى عبد اللطيف وعين بدلاً منه رستم باشا الذى اتخذ سياسة ضعيفة تجاه التجار الأجانب وأطلق يدهم فى البلاد ليفعلوا ما يحلو لهم حتى أصبح نفوذهم كبيراً فى كل أنحاء البلاد (٢) .

(١) انظر المرجع السابق ص ٧٠.

(٢) انظر د مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل / مرجع سابق ص ٥٠٤ وضمرة

صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ص ٢٢ .

كذلك تذكر المصادر أن عباس باشا حاول أن يستفيد من الماشية السودانية في مصر حيث جلب منها ١١٠١٦ رأساً بيع منها عدد للعمل في المديرية كما بيع الباقي إلى ديوان الجهادية ليوزع لحومها على الجنود كما أنه جلب من الأبل حوالي ألف رأس (١)

هذا كل ما ذكرته لنا المصادر التي تيسر الحصول عليها عن سياسة عباس الاقتصادية في السودان وهي كما ترى تعكس عدم الاهتمام بالسودان وإدارته الأمر الذي أدى إلى فوضى شديدة حاول سعيد أن يتداركها بعد توليه الحكم.

#### ثانياً : سياسة سعيد المالية والاقتصادية في السودان :

بعد تولي سعيد لمهامه انهالت عليه الشكاوى من السودان تتحدث عن ظلم الحكمداريين الذين غرقوا في الرشوة واستغلال النفوذ حتى إن بعضهم أخذ يجاهر بما يقبضه من أصحاب الحاجات (٢) . وسبق أن أشرنا في النظام الإداري إلى عريضة مجلس الخرطوم التي أرسلوها إلى محمد سعيد باشا يشتكون فيها من الحكمدار علي باشا سرى واستغلاله لمنصبه وإهماله لمصالح الناس ، الأمر الذي جعل الخديو يقوم بتغييره ، ولم يكتف بذلك بل طلب إلى الحكمدار الجديد محاسبة سلفه على مانسب إليه من جرائم وأخطاء .

اهتم سعيد باشا بالسودان وحاول أن يرفع الظلم الذي لحق بالأهالي وذلك بتعيين حكام أكفاء مثل أخيه الأمير عبد الحليم وبمحاسبة الحكام السابقين وفوق ذلك قام بنفسه بزيارة للسودان كما أشرنا من قبل . وقد راعته الحالة الاقتصادية المتردية ففكر في إخلاء السودان وسحب الإدارة المصرية منه ولكن

(١) انظر د. مكي شبكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٥٢

(٢) يقيّد سواقيهم جمع ساقية وهي النواعير .

الأهالى وجوه ألا يفعل ذلك . وقد وصف سعيد الحالة التى شاهدها بقولـــــــــــــــــه :  
 " . . ومع ذلك فأتى لما قدمت الى هذه الاصقاع شاهدت بعينى رأسى مابلقيـــــــــــــــــه  
 أهلها من الضنك والفاقة وسمعت بأذننى صوت أنينهم من أحمال الضرائب  
 التى أثقلت كاهل الغنى منهم فضلاً عن الفقير . وفداحة الخراج المضروب  
 على سقاياتهم وأطيانهم وتسخيرهم فى كثير من الأعمال التى لاقدرة لهم  
 على القيام بها والاتجار فى بناتهم وأولادهم كالسلعة فى الأسواق فكان ذلك  
 مما أحن قلبى وبلبل فكرى لاسيما وقد علمت أنهم أخذوا يهاجرون من أوطانهم  
 إلى اقاصى البلاد هرباً من هذه الكوارث والمحن المتراكمة بعضها فوق بعض " (١) .

هذه هى الحال التى كان عليها شعب السودان ابان زيارة محمد سعيد  
 باشا مما جعله يفكر فى رفع معاناة الناس وتخفيف الضرائب ولذلك قــــــــــــــــال  
 فى منشوره الأول الذى أعلنه فى الخرطوم أثناء زيارته لها : " . . . فقد عقدت  
 النية على جعل الخراج قدرًا يناسب حالة البلاد وأهلها وعلى أن أبذل جهد  
 المجتهد فى اصلاح أحوالهم وترتيب أمورهم على ما فيه الصالح لهم ولذريتهم من  
 بعدهم (٢) " .

ولقد نفذ سعيد ما انتوى فعله حيث طلب من الأهالى أن يقدروا مبلغ  
 الخراج الذى يسهل عليهم القيام به بلاكلفة ولا مشقة ففرحوا بذلك وطلبوا  
 أن يربط على كل ساقية خراجاً قدره مائتان وخمسون قرشاً فى كل سنة ولكن  
 محمد سعيد رأى أن يخفض هذا المبلغ الذى حدده السكان بانفسهم رأفة  
 بهم ورحمة لما شاهده من ضنك وفقر وقد قال فى ذلك " . . . ولكنى حبى لشعبى  
 يحملنى على منحه أكبر قدر ممكن من الرخاء وعلى الاهتمام بشأنه حتى أضــــــــــــــــمن

(١) انظر محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان . مرجع سابق ص ٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .



عطفه ، وحتى يستطيع هو الآخر أن يهتم برعاية شئونه وتحقيق رفاهيته . ولما كنت أريد بالاضافة إلى ذلك أن أعيد الطمانينة إلى قلوب أولئك الذين هاجروا حتى يعودوا إلى أوطانهم وهم لا يخشون ظلماً ولا عدواناً ولا ضرائب باهظة ففقط أمرت ألا تزيد ضريبة كل ساقية عن مئتي قرش وخراج كل فدان من أراضي الجزائر خمسة وعشرون أما أراضي العلو فعشرون قرشاً لا غير<sup>(١)</sup> .

وقد أفرحت سياسة محمد سعيد هذه المواطنين فرحاً كبيراً إذ لأول مرة يقوم المواطنون بتقدير ما يستطيعون من ضرائب على أنفسهم وفوق ذلك قام الخديو بتخفيض مقدار الخراج الذى فرضوه على أنفسهم تقديرًا لظروفهم .

وأمر سعيد الحكام بعدم الظلم واستخدام القسوة فى جباية الخراج وذلك حين خاطبهم قائلاً : " فإياكم والعنف والجور ولا تجبوا الخراج إلا فى الأوقات المناسبة واعقدوا لتقرير قاعدة ذلك جمعية فى الثلاثة شهور التى لازرع فيها ولا قلح<sup>(٢)</sup> وقسموا الخراج على أقساط متساوية يسهل عليكم جبايتها فى آخر كل سنة بصورة تجعل من الممكن تحصيل الخراج فى بحر السنة دون أن يتعرض الأهالى لارهاق ماء ودون ترك متأخرات لديهم، ويجب أن تتألف هذه الجمعية من ١٢ إلى ٢٤ عضواً من أعيان المديرية حسبما ترونه مناسباً للمصلحة العامة، وبوصفكم رؤساء لهذا المجلس فأنتم الذين تقومون بتقسيم الخراج والنظر فى الوسائل الأكثر صلاحية لزيادة الرخاء والهدوء بصورة تؤدى إلى استتباب الأحوال فى المدن والقرى استتباباً تاماً ويجب أن ترفع إلى القرارات التى تتخذونها بهذا الشأن واحداً اثر واحد ثم احصوا جميع الكشاف والجند الموكلين بجباية

(١) يقصد بالجزائر الجزر التى تتكون على النيل بعد موسم الفيضان ويقوم السكان بزراعتها . أما أراضي العلو فهى الأراضي التى تغمرها المياه أثناء الفيضان ثم تنحسر عنها بعد ذلك وتزرع .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٣ .

(٣) يقصد بالقلح تنظيف الأرض من سيقان وجذور المحصول السابق .

وأخلعوههم وقلدوا مكانهم مشايخ البلاد فهم أولى بذلك» (١) .

ومن خلال هذا النص من منشور محمد سعيد الذى أصدره فى الخرطوم تتضح بجلاء سياسته الاقتصادية الحكيمة فبعد مطالبته للحكام بعدم الجور والظلم وعدم جباية الخراج إلا فى الأوقات المناسبة نراه يطالبهم بعقد مجلس يتكون من مشايخ القرى والقبائل حتى يقرروا الخراج بأنفسهم ودونما تدخل من السلطة وطالبهم بأن يكون اجتماع هذا المجلس فى الثلاثة أشهر التى لا تكون فيها زراعة ولا استعداد وربما يكون السبب فى ذلك هو حرص محمد سعيد بالأبداً ينشغل هؤلاء المشايخ عن زراعتهم والاعداد لها بأى شاغل آخر أو قد يكون السبب هو حرص محمد سعيد أن يأتى تقدير الخراج فى وقت تكون الرؤية فيه واضحة ويستطيع كل شيخ أن يقدر ما عليه من الخراج تقديراً سليماً .

كذلك طلب محمد سعيد من الحكام بأن يقسموا الخراج المفروض على كـل العام إلى أقسام حتى يسهل ذلك على السكان فلا يؤخذ الخراج جملة واحدة كما كان فى السابق فيكون ذلك سبباً فى إرهاق المواطن أو فى بقاء متأخرات عليه .

ومن أكثر القرارات التى أسعدت السكان قرار محمد سعيد بعزل الكشاف وهم الحكام العسكريين الأتراك عن جباية الخراج وتعيين مشايخ القرى والمناطق بدلاً عنهم وبهذا القرار يكون محمد سعيد قد رفع عن المواطن الظلم والارهاب والتعذيب الذى كان يمارسه الجند والحكام أثناء جباية الضرائب . وأكد محمد سعيد على قراره هذا حين قال : " وعلى الجمعية أن تعنى ضمن ماتعنى بـه الأمور التالية : " عليكم أن تسرحوا الكشاف الذين هم اليوم حكام تلك الجهات وكذلك الجند الموجودين معهم ثم عليكم ألا ترسلوا بعد الآن كما كان الحال سابقاً جنداً لتحصيل الخراج ، فأن القرى وحدها هى التى ترسل شهرياً

(١) د . محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان . مرجع سابق ص ٣٤٣-٣٤٤ .

خراجها حسب التقسيم بواسطة مشايخها ولا تستخدموا قوة القانون إلا بكل عدل  
 لأجبار المتأخرين على الدفع ولتشجيع المشايخ على القيام بوظائفهم بأمانة  
 (١) وإخلاص . وجدت من الحكمة أن يكافأ المشايخ على خدماتهم وذلك بأن تعافوهم  
 فى مقابل هذه الخدمة برفع خراج سقاية ( هكذا ) فى كل خمس وعشرين سقاية  
 (هكذا) . ومعنى ذلك ألا تحصلوا خراجاً إلا عن أربع وعشرين سقاية من خمس وعشرين  
 بينما تبقى السقاية الخامسة والعشرين من سواقي المشايخ دون خراج وبالمثل  
 فيما يتعلق بالأراضى فتعفون من الخراج أربعة أفدنة من كل مائة فـدان  
 تخص المشايخ (٢) .

وقد علل محمد سعيد اعفاء المشايخ من الخراج بقوله : " هذا وحيداً  
 أن لأولئك المشايخ والأعيان بيوتاً ينزل عليها كل طارق وقاصد ، فارفعوا  
 عن كل منهم خراج أربعة أفدنة فى كل مائة فدان فإنه لما كان المشايخ - وهم  
 أصحاب هذه المنازل - يقدمون المأوى والمأكل للسياح والمسافرين ولما كانوا  
 مشهورين بضيافتهم فقد وجدت من العدل أن يعمر كرمى فيشمل نفقات هذه الضيافة  
 وعلى ذلك فقد تركت لتقديركم بحث وتعيين ما يمكن أن يمنح لهؤلاء المشايخ  
 وما ترونه أنتم مناسباً وعادلاً وذلك حسب مركز كل قرية " (٣) .

واستمر سعيد فى شرح سياسته المالية والاقتصادية بقوله : " وعليكم  
 أن تقوموا بقياس الأراضى واحصاء السواقي بواسطة المشايخ الذين يجب عليهم  
 أن يقدموا بيان ذلك إلى المديرية وأما إذا أرسلتم رجالاً من طرفكم لهذا  
 الغرض وحدثت أخطاء فسيكونون المسئولين وحدهم عن هذه الأخطاء . والخراج الذى

(١) هكذا والصحيح " بأن تعفوهم " .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٤ .

(٣) الحكم المصرى فى السودان مرجع سابق ص ٣٤٤ .

سوف يجرى تحديده على السواقي يجب أن يدفعه زارع الأرض وحاصد غلاتها وذلك حتى لا يستطيع أحد أن يقول إن الملزم بدفع الخراج قد تمكن من الهرب . والخراج الذى يجرى تحديده وتعيينه على النحو الآنف الذكر يبدأ العمل به منذ هذه السنة الهجرية سنة ١٢٧٢ ويحتسب الخراج الذى حصل من ابتداء هذا العام من خراج هذه السنة وتمشيًا مع هذه القاعدة يؤخذ هذا الخراج عن الأراضى التى تروى بماء الفيضاء أو ماء الأمطار أو السواقي . ولكن إذا - لا قدر الله - انخفض النيل أو احتبس المطر ، فالخراج لا يستحق ولا يجبى " (١) .

وبعد سفر محمد سعيد إلى القاهرة خشى أن يتهاون ولاته فى السودان فى تنفيذ سياسته المالية والاقتصادية أو أن يفسروها تفسيرًا يخدم مصالحهم ، فبعث بمنشور من القاهرة يؤكد فيه على سياسته السابقة ويطلب من الأهالى والحكام العمل على تنفيذها ويقول مخاطبًا ولاته وحكامه : " فى الأمر الذى أصدرتكم لكم لترتيب الخراج " الضريبة " والمتعلق بوضع الترتيبات الأخرى موضع التنفيذ ذكر أن الضريبة قد حددت على هذا الأساس منذ سنة ١٢٧٢ هـ وأن مادفع الأهالى من بداية العام حتى الوقت الحاضر يجب أن يحسب من ضريبة هذه السنة ولكن لما كان كل هذا غير مفسر بشكل واضح فى المرسوم السالف ولما كان أهالى هذه البلاد أميين فأنتى أخشى أن يعتقدوا أن هذه المتأخرات لازالت باقية عليهم وأنهم مدينون بها للحكومة ، ولذلك فأنتى أردت من هذا المرسوم الجديد أن أطمئنهم فى هذا الصدد تمامًا حتى يكتمل سرورهم وتتم سعادتهم وأبين لهم بوضوح ارادتى ورغباتى .

" يجرى طرح المبالغ التى دخلت الخزانة من بداية سنة ١٢٧٢ هـ حتى هذا اليوم بعد عمل الخصم وفق ما ذكر فى أمرى السابق من خراج العام الحاضر وذلك بعد التحقق من صحة حسابات الصيارف بكل دقة . وفيما يتعلق بأولئك الذين يظلون

---

(١) انظر نص المرسوم الثانى فى ملاحق هذا البحث .

دائنين للحكومة حتى سنة ١٢٧١ بفضل تقديمهم دفعات من المال تزيد عما هو مستحق عليهم ، فمع أن العدل يقضى بأن تحل هذه الزيادات مكان المتأخرات فأننى لما كنت فى عدالتى لا أريد أن يفقد أحد من رعاياى شيئاً من المستحق له أطلب منكم أن تقوموا بتعويض كافة أولئك الذين ثبت أنهم دائنون للحكومة على النحو المتقدم بعد فحص دقيق عن هذه الزيادات وذلك بحسابها من خراج هذا العام المستحق عليهم (١) .

وتحقيقاً للعدل لطلب سعيد من الحكام فى الخرطوم أن تدفع الحكومة ثمن كل ماتحتاج إليه من مأكولات وأشياء أخرى أو جمال أو رجال بزيادة ٢ ٪ عما يدفعه السكان فيما بينهم وحتى إذا ارتفعت أثمان الأشياء فعلى الحكومة أن تدفع دائماً زيادة ٢ ٪ على الرغم من زيادة الأسعار .

وبالرغم من توجيهات سعيد وحرصه على إزالة الظلم وتوفير أسباب السعادة ، للمواطنين إلا أن الحكام استمروا فى تعسفهم وظلمهم وأكلهم لأحوال الناس وربما يكون السبب فى ذلك هو بعد المسافة بين الخرطوم والقاهرة وصعوبة المواصلات فيكون هؤلاء الحكام فى مأمن من رقابة سعيد . كما وإن تغير الحكام السريع الذى شهدته هذه الفترة كان سبباً من أسباب انتشار الرشوة والاختلاس ، إذ أن الحاكم يأتى وهو يعلم أن مدته لن تطول فيسعى بكل السبل للحصول على أكبر قدر ممكن من الأموال قبل أن يتم تغييره . وهكذا غرقت البلاد من جديد فى لججة الاختلاسات والضرائب الباهظة واستمر هذا الحال حتى عهد اسماعيل .

..

(١) انظر نص المرسوم الثانى فى ملاحق هذا البحث .

ثالثاً : النظام المالى والاقتصادى فى عصر اسماعيل :

اتخذ النشاط المالى والاقتصادى فى السودان فى هذه الفترة أشكالاً متعددة يمكن أن نلاحظها فى أوجه النشاط التالية :

- أ - الزراعة .
- ب - الصناعة والتعدين .
- ج - التجارة والمواصلات .
- د - المالية والضرائب .

أولاً : الزراعة :

من المحامد التى ينبغى أن تذكر لهذا العهد، اهتمام ولاته بالزراعة ومحاولة تطويرها وتحديثها، إذ أن طبيعة السودان الجغرافية تجعل منه قطراً زراعياً بالدرجة الأولى . ولقد رأينا من قبل اهتمام محمد على بالزراعة فى السودان انطلاقاً من هذه الحقيقة الواقعية .

إلا أن حكومة الخديو اسماعيل فى السودان قد قامت بخطوة موفقة وعلمية حيث قامت بعمل دراسة لجميع الأراضى الصالحة للزراعة فى السودان وقد شملت هذه الدراسة المسحية محافظات سواكن والتاكة والقضارف وسنار والخرطوم ومديرية البحر الأبيض ( النيل الأبيض ) ومديرية كردفان ومديرية بربـر ومديرية دنقلة (١) .

---

(١) انظر الوثيقة الخاصة بهذه الاراضى ومواقعها فى كتاب الدكتور السيد يوسف نصر : الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى أفريقيا ص ٣١٥ وما بعدها .

كما قام حكام هذا العهد أيضاً بعمل دراسة للأرض في السودان وطـــــــرق  
تمليكها وقد جاء ذلك في الرسالة التي أرسلتها مديرية عموم السودان إلى  
المجلس الخصوصي بالقاهرة في التاسع من ربيع الثاني سنة ١٢٩٠ هـ (١) .

كما وجه الخديو اسماعيل حكام السودان إلى الاهتمام بالزراعة ويظهر  
ذلك من خلال مطالعتنا للخطاب الذي أرسله الخديو إلى موسى حمدي باشا حاكم دار  
السودان في السادس من رجب سنة ١٢٨١ هـ الموافق الخامس من ديسمبر سنة ١٨٦٤ م ،  
وقد جاء في هذا الخطاب :

" رَأَى أَحْمَدُ أَغَا مِنْ بُلُوكَات (٢) المحافظين بدنقله سابقاً قد قَدَّمَ إِلَيَّ  
ديوان معاونتي عريضة مطوية بهذه المكاتبة مفادها أَنَّهُ فِي سَنَةِ ٧٢ هـ قَدْ أُنْشِئَتْ  
سَاقِيَةٌ بِالْغَابَةِ وَالتَّلُولِ الْوَاقِعَةِ خَارِجَ زِمَامِ مَدِيرِيَّةِ وَنَقْلَهُ وَأُصْلَحَ فَعَمَلُهُ  
قِسْماً مِنْ تِلْكَ التَّلُولِ وَغُرِسَ فِيهَا نَخِيلاً وَأَشْجَاراً مِنْ الليمون والصنط وَأَنَّهُ يَرِيدُ  
إِنْشَاءَ حَدِيقَةٍ وَسَبِيلٍ بِهَا . وَبِمَا أَنَّهُ قَدْ فَرَضَ مَالُ أُمِيرِي عَلَى تِلْكَ السَّاقِيَةِ كَمَا  
فَرَضَ مَبْلَغُ ثَمَانِ وَثَمَانُونَ قَرْشاً وَنِصْفَ الْقَرْشِ سَنَوِيّاً عَلَى النَخِيلِ قَبْلَ طَرَحِهَا الثَّمَارِ ،  
وَذَلِكَ فِي الْإِحْصَاءِ الَّذِي عَمِلَ فِي سَنَةِ ٧٨ هـ وَبِمَا أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ فَرَضُ أُمُورِ أُمِيرِيَّةِ  
عَلَى بَعْضِ الْحَدَائِقِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمَدِيرِيَّةِ قَدِيماً وَأَنَّ السَّوَاقِيَّاتِ الَّتِي فَرَضَ عَلَيْهَا  
الْأُمُورُ وَاقِعَةٌ عَلَى الْبَحْرِ (٣) فَأَنَّهُ يَلْتَمِسُ رَفْعَ الْمَالِ عَنِ السَّاقِيَةِ وَالنَخِيلِ  
الْمَذْكُورَةِ فَعَلَيْكُمْ بِأَعْفَاءِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى الْأَشْجَارِ الَّتِي غَرَسَهَا وَالسَّوَاقِيَّاتِ  
الَّتِي حَفَرَهَا الْمَذْكُورِ هُنَاكَ وَأَنَّهُ مِنَ الْبَدِيهِى فِي حَالَةِ إِعْفَاءِ الْحَدَائِقِ الْمَوْجُودَةِ  
بِالْأَرْضِ السُّودَانِيَّةِ مِنَ الْأُمُورِ سِيرَغْبٍ حِينَئِذٍ كُلِّ شَخْصٍ فِي غَرَسِ تِلْكَ الْأَشْجَارِ وَسَيَكُونُ  
ذَلِكَ سَبَباً فِي إِزْدِيَادِ الْحَدَائِقِ يَوْماً فَيَوْماً فِي انْتِظَامِ وَعِمْرَانِ الْأَقَالِيمِ السُّودَانِيَّةِ

(١) انظر هذه الدراسة في ملاحق هذا البحث .

(٢) جمع بلوك وهي كلمة تركية تعني القسم أو الفوج من العساكر . انظر تَأْصِيل

ماورد في تاريخ الجبروتى ص ٤٤٠

(٣) يقصد نهر النيل .

والاكثار من صلاحها ومدنيتها وهذه زبدة أفكارى فى ذلك ، وإنى بموجب أمرى هذا أطلب منك عدم فرض أموال أميرية على الأراضى المنزوعة (هكذا ) بها أشجار ولا على الأشجار المنغرسه أو التى ستغرس من الآن فصاعداً مثل أشجار الليمون والبرتقال وأشجار الفاكهة الأخرى فى السودان .

" حاشية : بموجب أمرى هذا يجب ألا تفرض أموال أميرية على الاشجار المنزوعة بجهة السودان والتى ستغرس من بعد الآن من الأشجار المثمرة ولا على الأراضى التى تزرع فيها تلك الاشجار وأن نقيس الأراضى المنزوعة فيها تلك الاشجار وتحددها وأن تحرر حجج تملك باسم أصحابها يتصرفون فيها كيفما شاءوا " (١) .

ونجد هذا التشجيع الحكومى للزراعة فى السودان أيضاً فى موافقة المجلس الخصوصى على مقترحات ممتاز باشا وتأييدها بشأن زراعة القطن فى السودان والتوسع فيها وإرسال محالج القطن من القاهرة إلى الخرطوم (٢) .

كذلك شمل هذا التشجيع تدريب السكان وتلقينهم أصول الزراعة وطرقها الحديثة واعطائهم التقاوى والحيوانات اللازمة للعمليات الزراعية وتشجيعهم على الاستقرار فى الأرض لاستصلاحها وخدمتها . وبدلاً من بقاء العساكر بلا عمل فى الأوقات التى لا تستلزم منهم تركيز الجهد فى الشؤون الحربية - طلب من المديرين تشغيلهم فى اصلاح التربة وغرس الأشجار وزراعة الخضر وما إليها فى الجهات التى يقيمون فيها لتكون مزارعهم نموذجاً يعمل الأهالى على منواله . وقد أرسلت من مصر تقاوى الخضر والفواكه والمحاصيل الأخرى وشتلات الأشجار (٣) .

وقد كان من أبرز الحكام الذين اهتموا بالزراعة فى السودان ممتاز باشا الذى كان محافظاً على سواكن ثم عين بعد ذلك حاكماً لاقصى السودان . وبدأ

(١) عابدين ، المعية دفتر ٥٢٩ رقم ٤ صفحة ١٩٧ نقلاً عن الحكم المصرى فى السودان ص ٣٥٨-٣٥٩ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٧٥ وما بعدها .

(٣) انظر د . شوقى الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ج ٢ . مرجع سابق ص ١٢٨ .



اهتمام ممتاز باشا بالزراعة في السودان منذ أن كان محافظاً على سواكن حيث بدأ زراعة القطن في دلتا فور بركة بطوكر ونجحت التجارب التي أجراها حوالى سنة ١٨٦٥م ومنذ ذلك الوقت أصبحت طوكر من أهم الأراضي التي يزرع فيها القطن بالسودان . وبدأت تجارب زراعته كذلك في طور القاشي ثم جلب ممتاز من مصر محالج رحلها إلى كسلا لحلج قطن القاشي ولكن ترحيل تلك الآلات كان من الصعوبة بمكان ولذلك فشل هذا المشروع . (١)

كذلك جلب ممتاز من مصر بعض المزارعين لارشاد الأهالي إلى الطرق الزراعية ، كما أحضر من مصر أيضاً بذرة القطن الأشموني لزرعها في السودان (٢) .

وعندما نقل ممتاز باشا لمقر عمله الجديد حكمداراً على عموم قبلى السودان " نقل اهتمامه وخماسته للزراعة وللقطن خاصة إلى ادارته الجديدة وظل يواصل طلباته من مصر فيما يتعلق بالمحالج والتعدد الأخرى وطاف بنفسه على المزارعين حاساً لهم على زراعة القطن ، وطلب كميات من بذرته بلغت فى احدى طلباته ثلاثة آلاف أردب توزع مجاناً على المزارعين على أن تقسم الأرباح مع الحكومة . وعكف ممتاز على دراسة السودان جميعه من حيث الأراضي الصالحة للزراعة وخاصة القطن وقدر ما يمكن زراعته فى مديريات السودان ماعدا مصوع بما يربو على المليون من الأفدنة ، وبين الطرق التى يمكن بها ترحيل محصول القطن ، ورأى أن أنجح وسيلة هى النيلين الأزرق والأبيض إلى الخرطوم ومنه شمالاً إلى مصر . والأقطان التى تزرع فى اقليم القصارف وعلى ضفاف نهر عطبرة تنقل فى زمن الفيضان إلى النيل الكبير ومن شت رحل شمالاً . وزيادة على اهتمامه الزائد بالقطن رأى تحسين نسل الضأن والبقر باحضار الكباش والجاموس من مصر (٣) . "

(١) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ١٠٦ .

(٢) انظر محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الاحمر مرجع سابق ص ٢٤١ .

(٣) د . مكى شبيكة : السودان عبر القرون . مرجع سابق ص ١٦٨-١٦٩ .

شارك حسين بك خليفة مدير بربر ممتاز باشا فى الاهتمام بالزراعة حيث أنه عمد إلى تشجيع الأهالى على زراعة كل الأراضى التى هجرها أهلها بسبب الضرائب، كما شجعهم على الرى بالقنوان على الطريقة المصرية. ولكن جهوده لم تكن مثمرة بقدر ما بذل فيها من جهد وتشجيع. (١) واهتم الخديو اسماعيل بجهود حسين بك خليفة، ومما يعكس هذا الاهتمام الخطاب الذى تلقاه مدير بربر من الخديو فى محرم سنة ١٢٨٨ هـ الموافق الثالث والعشرون من مارس سنة ١٨٧١م وقد جاء فى هذا الخطاب :

" أمر كريم إلى مدير بربر فى غرة محرم سنة ١٢٨٨ هـ ( ٢٣ مارس ١٨٧١م ) أمر كريم منطوقه صار منظورنا عريضتكم الواردة لطرفنا رقم (٢٦) ذى القعدة لسنة ٨٧ هـ نمرة (١٥) جواباً لأمرنا الصادر لكم باجرى (٢) (هكذا) الطرق والوسايط المؤدية لعمارية ( هكذا ) جهة طرفكم وثروة أهاليها بواسطة تأليفهم وتشويقهم على زراعة صنف القطن بالأراضى الموجودة هناك والاستحصا ل بذلك على الثمرات التى تعود بالفوايد (هكذا) المستحسنة كما لا يخفى . ولقد علمنا ممّا ذكرتموه أنكم باذلين غيرتكم ومجتهدين بكل ما يمكنكم فى اجرى (هكذا) هذه الأسباب حتى أنه بالنظر لكون أطيان المديرية لا تروى سنوى إلا إذا كان النيل بالغ النهاية فى الزيادة لمناسبة عدم وجود ترع مثل جهة بحرى ، قد شرعتم فى حفر سيالات صغيرة (٣) من البحر بالمحلات المنخفضة التى يتيسر امتدادها بدون كلفة كبيرة ولا مشقة وبها يصير الاستحصا ل على رى أراضى المديرية على وجه العموم سوا ( هكذا ) كان النيل بالغ النهاية فى الزيادة . أو متوسط واجرى ( هكذا ) زراعة تلك الأراضى من صنف القطن لآخر ما أوضحتموه (هكذا) قد وقع عندنا موقع الاستحصا ن والقبول ولا بأس من بذل الجهد والاجتهاد فى تميم

(١) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ١٠٧ .

(٢) المقصود باجرى ٦ .

(٣) يعنى ترع صغيرة .

وبنائها فهي تشبه محطة أسوان . أمّا محطة حلفا فقد بنيت فى قرية عنجس التابعة لحلفا وكانت هذه القرية تتكون من خمسة عشر منزلاً يسكنها موظفو الحكومة وزودت بطاحونة ، ومخزن صغير للجببانة . وقد بنى فى محطة حلفا جسر بلغ طوله أربعة عشر كيلو متراً وذلك لتوضع فوقه القضبان الحديدية (١) .

أمّا فى مجال البريد والبرق فقد وجه اسماعيل مدير البريد المصرى بتنظيم البريد السودانى فأنشئت ادارة البريد السودانية فى سنة ١٨٧٣م وأنشئت مكاتب للبريد فى دنقلة والخرطوم وبربر وكسلا وسنار والقضارف وفازو على والمسلمية وفشودة والفاشر والأبيض . كما بلغ ما أنشئ من الخطوط البرقية حوالى ألفى كيلومتر (٢) .

أمّا فى مجال النقل النهري فقد وصلت الخرطوم بعض البواخر النيلية وكان بعضها يبحر فى جنوب السودان منذ أن كان صمويل بيكر حاكماً هناك وبعضها كان فى الخرطوم ويجوب النيل شمالاً والنيل الأزرق والأبيض جنوباً . وبلغ عدد السفن النيلية حوالى العشرين (٣) . كما اهتمت الحكومة اهتماماً كبيراً بترسانة الخرطوم .

#### رابعاً : الضرائب :

على الرغم من اهتمام اسماعيل بمسألة الضرائب فى السودان ومحاولته تخفيضها واعفاء السواقى والأراضى المزروعة بالأشجار إلا أن المواطنين ظلوا يشكون من ظلمها وفداحتها، والسبب فى ذلك يرجع إلى الحكام والجباة والموظفين الذين فسدت نفوسهم وأصبح الجشع والطمع والرشوة هى ديدنهم ، خاصة وأن الضرائب المالية التى حدثت فى عهد اسماعيل جعلت رواتب الموظفين العاملين فى السودان

(١) انظر د. السيد يوسف نصر : الوجود المصرى فى أفريقيا . مرجع سابق ص ١٩٤ .

(٢) انظر د. محمد فهمى لهيظه : تاريخ مصر الاقتصادية فى العصور الحديثة ص ٣٥١ .

(٣) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ١٠٧ .

تتأخر كثيراً فامتدت أيدي هؤلاء الموظفين إلى المال العام وزادوا على ذلك بأن أَرهقوا كواهل المواطنين بالضرائب .

ويذكر أن غردون عندما عين حكمداراً استشعر عبء الضرائب واستمع أثناء تجواله إلى شكايات المواطنين ، وكان يعلم أن الموظفين لم يتسلموا رواتبهم منذ سنوات ولكنه لم يسأل نفسه كيف يعيش هؤلاء الموظفين بدون رواتب (١) . وقد عين غردون سلاطين باشا النمساوى مفتشاً لمالية السودان فكتب سلاطين عن الحالة في السودان بقوله : " وعينى غردون مفتشاً مالياً وطلب إلى أن اقوم بالتفتيش في البلاد وأفحص شكايات السودانيين الذين كانوا يعارضون في دفع الضرائب التي لم تكن تعتبر فادحة ، واطاعة لهذه الأوامر قمت إلى سنار وفازوغلى عن طريق المسلمية وعرجت على جبال كوكلى ورقـرق وكشكيرو القريبة من بنى شتقول ثم رفعت تقريرى إلى الجنرال غردون وأوضحت في هذا التقرير أن الضرائب غير عادلة وأن معظمها يقع على عاتق أصحاب الأملاك الصغيرة من الأرض - أمّا كبار الملاك فكان من السهل عليهم أن يرشوا الجباة بمبالغ صغيرة فينجوا من الضرائب إلا ما قل منها . وعلى هذا كان مقداراً كبيراً من الأرض لاتؤخذ عليه الضريبة بينما يقوم الفقراء بسد العجز ودفـع ضرائب ثقيلة عن أملاكهم . وأبنت فضلاً عن هذا النظام السيء أن الأهالى مستأثرون من الطرق الجائرة التي يتبعها جباة الضرائب وجلهم من الجنود والباشيزق والشايقية - ولم يكن هم هؤلاء الموظفين سوى الحصول على الثروة بأسرع ما يمكنهم على حساب السكان التعساء الذين كانوا يخفعون لسلطتهم الوحشية القاسية . وكنت كثيراً ما أجد خلال أسفارى أن الأراضى التي يملكها الموظفون ومعظمهم من الأتراك والشايقية لاتجى عليها ضرائب ما . وعندما كنت أسأل عن علة ذلك كان يقال إن هذا امتياز للموظفين لما يقومون به من الخدمة للحكومة وقد كانوا يستأفون أشد الاستياء عندما كنت أقول لهم أنهم يتناولون

(١) انظر المرجع السابق ص ١٠١ .

أُجْرًا على هذه الخدمة . ولكن عندما قبضت على البعض منهم أقرؤا جميعاً بأنهم متأخرون في دفع الضرائب (١) " .

ولكن سلاطين اعترف بأنه عجز عجزاً تاماً عن القيام بوظيفته وذلك حين قال : " وإنى أعتز بأن تجاربي الماضية ومعارفى قد خذلتني في هذا الموضوع . وشعرت عندئذ بعجزى التام عن القيام بأى إصلاح ولم يكن لى من الخبرة بالشئون المالية سوى القليل أو العدم فلذلك وجدت من العبث أن أستمّر في عملى وقدمت استقالتي " (٢) .

استمرت مشكلة الضرائب في السودان فأرسلت الحكومة البريطانية الكولونيل ستيوارت إلى السودان بعد وصوله مباشرة ، إلى مصر مع القسوات البريطانية التي احتلتها سنة ١٨٨٢م لدراسة أحوال البلاد وكتابة تقرير مفصل عنها مشفوعاً بمقترحاته حتى يمكن لتلك الحكومة أن تتخذ من الاجراءات ما يتناسب مع سياستها نحو الشطر الجنوبى من الوادى . وقد وصل هذا الضابط إلى الخرطوم في ديسمبر سنة ١٨٨٢م وغادرها في مارس سنة ١٨٨٣م بعد كتابة تقريره الذى ضمنه بيانات بالقبائل وشيوخها والجبايات السابقة والمقترحة (٣) .

أما عن الادارة المالية في السودان خلال هذه الفترة فلم تكن ايرادات الحكومة في السودان تكفى مصروفاتها وذلك لأن الانتاج في هذه البلاد كان ما يزال قليلا بالنسبة لمساحتها وترجع قلة الانتاج إلى قلة نشاط السكان فى استغلال موارد الثروة فى بلادهم ، كما هو الحال فى معظم بلاد المناطق الحارة (٤) .

(١) سلاطين باشا: السيف والشارب في السودان . عالم الكتب . بيروت ط الثالثة

١٩٧٨م ص ١١-١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢-١٣ .

(٣) انظر المجلة التاريخية المصرية ج ٣ ، ١٩٥٠م ص ١٨٥-١٩٧ .

(٤) انظر د. محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادية في العصور الحديثة ،

مرجع سابق ص ٣٥٣ .

وكانت مالية السودان دائماً تسجل عجزاً يختم على الخزانة المصرية .  
وقد حدثت ضائقة مالية في السودان سنة ١٨٦٥م بسبب القحط وقد ساعدت الحكومة  
المصرية حكومة السودان على تجاوز هذه الأزمة وبيد ذلك من خلال الخطأ  
المرسل من الخديو اسماعيل إلى جعفر باشا حاكم عام السودان في ٢٨ من  
محرم سنة ١٢٨٢ ( ٢٣ يونيو ١٨٦٥م ) وقد جاء فيه : " سبق أن سلفكم  
المرحوم موسى باشا التمس إرسال ثلاثة آلاف كيس نقداً أو أربعة آلاف إلى  
مديرية التاكة عن طريق سواكن ، لما علم من المكاتب الواردة إليه من تلك  
المديرية أن هناك ضائقة مالية بسبب القحط الحادث في حاصلاتها هذه السنة  
وإنه من أجل ذلك لم يصرف للعساكر والمستخدمين رواتبهم بضعة أشهر وقد  
التمس أيضاً أن ترسل الحكمدارية كمية من النقود لتساعده في نفقاته  
الضرورية فنبلغكم أن تلك النقود على وشك الإرسال وقد حررنا يوم تاريخه  
إلى ديوان المالية ليخابروكم ويتخذوا التدابير اللازمة في تسوية تلك  
المسألة . فاذا وصلتكم وإلى مقر الحكمدارية فابحثوا إيرادها ومصروفها  
بحثاً دقيقاً ونظموا ميزانيته نظاماً موافقاً بعد أن تفحصوا عما إذا كانت  
السودان تحتاج إلى نقود بطريقة المساعدة علاوة على إيراداتها السنوى ، لتصرف  
في الإصلاحات الضرورية والتنسيقات المهمة فحرروا بياناً مفصلاً بذلك وأعرضوه  
علينا " (١) .

كذلك أرسلت الحكومة المصرية كميات من الغلال لتفريغ تلك الضائقة  
المالية في السودان .  
كما إن ممتاز باشا عندما كان حكاماً أعلى السودان حاول أن ينظم  
الميزانية ويحدد بنودها (٢) .

(١) محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى في السودان . مرجع سابق ص ٣٨٥ .

(٢) انظر الشاطر بصيل عبد الجليل : معالم تاريخ السودان وادى النيل ،  
مرجع سابق ص ٢٧٢ .

وفى هذا الصدد أرسل الخديو اسماعيل إلى محمد رؤوف باشا حاكم السودان خطاباً يوجه فيه بالاهتمام بالمالية وتنظيمها وتحديد بنودها تحديداً دقيقاً (١) .

ولما عين غردون حكاماً على السودان أحسن التصرف حين لاحظ آنذاك أن الدول الأوروبية التى تطالب الخديو اسماعيل بتسديد الديون التى عليه، أخذت تنظر إلى السودان على أمل أن يدفع من ميزانيته أقساطاً من تلك الديون. ولذلك فإن غردون عمد إلى فصل مالية السودان عن المالية المصرية وذلك حتى يجنب السودان أية مضايقات مالية (٢) .

ولبيان العجز الذى كان يحدث دائماً فى ميزانية السودان وتحمله الخزنة المصرية - نستعرض فيما يلى ميزانية السودان لعام ١٨٧٨ م :

٣٢٧٠٠٠	جنيه - دين السودان .
٥٧٩٠٠٠	جنيه - إيرادات الحكومة .
٥٥١٠٠٠	جنيه - مصروفات الحكومة .
٠٧٢٠٠٠	جنيه - العجز فى الميزانية (٣) .

ومن هذه الميزانية تظهر قلة الإيرادات عن المصروفات ، كما يظهر أن السودان كان يسد العجز فى ميزانيته بالاستدانة وقد كان مجموع الدين فى الميزانية سالفه الذكر يزيد على نصف الإيرادات .

- 
- (١) انظر نعيم شقير : تاريخ السودان . مرجع سابق ص ٣٠٧ .  
 (٢) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث . مرجع سابق ص ١٠٤ .  
 (٣) محمد فهمى لهيطه : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة - مرجع سابق ص ٣٥٤ .

وفى ختام هذا الفصل يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

- (١) اهتمت الحكومة اهتماماً عظيماً بالزراعة وأُرسَتْ أساساً منظماً لزراعة القطن الذى أصبح فيما بعد محصول السودان الرئيسى .
- (٢) كما اهتمت بالتجارة وعبدت لها الطرق وسهلت المواصلات بمختلف أنواعها وقد أفادت هذه المواصلات فى ربط أجزاء البلاد بعضها ببعض .
- (٣) لم تهتم الحكومة اهتماماً كبيراً بالصناعة وربما يكون السبب فى ذلك هو تقديرها أن السودان بلد زراعى فقط .
- (٤) بالرغم من الدعم الهائل الذى قدمته الخزينة المصرية لمالية السودان ، إلا أن السودان ظل يسجل عجزاً كبيراً فى مالىته كما يظهر من الأرقام السابقة .
- (٥) تسببت الازمة المالية فى مصر فى تأخير رواتب الموظفين مما جعلهم يتعاملون بالرشوة وزيادة الضرائب على المواطنين الفقراء ، الأمر الذى تسبب فى سخط عام على نظام الحكم . ولقد كان هذا السخط من أكبر الدوافع التى جعلت شعب السودان يلتف حول الثورة المهدية باعتبارها المخرج له من حالة الشدة والضنك التى كان يعانيها .

...



لِلشَّامَةِ

- الخاتمة :

من خلال العرض التفصيلي السابق يمكن أن نشير الى أهم السمات والنتائج التي خرج بها هذا البحث في نظم الادارة والتعليم والقضاء والاقتصاد كما يلي :

- أولاً : في نظام الادارة :

- (١) ان أهم ما يمكن أن نشير إليه في هذا المجال هو أن هذا العهد قد أعطى السودان اسمه وحدوده المعروفة اليوم .
- (٢) نقل هذا العهد شعب السودان من النظام القبلي الاقطاعي الى نظام حديث يرتبط فيه المواطن بسلطة الدولة . وتم هذا الانتقال بالتدريج بواسطة ما يعرف بنظام الحكومة المحلية أو الادارة الأهلية حيث يكون النظار والعمد والمشايخ هم الواسطة بين الحكومة والمواطن .
- (٣) جرّب هذا العهد أشكالاً مختلفة في الحكم مثل اللامركزية والمركزية أو محاولة ايجاد نظام وسط بينهما . وبالرغم من هذه البدايات المبكرة في هذا المجال إلا أن السودان إلى اليوم لم يأخذ شكلاً مستقراً من هذه الأشكال .
- (٤) كان هذا الحكم حكماً عسكرياً في معظم أحواله بالرغم من أنه حاول أن ينقل تجربة الحكم التي أقامها محمد علي في مصر .
- (٥) كانت مساحة السودان الشاسعة وضعف المواصلات من الأسباب الرئيسية في تعويق أعمال الجهاز الحكومي .
- (٦) استطاع هذا العهد أن يبسط الأمن على قطاع كبير من أرض السودان وقد أشاد بهذه الظاهرة الرحالة الأجانب .
- (٧) لم يشهد هذا العهد استقراراً كاملاً بسبب الثورات التي حدثت في أماكن متفرقة نتيجة لظلم بعض الحكام وجورهم .

- (٨) نقل بعض الحُكَّام الأتراك إلى شعب السودان البسيط بعض الممارسات الفاسدة مثل تقبل الرشاوى والاختلاس .
- (٩) ربط هذا العهد شعب السودان بالخارج كما ربط بين أبناء الشعب بعضهم ببعض .

#### ثانيًا : في مجال التعليم :

- (١) في بداية هذا العهد اهتم الحُكَّام بأمر التعليم في السودان ولكن لم توضع سياسة واضحة يسير عليها التعليم لتحقيق أهداف مرسومة وإنما دعم التعليم الشعبى المتمثل في المساجد ومدارس تحفيظ القرآن الكريم وهجرات الطلاب للأزهر الشريف.
- (٢) شهد هذا العهد لأول مرة قيام مدرسة نظامية حديثة وذلك في عهد عباس الأول وقد استمرت هذه المدرسة لعام دراسي واحد ثم أعقبتها ففى عهد الخديو اسماعيل خمس مدارس ابتدائية في المحافظات .
- (٣) شهدت هذه الفترة نشاطًا تعليميًا للرساليات الكنسية وقد كانت هذه بداية للتعليم الكنسى الذى مازال موجودًا في السودان إلى اليوم .
- (٤) بدأ في هذا العهد الفصام بين التعليم الدينى والتعليم المدنى حين أنشأت الحكومة مؤسسات للتعليم المدنى موازية لمؤسسات التعليم الدينى واستمر هذا الفصام إلى يومنا هذا حيث كان من ركائز حركة العلمانية في البلاد .

#### ثالثًا : في مجال القضاء :

- (١) واصل هذا العهد في بداية الاحتكام إلى الشريعة الاسلامية حين وجد أن الممالك السودانية السابقة كانت تحتكم إليها .

- (٢) استمر هذا العهد فى ادخال القوانين الوضعية واحلالها محل أحكام الشريعة الاسلامية وبنهاية هذا العهد أصبح حال السودان كمصر إذ بقيت أحكام الشريعة الاسلامية فى نطاق دائرة الأحوال الشخصية .
- (٣) أوجد هذا العهد نظاماً للاستئناف يعتبر متقدماً فى ذلك الوقت ومحققاً للعدالة ولو أنه يتسبب فى كثير من الأحيان فى تأخير الفصل فى القضايا .

رابعاً : فى النظام الاقتصادى والمالى :

- (١) عملت حكومات هذا العهد على تطوير الزراعة فى السودان وخاصة زراعة القطن الذى أصبح ومازال المحصول الرئيسى فى البلاد .
- (٢) كما عملت هذه الحكومات على اصلاح الطرق وحفر الآبار والترع وذلك من أجل تطوير الزراعة والتجارة .
- (٣) فى مجال التجارة احتكرت الحكومة بعض<sup>السلع</sup> فى الشمال وعملت على تنشيط الملاحة البحرية والنهرية حتى تيسر حركة التجارة .
- (٤) قامت هذه الحكومات بالتنقيب عن الذهب والمعادن ولكن جهودها لم تصادف نجاحاً .
- (٥) كانت ميزانية السودان تسجل عجزاً بصفة دائمة وكان هذا العجز تتحمله الخزانة المصرية .
- (٦) من أسوأ ما ارتبط فى أذهان السودانيين بهذا العهد النظام الضريبى ، الذى حاولت الحكومة فرضه على الشعب السودانى واتبعت من اجل تنفيذه الكثير من الاساليب الوحشية وغير الانسانية .

ويطيب لى فى ختام هذه الدراسة أن أسجل ، هذين الاقتراحين :

(١) تعتبر هذه الفترة بسلبياتها وإيجابياتها بداية للتكامل بين الشعبين المصرى والسودانى على المستوى الرسمى وفى جميع المجالات ، ولذلك فأنى أقترح على لجان التكامل بين القطرين الشقيقين دراسة هذه الفترة لتثبيت الايجابيات وطرح السلبيات .

(٢) توجد مجموعة من الكتب التى تناولت هذه الفترة مكتوبة بلغات أجنبية وخاصة الانجليزية وتحتاج إلى من يقوم بترجمتها لتعم الفائدة ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر :

- (١) Hill, Richard - Egypt In the Sudan 1820-1881
- (٢) Hill, Richard - On The Frontiers of Islam -  
The Sudan under Turco Egyptian Rule 1822-1885.
- (٣) Gray, Richard - A history of the southern  
Sudan 1839-1889.

هذا ماوفقت إلى القيام به من جهد فأُن كان خيرًا فالحمد لله وحده  
وإن كان غير ذلك فحسبى أنه جهد بشر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الملحق رقم (١)

فرمان بتعيين جعفر باشا صادق حكمداراً على السودان (١)

فى ٢٤ محرم ١٢٨٢ هـ ( ١٩ يونيه ١٨٦٥ م )

صدر هذا الفرمان المطاع الواجب له القبول والاتباع خطاباً لحضرات العلماء والأعلام والقضاة والنواب والملوك وكبار الحلل والمشايخ والعشائر والوجوه والحكام بكافة أقاليم السودان تحيطون علماً وتدركون فهماً أنه لمناسبة انتقال موسى باشا الذى كان حكمداراً عليكم إلى دار البقاء قد نصبنا بدله جعفر صادق باشا وجعلناه حكمداراً على عموم وكافة جهات السودان بما الحق إليها من جهات مصوع وسواكن وهذا بناء على ماتوسمناه فيه من القيام بشعائر هذه الوظيفة ومسعاها فيها بالصدق والاستقامة فى صالح المصلحة ومناظرة أحوال الرعايا بما يجب من حسن رعايتهم وحسن توطئتهم والفصل فى شئون قضاياهم المدنية والجنايية بوجه الحق والانصاف ومراعاة الأوامر والقوانين واللوائح فيلزم أن تكونوا جميعكم معه يداً واحدة لتجرى الإدارة والأحكام مجراها على منهج الحق والتقوى مع انقيادكم بتنفيذ أوامره ونواهيه الباعثة لحسن عماريتكم وتنجيز أحوال تكسبكم وتعيشكم واقدامكم أنتم والأهالى لطاعة الحكومة مع القيام بتنجيز المطالب المبرية وأنت أبيها الحكمدار عليك بالتقوى والتعفف بالحق الذى هو السنة الأقوى وعامل الناس بالعدل والانصاف وتجنب الجور والاعتساف واصرف همتك فى رؤية مصالح العباد وعمارية البلاد . واعلم أن راحة العباد حمل على كاهل الحكام محمول وأن كل راع لم يراع جانب الحق فهو مؤاخذ ومسئول واجعل حركاتك بما تدعو إليه الأوامر واللوائح والقوانين فأن ارادتنا جبلت على حب رعايية الرعية لانهم وديعة رب البرية فلتعلموا جميعكم هذا وتعملوا به لزم اصداره والحذر من المخالفة ثم الحذر والعاقل من بغيره اعتبر.

(١) أمين سامى : تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا المجلد الثانى من الجزء الثالث ص ٦١٢-٦١٣.

ملحق رقم (٢)

مرسومات سعيد التي أصدرها بخصوص الادارة في السودان  
المرسوم الأول (١)

وجه الى المديرين الجدد بمديرية السودان الخمس سنار وكردفان ، تاكه ، بربر  
 ودنقله .

الخرطوم في ٢٦ يناير ١٨٥٧

ليس منكم من يجهل ما ألاقه من التعب في سبيل إحياء ما اندرس من  
 معالم المدنية والعمران ، وإيراد كافة صنوف الرعاية موارد العز والرفاهية  
 وقطع شافة الظلم والاستعباد - ومع ذلك فأنى لما قدمت إلى هذه الأصقاع  
 شاهدت بعيني رأسى ما يلاقه أهلها من الضنك والفاقة وسمعت بأذن صوت  
 أنينهم من أحمال الضرائب التي أثقلت كاهل الغنى منهم فضلاً عن الفقير،  
 وفداحة الخراج المضروب على سقاياتهم وأطيانهم وتسخيرهم في كثير من  
 الأعمال التي لاقدرة لهم على القيام بها والاتجار في أولادهم وبناتهم في  
 الأسواق . فكان ذلك مما أحرز قلبي وبلبل فكري لاسيما وقد علمت بأنهم  
 أخذوا يهاجرون من أوطانهم إلى أقاصى البلاد هرباً من هذه الكوارث والمحن  
 المتراكمة بعضها فوق بعض ، فقد عقدت النية على جعل الخراج قدرًا يناسب  
 حالة البلاد وأهلها وأن أبذل جهد المجتهد في إصلاح أحوالهم وترتيب أمورهم  
 على ما فيه الصالح لهم ولذريتهم من بعدهم .

فلما نزلت على بربر جمعت المشايخ وجميع من جاء للقاء من أهل  
 البلاد على اختلاف مراتبهم وسألتهم أن يؤمروا عليهم أميراً يختارونه من  
 بينهم ممن يستبشرون بامارته ويتوسمون فيه الخير للبلاد وتحصل على يده

السكينة والخلود إلى الطاعة وأن يقدرُوا مبالغ الخراج الذى يسهل عليهم القيام به بلا كلفة ولا مشقة ، ففرحوا بذلك وطلبوا أن يربط على كل ساقية خراجاً قدره مائتا وخمسون قرشاً فى كل سنة ، ولكن حبى لشعبى يحملنى على منحه أكبر قدر ممكن من الرخاء وعلى الاهتمام بشأنه حتى أضمن عطفه ، وحتى يستطيع هو الآخر أن يقيم برعاية شئونه وتحقيق رفاهيته . ولما كنت أرى — بالإضافة إلى ذلك أن أعيد الطمأنينة إلى قلوب أولئك الذين هاجروا حتى يعودوا إلى أوطانهم وهم لا يخشون ظلماً ولا عدواناً ولا ضرائب باهظة ، فقد أمرت بالآتزید ضربية كل ساقية على مائتى قرش فقط وخراج كل فدان من أرض الجزائر خمسة وعشرون قرشاً ، أما أراضى العلو فعشرون قرشاً لا غير . فكان لهذا العمل أحسن وقع فى قلوب سائر الرعية وفرحوا فرحاً لا يوصف وأخلدوا إلى السكن والطاعة وهنا بعضهم بعضاً وأرسلوا يستقدمون من هاجر منهم وترك الأوطان .

ولما وصلت إلى الخرطوم جاءنى المشايخ والأعيان . وإذا كان هؤلاء الأخيرون قد خفوا لمقابلتى فذلك لأنهم شعروا نتيجة لوجودى بينهم بدلائل كـ — لم يشعروا بمثله قبل الآن قط . ولكنى لما كنت قد عينتكم مديرين لهذه الأقاليم فأن عليكم أن تقتدوا بى ، وأنى لم أأقلدكم المناصب إلا لتكونوا عونى على استتباب الأمن وإصلاح أمور الرعية فأياكم والعنف والجور ولا تجبوا الخراج إلا فى الأوقات المناسبة واعقدوا لتقرير قاعدة ذلك جمعية فى الثلاثة شهور التى لازرع فيها ولا قلع فيها ، وقسموا الخراج على أقساط متساوية يسهل عليكم جبايتها فى آخر كل سنة بصورة تجعل من الممكن تحصيل الخراج فى بحر السنة دون أن يتعرض الأهالى لارهاق ما ودون ترك متأخرات لديهم . ويجب أن تتألف هذه الجمعية من ١٢ إلى ٢٤ عضواً من أعيان المديرية حسبما ترونه مناسباً للمصلحة العامة . وبوصفكم رؤساء لهذا المجلس فأنتم الذين تقومون بتقسيم الخراج والنظر فى الوسائل الأكثر صلاحية لزيادة الرفاء والهدوء بصورة تؤدى إلى استتباب الأحوال فى المدن وفى القرى استتباباً تاماً ، ويجب أن ترفع إلى



القرارات التى تتخذونها بهذا الشأن واحداً رآشر واحد . ثم احصوا جميع الكشاف والجند الموكلين بجباية الخراج وأخلعوههم وقلدوا مكانهم مشايخ البلاد فهم أولى بذلك .

وعلى الجمعية أن تعنى ضمن ماتعنى به الأمور التالية : عليكـــــــــــــــــم أن تسرحوا الكشاف الذين هم اليوم حكام تلك الجهات وكذلك الجند الموجودين معهم ثم عليكم ألا ترسلوا بعد الآن كما كان الحال سابقاً جنداً لتحصيل الخراج فأن القرى وحدها هى التى ترسل شهرياً خراجها حسب التقسيم بواسطة مشايخها ولا تستخدموا قوة القانون إلا بكل عدل لاجبار المتأخرين على الدفع . ولتشجيع المشايخ على القيام بوظائفهم بأمانة واخلاص وجدت من الحكمــــــــــــــــة أن يكافأ المشايخ على خدماتهم وذلك بان تعافوهم فى مقابل هذه الخدمة برفع خراج سقاية فى كل خمس وعشرين سقاية ومعنى ذلك ألا تحصلوا خراجاً إلا عن ٢٤ ساقية من خمس وعشرين بينما تبقى الساقية الخامسة والعشرين من سواقي المشايخ دون خراج وبالمثل فيما يتعلق بالأراضى فتعفون مــــــــــــــــن الخراج أربعة أفدنة من كل مائة فدان تخص المشايخ .

هذا وحيث أن لأولئك المشايخ والأعيان بيوتاً ينزل عليها كل طارق وقاصد ، فارفعوا عن كل منهم خراج أربعة افدنة من كل مائة فدان فأنه لما كان المشايخ وهم أصحاب هذه المنازل يقدمون المأوى والمأكل للسياح والمسافرين ولما كانوا مشهورين بضيافتهم فقد وجدت من العدل أن يعم كرمى بحيث يشمل نفقات هذه الضيافة وعلى ذلك فقد تركت لتقديركم بحث وتعيين مــــــــــــــــا يمكن أن يمنح لهؤلاء المشايخ وماترونه أنتم مناسباً وعادلاً وذلك حسب مركز كل قرية .

وعليكم أن تقوموا بقياس الأراضى واحصاء السواقي بواسطة المشايخ الذى يجب عليهم أن يقدموا بيان ذلك إلى المديرية ، وأما إذا أرسلتم رجالاً

من طرفكم لهذا الغرض ، وحدثت أخطاء فسيكونون المسؤولين وحدهم عن هذه الأخطاء ، والخراج الذى سوف يجرى تحديده على الأراضى بعد قياسها وعلى السواقى يجب أن يدفعه زارع الأرض وحامد غلاتها ، وذلك حتى لا يستطيع أحد أن يقول إن الملزم يدفع الخراج قد تمكن من الهرب ، والخراج الذى يجرى تحديده وتعيينه على النحو الآنف الذكر يبدأ العمل به منذ هذه السنة الهجرية سنة ١٢٧٢ ويحتسب الخراج الذى حصل من ابتداء هذا العام من خراج هذه السنة وتمشيًا مع هذه القاعدة يؤخذ هذا الخراج عن الأراضى التى تروى بماء الفيضان أو ماء الأمطار أو السواقى . ولكن إذا - لا قدر الله - انخفض النيل أو احتبس المطر ، فالخراج لا يستحق ولا يجبى .

وكلما احتاج إليه الحكومة من مأكولات وأشياء أخرى أو جمال أو رجال للخدمة فعليها أن تدفع ثمن وأجر ورواتب ذلك كله بزيادة ٢ ٪ عما يدفعه السكان فيما بينهم وحتى إذا ارتفعت أثمان الأشياء فعلى الحكومة أن تدفع دائماً زيادة ٢ ٪ على الرغم من زيادة الأسعار . وخوفًا من ألا يعلن المشايخ عن الأثمان الحقيقية للأشياء وعن القيمة الحقيقية لليد العاملة إظهاراً منهم لاهتمامهم بصالح الحكومة عليكم تفادى هذا المحذور باللاتخاذوا شيئاً إلا بموافقة أصحابه موافقة حرة . وذلك حتى يمكن بفضل هذه الوسيلة أن يزداد رخاء البلاد وحتى أنه عندما يرى أولئك الذين هم فى الخارج الأثمان التى تدفعها الحكومة يدفعون هم الآخرون أثماناً طيبة مما من شأنه أن يزيد شراء البلاد . ويجب أن لا تسخروا الرجال أو الجمال فى الأعمال ويجب أن تشجعوا السكان على زراعة القمح والنيلة والقطن والسمن وغیره وأن تبذلوا كل جهد حتى يمكن كبس الأقطان وصناعة النيلة حتى يسهل تصديرها وتفيد البلاد من أثمانها وقيمتها . ومن واجبكم أيضاً أن تشجعوا الأهالى على استخراج الزيت من السمن لأن فى ذلك مصلحة لهم .

وحيث يوجد فى هذه البلاد الأخشاب الصالحة للعمائر ومد السفن والحريق وغيره شيئاً كثيراً فاشترى منه من الأهالى كل ماتيسر وسيروا به إلى القاهرة ثم أنقذوهم الثمن معجلاً.

وسوف يكون من السهل انزال هذه الأخشاب إلى مصر على شكل أرمات وقوت فيضان النيل . وعليكم الله تفهموا الأهالى ذلك وأن تشجعوهم على العمل ، لأن أكثرهم لا يجدون عملاً كافياً وسيكون هذا العمل مصدر ربح جديد .

ومما يوطد الرخاء فى بلد ما ، بناء المنازل فى المدن ولكن عليكم أن تنتبهوا حتى لا تبني المنازل فى الطرق من غير نظام بارزة أو مختلفة كما هو الحال اليوم بل من الواجب أن تكون البنايات الجديدة فى صف واحد وهذا من غير أن تضطروا لهدم المنازل الموجودة . فالبنائيات الجديدة فقط هى التى يجب أن تشيد وفقاً لهذه القاعدة الجديدة ويجب أن يكون لكل منزل حديقة ذات اتساع كاف لاستخدام مياه ساقية أو شادوف أو ما هو أقل من ذلك إذا لزم الأمر . حتى تكون الأمور بهذه الوسطة منظمة تنظيمًا حسنًا والهواء أنقى وأحسن . ويجب ألا تحصلوا ضريبة عن الأراضى التى تعطونها لهذا الغرض .

وشجعوا الأهالى كذلك على زراعة الأشجار فى الطرق وعلى طول شاطئ النيل إذ أن هذه المزروعات تفيدهم أولاً بانتاجها وثانياً بالأثر الطيب الذى تحدثه بامتدادها على طول الطرق والشواطئ .

ثم علموهم الصنایع والفنون وإنشاء المبانى المنظمة والمساكن المشيدة وغرس الأشجار بالشوارع والطرق وإذا أعطيتهم أهدأ أرضاً للفلاحة من الأطيان المتروكة فأخبروا بذلك المديرية التى أنتم فى دائرة اختصاصها وإذاعاد من

هاجر إلى بلده وطلب رد أطيانه وكانت ثابتة إليه وجب ردها إذا لم يمض على انسحابه خمسين سنة . وارفعوا عن الأهالي جميع المتأخرات لغاية سنة إحدى وسبعين ومايتين وألف هجرية والمقاس أن مساحة كل فدان أربع مائة قصبة وأن كل قصبة ثلاثة أمتار فقط وإياكم والمخالفة فيكون جزاؤكم شر الجزاء .

أما المنازعات والقضايا فيكون بحثها والبت فيها أمام المشايخ ولكن في الحالة التي يتعذر فيها الوصول إلى حل بهذه الطريقة فإن هذه القضايا يفصل فيها " المكوك " الذين يقبلهم الطرفان المتنازعان . وإذا كانت من نوع لا يحل بهذه الطريقة فأنها ترسل إلى المديرية . ومالم يمكن الفصل فيه فإنه يعرض على المجلس أثناء الشهور الثلاثة التي ذكرت أعلاه . فعلى المجلس أن ينظر في هذه الأمور ويصدر حكمه فيها .

أما فيما يخص المسائل المتعلقة بالقانون فهذه يحكم فيها القضاة ويقوم بتنفيذ هذه الأحكام المشايخ والمديرية . أما قضايا القتل فيجب أن ينظر فيها مدنياً بمساعدة المديرية وتبحثها المحكمة في المديرية ، وفي المجلس الذي سبق التحدث عنه وذلك بحضور القاضى والذين يخصهم الأمر حتى ترفع إلى بعد ذلك بواسطة مدير المديرية . أما قضايا البدو فهذه من اختصاصات شيخ قبيلتهم أو الشيخ الأعلى .

وفي الحالة التي تتحسن فيها ثروة أحد الأفراد ويطلب إعطاء بعض الأراضى في قريته من بين الأراضى غير المزروعة زيادة على ما يملكه يجب إعطاؤه هذه الأراضى إن كانت من غير صاحب وتخير المديرية بذلك حتى يكون لديها المأمم بالأمم ويطبق نفس الشيء في الحالة التي يعود فيها أحد الأهالي إلى بلده بعد أن تقرب منها فيجب إعطاؤه أرضاً غير مزروعة . ولكن إذا لم توجد مثل هذه الأرض فالواجب أن تسهل له وسائل العيش في قريته وأن يعطى بتدخل المشايخ والأعيان قدرًا من الأراضى كافية لعيشه وذلك حسب مركز كل فرد . أما

إذا كان هذا الفرد الذى ترك قريته يملك أرضاً وحدث بسبب تغيبه أن استولى غيره عليها منذ مدة تزيد على الخمسة عشر عاماً تماماً فإنه يجب رد أرضه إليه ويعطى لمن أخذت منه الأرض أرضاً أخرى . وتخير المديرية بذلك . وفى الحالة التى لا توجد فيها أرض حرة بتاتاً فى القرية يكون التصرف معه كما هو مبين فى حالة من عاد إلى قريته بعد أن هجرها وكان لا يملك فيها أرضاً وإذا رغب أولئك العائدون الذين لم يكونوا يملكون أرضاً فى قراهم أو أولئك الذين لا توجد أرض حرة لاعطائهم إياها أن يحصلوا فى نظير دفع الضريبة على أرض متروكة لأصحابها ولاتجاوز أية قرية ، وأن يبنوا فيها قرية جديدة للاقامة بها والعيش فيها فمن الميسور اعطاؤهم هذه الأرض من غير أية صعوبة .

ولما كانت الضريبة المفروضة على البدو قد حددت فإنه سوف تصدر إليكم حسب ارادتى - الأوامر اللازمة لتوزيعها على القبائل وتحديد ما يعطى للمشايع نظير قيامهم بأعباء وظائفهم ونظير نفقات ضيافتهم ومع ذلك لما كانت ضريبة القبيلة موزعة بين الأفراد بمعرفة شيوخهم وهذا التوزيع غير معروف لدى المديرية فإنه نتيجة لذلك ، إذا لم يجد أحد هؤلاء البدو الراحة التى ينشدها فى قبيلته وأراد الذهاب إلى قبيلة أخرى للعيش فيها ، ولما كان حراً فى التصرف لشخصه وكان ارغامه على المكوث فى قبيلته سيزيد من ألمه - الأمر الذى لا يتفق مع رغباتى - بات من الواجب عليكم ألا تمنعوا هذا الشخص من العيش فى القبيلة التى يختارها . ولكن يجب أن تنتقص الضريبة التى كان يدفعها فى قبيلته وتضاف إلى ضريبة القبيلة التى اتخذها مقراً له .

وإذا زرع أحد البدو أرضاً فى قرية وسرت عليه الضريبة المقررة فمن الواجب ألا يكلف هذا الفرد بدفع ضريبتين أحدهما يدفعها فى قبيلته والأخرى عن أرضه . إذ أن هذا مخالف للعدالة . وقد قررت أنه فى كافة الحالات

التي يزرع فيها البدوى أرضاً في قرية ما يجب اعفاء هذا البدوى من ضريبة القبيلة التي يعينها مشايخ القبائل . فلا يدفع غير ضريبة واحدة هي ضريبة الأرض التي يزرعها . وقد أمرت بهذا حتى أشجع البدو على الاقبال على الزراعة وممارستها وعلى السكنى في المدن .

وفي الأمر الذي سألته إليكم في موضوع ضرائب البدو سوف أعطاكم أيضاً الأوامر اللازمة لأرشادكم في مسألة بعض الأهالي من الرعاة الرحل .

أما فيما يختص بالجبال التي تفرض عليها الضريبة أقول إنه لما كان سكانها يعيشون في حالة همجية وكان من الضروري قيادتهم في طريق الانسانية حتى ينعدم ميلهم إلى العزلة في الجبال وإلى القيام بالثورات فقد قررت أن أعفيهم من ثلث الضريبة فلا أدعهم يدفعون إلا الثلث الواحد فقط . ويجب أن تفهموهم أنهم ليسوا بعبيد بل هم أحرار طلقاء .

ولقد اعتاد هؤلاء أن يزرعوا بعض الأراضي على منحدرات الجبال فممن واجبكم أن تشجعوهم وأن تدخلوا في أذهانهم فوائد الحياة في المدن وأن تحضوهم على الاكثار من زراعتهم وأن تبدلوا جهدكم في اقناعهم لتجلبوهم إليكم ، أوضحوا لهم جيداً أنهم إذا أقبلوا بملء قلوبهم على الزراعة فأننى سوف أعفيهم من الضريبة التي أنقصتها اليوم فلا يدفعون عندئذ سوى ضريبة على الأراضي التي يزرعونها . وهذه أيضاً سوف تكون أقل من تلك التي يؤدونها عن جبالهم وأنكم إنما تعاملونهم على هذه المصيرة لتوفير راحتهم وأمنهم واجتذابهم إلى طريق الحضارة والمدنية . وحتى إذا حدث في اجتماعاتكم التي تعقدونها لشرح ماتقدم لهم ولاستمالتهم إن طلبوا منكم إلغاء هذه الضريبة على شريطة أن يعدوا أنهم سيقبلون على الزراعة وأن يدفعوا فقط ضريبة الأراضي التي يزرعونها فعليكم أن تقبلوا ذلك . وأن ترفعوا إلى هذه المسألة حتى أعاملهم وفق رغباتهم لغرض واحد هو أن أشير

حب الحياة فى المدن فى نفوسهم وأن أوصونهم بذلك من التقلبات التى يتعرضون لها .

هذه هى الطريقة التى تتبعونها مع سكان الجبال الذين يعيشون فى حالة همجية وكالحيوانات المتوحشة . وأما فيما يتعلق بأهالى الجبال أمثال أهالى الفونج المتحضرين قليلاً فسوف أصدر إليكم الأوامر فيما يخص الجبال التى حضر مشايخها إلى . وأما أولئك المشايخ الذين لم يحضروا ، فعليكم أن تتفاهموا معهم وبعد التداول مع مشايخهم عليكم أن تخبرونى بما يمكن أن يدفعوه بسهولة ، ومن دون مشقة ، كما عليكم أن تقدموا إلى تقريراً مفصلاً عن الضريبة الحالية ، والضريبة التى يريدون دفعها حتى أصدر أوامرى إليكم بهذا الصدد .

وعليكم أيضاً أن تجمعوا المشايخ والأعيان وتقرأوا عليهم أمرى هذا ، وتفهموهم ماقررت القيام به لمصلحتهم ، مدفوعاً إلى ذلك بحبى لشعبى .

وعندما وصلت إلى بربر وشندي عينت المشايخ والمكوك حسب رغبات الأهلىين ووفق اختيارهم . ولم يحضر بعض مشايخ القرى وعليكم أن ترتبوا الأمور بهذا الشكل فى مديرية دنقلة وتتموها أيضاً فيما يتعلق بأقاليم بربر والجاعلىن ( هكذا ) وهى التى لم تجر فيها هذه الترتيبات وعليكم أن تعينوا المشايخ والمكوك من أولئك الذين اختارهم الأهالى والأعيان ثم تزورونهم بنصائحكم وارشاداتكم الحكيمة حتى يمكنهم أن يسلكوا مسلكاً حسناً وحتى يتجنبوا بعناية كافة ما من شأنه إبعاد الأهالى عنهم .

ابحثوا المسائل واعدلوا بين الناس دون ماتخير فأذا استحق انسان السجن لذنب من الذنوب فمن واجبكم الاهتمام بانهاء هذه المسألة حتى لا يبقى المجرم وقتاً طويلاً فى السجن ، لأنه ومع كون السجن ضرورياً لعقاب أحد الأشخاص

على عمل سوء أتاها ومن المنتظر أن ينتج خيراً إذ أن هذا من شأنه أن يمنع المجرم من اقتتراف آثام أخرى في المستقبل ، وفي نفس الوقت تكون هـذه العقوبة مثلاً يردع الآخرين عن الاتيان بأعمال تستحق هذا العقاب ، فأنه لما كان السجناء هم من رعاياى وشعبى فأن عدلى ورحمتى لا يسمحان بأن يبقوا فى السجن أكثر من الوقت المقرر ورغبتى أن أكون شقيقاً فى معاملتهم .

وفى الحالات التى تحدث فيها منازعات بين السكان والبدو أو بين بعضهم بعضاً فعليكم أن تعاقبوا المذنب فوراً ومن غير امهال .

وإذا دعوتكم شيخاً أو عيناً من الأعيان ورفض الحضور ، ولما كان هذا غير لائق تجاه السلطة وأنه يعمل هذا سيرغم السلطة على إحضاره بالقوة فعليكم أن تعدوا حالة كهذه حالة عصيان وأن تحضروه بالقوة .

وبالنظر لكافة ما أحدثته لصالح أهالى هذه البلاد سواء بتخفيض الضرائب أو بإلغاء السخرة أو بمنع الأعمال التعسفية أو الظلم فمن الواضح إذ أنه لضرورة لبقاء جنود فى هذه البلاد إذ أن الأهالى سوف يكونون مرغمين بحكم الضرورة - للمحافظة على أملاكهم - إلى تولى الدفاع عن أنفسهم ضد أى معتد عليهم يريد مهاجمتهم وذلك حتى لا يروا الدمار يحل بهم ومع ذلك فقد أقيمت عدداً كافياً من الألويات فى مختلف الجهات فخذوا حذرهم إذ أن حتى تدفعوا كل من تحدثه نفسه بالهجوم عليكم . وإذا كان من الضرورى أن تتعاون المديرىات فيما بينها فافعلوا ذلك حتى لا ينزل السوء بأحدى الجماعات الموجودة تحت إشرافكم .

ولما كانت المدافع الموجودة فى السودان من المدافع الكبيرة التى لا يمكن جرها على الحبال أو الرمال ولما كانت لهذا السبب غير ذات فائدة بتاتاً لأن المدافع لاتفيد إلا إذا استطاع الانسان نقلها من مكان لآخر ولما كانت



المدافع الموجودة في السودان لا تتوفر فيها هذه الشروط أمرت أن يحطم البعض وأن يجمع الباقي .

وقد تركت في جزيرة سنار ما هو ضروري من المدافع وهي مدافع خفيفة والباقي يوجد في كورسكو . وقد أمرت أن تنقل هذه الأخيرة إلى الخرطوم . وعندما يتم جمع كافة المدافع فإنه سيرسل إلى كل جزء من أجزاء البلاد ما هو ضروري لها .

وكذلك فإنه في المرتبة الأولى من الأهمية وهذه هي رغبتى الشديدة أن تصلنى في كل وقت أخبار منكم عن أهوال البلاد وعن ما يحدث فيها . ولذلك فمن الواجب أن تنظموا خدمة البريد لجزيرة سنار وكردفان وتأكدوا على أن يخرج البريد من الجزيرة إلى أبى حمد وعلى بعد كل عشرة ساعات تقريباً تقطع على ظهر الهجن يجب أن تؤسسوا محطات بها هجانة تنقل الرسائل وأن تعدوا فيها أماكن لاقامة هؤلاء باستمرار وأن تعنوا بالوسائل التى تكفل لهم ولهجنهم الغذاء . فتقيمون ثلاثة محطات بين أبو حمد وكورسكو : الأولى عند أبى حمد والثانية عند مرات والثالثة عند كورسكو . وذلك لتسهيل ووصول الرسائل وترتبون عشرة من الهجانة لكل مديرية .

وأما إذا اعتدى عليكم أحد وهاجمكم ، وكانت قوات أعدائكم كبيرة ، وأصبحت فى حاجة إلى نجدات من القاهرة فعليكم أن تخبرونى بذلك سريعاً وفى الوقت ذاته أرسل إليكم ما يشير الفرع فى قلوبهم ويقضى عليهم ويفرقهم وسوف أحضر بنفسى حتى اقتص من أولئك الذين يجرؤون على إثارة الاضطراب وفعل الشر .

ولتعلموا جيداً أن الاستعدادات الضرورية تتم دائماً فى القاهرة وكذلك تلك فى الحالات الضرورية التى تستلزم وجودى مع جندى الذين سأقودهم إلى السودان . وسوف اقتص اقتصاصاً شديداً من أولئك المعتدين ويجب

أَنْ تَتَاكَدُوا أَيْضاً أَنَّهُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْأَهَالِي قَدْ أَصَابَهُمْ سُوءٌ مِنْ جَانِبِكُمْ أَوْ مِنْ  
جَانِبِ الْمَشَايِخِ فَسَوْفَ لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ عِقَابِي فَلَتَعْلَمُوا ذَلِكَ جَيِّدًا وَاسْتَرِشِدُوا  
بِذَلِكَ فِي تَصَرُّفَاتِكُمْ حَيْثُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ أُمُورِي وَهِيَ الَّتِي تَعْبُرُ عَنْ رَغْبَاتِي  
وَارَادَتِي .

...

!

---

(١) نقل عن محمد فؤاد شكرى - الحكم المصرى فى السودان ص ٣٢٢ وما بعدها .

الملحق رقم (٣)المرسوم الثانى (١)

فى الأمر السامى الذى أصدرته لكم لترتيب الخراج والمتعلق بوضع الترتيبات الأخرى موضع التنفيذ ، ذكر أن الضريبة قد صدرت على هذا الأساس منذ سنة ١٢٧٢ ( ذى الحجة ١٢٧٣ ) وأن مادفعه الأهالى من بداية العام حتى الوقت الحاضر يجب أن يحسب من ضريبة هذه السنة وأنه نتيجة لما أُشعر به نحو شعبى من حب فأنه لا ينبغي لكم أن تطالبوا الأهالى بالمتأخرات المستحقة عليهم حتى هذه السنة ( ١٢٧١ ) .

ولكن لما كان كل هذا غير مفسر بشكل واضح فى المرسوم السالف ولمّا كان أهالى هذه البلاد أميين فأننى أخشى أن يعتقدوا أن هذه المتأخرات لازالت باقية عليهم وأنهم مدينون بها للحكومة ولذلك فأننى أردت من هذا المرسوم الجديد أن أطمئنهم فى هذا الصدد تماماً حتى يكتمل سرورهم وتتم سعادتهم وأبين لهم بوضوح ارادتى ورغباتى .

يجرى طرح المبالغ التى دخلت الخزانة من بداية سنة ١٢٧٢ حتى هذا اليوم بعد عمل خصم وفق مذكره فى أمرى السابق من خراج العام الحاضر وذلك بعد التحقق من صحة حسابات الصيارف بكل دقة .

وفىما يتعلق بأولئك الذين يظلون دائنين للحكومة حتى نهاية سنة ١٢٧١ هـ بفضل تقديمهم دفعات من المال تزيد عما هو مستحق عليهم فمع ان العدل يقضى بأن تحل هذه الزيادات مكان المتأخرات فأننى لما كنت فى عدالتى لا أريد أن يفقد أحد رعايى شيئاً من المستحق له ، أطلب منكم أن تقوموا بتعويض كافة أولئك الذين ثبت تماماً أنهم دائنون للحكومة على النحو المتقدم بعد فحص دقيق عن هذه الزيادات وذلك بحسابها من خراج العام الحاضر المستحق عليهم .

ولقد جاء في المرسوم السابق أنه إذا غيّر أحد البدو قبيلته فإن الضريبة التي كان يدفعها في قبيلته تنقل إلى حسابات القبيلة الجديدة التي يختارها وإذا زرع أحد البدو أرضاً خارج حدود قبيلته فلا ينبغي أن يدفع سـمـوى ضريبة هذه الأرض فقط ويجب أن تخصم الضريبة التي كان يدفعها في قبيلته من حساب هذه القبيلة . فإذا وجدت مثل هذه الحالات ولزم نقل الضريبة التي كان يدفعها البدوي في قبيلته الأولى إلى حسابات القبيلة الثانية التي انتمى إليها فإن ذلك سيثير مناقشات ومنازعات حول موضوع قدر الضريبة التي كان البدوي يدفعها لقبيلته الأولى وهذا يتطلب تحقيقات وضياح وقت كبير .

لذلك وحتى يمكن التخلص من هذه المعوقات يجب عليكم أن تعملوا في الوقت الذي يتم فيه تحديد الضريبة المفروضة على كل قبيلة بواسطة رئيسها قائمة بقدر الضريبة الموزعة على كل فرد من أفراد هذه القبائل على أن تحتفظوا بهذه القوائم في المديرية للرجوع إليها عند الحاجة .

وكذلك من الضروري معرفة حدود كل قرية من القرى مع إخبار المشايخ والأعيان على احترام هذه الحدود وكذلك من الواجب إقامة الحراس اللازمين حتى يكونوا مسئولين عن كل جريمة قتل أو سرقة تقع في حدود قريتهم ويكفروا مجبرين على تقديم السارق أو القاتل وفي حالة تعذر ذلك يصبحون هم المسئولين شخصياً وقد صدر الأمر بهذا لغرض المحافظة على الأمن في الطرق حتى يمتنع الأفراد من إلقاء المسئولية أحدهم على الآخر مما يجعل النظر في هذه الأمور يتطلب وقتاً طويلاً جداً ويجعل من المتعذر الكشف عن الحقيقة .

وعلى ذلك فواجبكم أن تقوموا بما يلزم لتعيين حدود كل قرية وأن تفهموا المشايخ قدر المسئولية الملقة على عواتقهم .

وحتى هذا اليوم كان يودع السارقون والقتلة والذين حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة في سجون السودان فإذا نقلوا بدلاً من ذلك إلى السجون

الواقعة بعيداً عن عائلاتهم وعن قراهم فأنه من المحتمل أن تمنعهم معرفتهم  
لهذه العقوبة من ارتكاب الآثام وبناءً على ذلك فقد قررت أن ينقل أولئك  
الذين تصدر ضدهم أحكام بالسجن المؤبد إلى السجون الموجودة في مصر حيث  
تنفذ فيهم العقوبة . بينما يرسل من مصر المجرمون المحكوم عليهم بنفس  
العقوبة إلى السودان لتنفيذ هذه العقوبة فيهم .

كانت الحسابات في الماضي ترسل إلى حكامدار السودان ولكن لما كانت  
كل مديرية مستقلة اليوم فإنه يجب إرسال كشوف حساباتكم كل ثلاثة أشهر إلى  
القاهرة .

وعليكم أن تعلموا كافة المشايخ والأعيان بمحتويات هذا المرسوم  
وأن تفهموهم مضمونه حتى يعملوا بموجبه . وهذا ارادتي .

ملحق رقم (٤)

عقد استخدام السير صمويل بيكر (١)

نص العقد المبرم بين سمو اسماعيل باشا خديو مصر والسير  
صمويل بيكر . الاسكندرية ٢٧ مارس ١٨٦٩م

يتعهد السير صمويل بيكر بالدخول فى خدمة سمو اسماعيل باشا فيخدم الحكومة  
المصرية لمدة سنتين على الأقل . ابتداءً من أول أبريل ١٨٦٩م وتكون مهمته  
قيادة حملة غرضها ضم بلاد حوض النيل وأفريقيا الوسطى الى الأقطار المصرية .

وأول ماترمى اليه الحملة إعلان السيادة المصرية على بلاد النيل  
الأبيض التى تقطنها اليوم أمم متبربرة لا قوانين لها ولا حكومة ترعى الأمن فيها .  
(٢) إلغاء النخاسة فى منطقة النيل الأبيض .

(٣) إدخال الوسائل المشروعة للتجارة التى تعود بالفائدة على مصر .

(٤) إنشاء الملاحة فى البحيرات الكبرى الواقعة فى خط الاستواء وهى منابع  
النيل الرئيسية .

(٥) إنشاء خط من النقاط العسكرية ابتداءً من غندوكرو فى حوض النيل المتوسط  
تقع الواحدة على مسيرة ثلاثة أيام من الأخرى . وذلك ضماناً للاتصال  
بين أقصى نقطة وقاعدة أعمال الحامية .

(٦) ضم الأراضى التى تمر بها هذه النقاط العسكرية بعد إنشائها الى أراضى  
الامبراطورية المصرية فتتمدد إذن هذه الامبراطورية من منابع النيل الى  
البحر الأبيض المتوسط .

وهكذا تكون مصر قد خطت بهذه الأمم الخطوة الأولى نحو الحضارة .

هذه الأمم التى لن يتأتى للعالم منها أية فائدة مادامت مقيمة على حالتها  
الراهنه . فهى ستعيش فى عداوة مستمر مع بعضها بعضاً وستكون حجر عثرة

فى سبيل كل اصلاح مادامت بعيدة عن النفوذ المصرى وطالما بقيت ابوابها  
مغلقة فى وجه التجارة .

يوافق سمو اسماعيل باشا خديو مصر على أن يقدم للمدعو السير صمويل بيكر  
بصفته رئيساً لهذه الحملة مبلغاً قدره عشرة آلاف ليرة استرلينية سنوياً  
مضافاً إليها نفقات السفر .

ويوافق اسماعيل باشا خديو مصر على أن يخلع على المدعو السير صمويل بيكر  
الرتبة الملازمة لهذه الرئاسة وعلى أن يخوله السلطة المطلقة - حتى فيما يتعلق  
بالحياة والموت - على أولئك الذين تتألف منهم الحملة التى أسندت رئاستها  
له . ويمنح كذلك نفس السلطة فى البلاد التى تقع فى جنوب خط عرض ١٤ شمالاً وتدخل  
ضمن نطاق حوض النيل .

ويوافق سموه على أن يترك للمدعو صمويل بيكر مطلق التصرف فى إعداد كل  
ما يراه ضرورياً للحملة وكذلك الحمول عليه ويتعهد سمو اسماعيل باشا بأن تدفع  
الحكومة المصرية هذه النفقات .

يوافق سمو اسماعيل باشا خديو مصر على أن يقدم للمدعو صمويل بيكر حسب طلبه  
الرجال والذخيرة والمباني وكل ما يجده السير صمويل بيكر ضرورياً للحملة .  
وفى حالة وفاة السير صمويل بيكر خلال السنة الأولى من مهمته التى كلف  
بها فان الحكومة المصرية لن تحاول انقاص شيئاً من المبلغ الذى عين له  
سنوياً بل ستعطى المقدار بأكمله لأرملته وورثته وللمشرفين على تركته .  
وفى حالة وفاته فى بحر العام الثانى أوفى السنة التالية لتعهدته فأن  
الحكومة ستطبق نفس المبدأ وستدفع المبلغ الذى تدب به للسير صمويل بيكر ثمناً  
لخدماته عن السنة الجارية برمته لأرملته وورثته .

وعلى السير صمويل بيكر أن يبدى كل مقدرة فى توجيه الحملة لصالح صاحب  
السمو اسماعيل باشا خديو مصر .

---

( ١ ) وثائق عابدين افرنجى محفظة رقم ١١٩ ملف رقم ٧٢-١/٧٢ ( ٢٠٩٢٢ ) نقلاً عن  
د . محمد فؤاد شكرى - الحكم المصرى فى السودان ٢٥٩ وما بعدها .

ملحق رقم (٥)نظام ملكية الأراضي في السودان (١)

كانت الأراضي في السودان تملك للأشخاص بعدة طرق منها طريقة وضع اليد التي كانت تتم عندما يقوم الملك بأعطاء أية جزيرة تظهر من النيل لأي شخص يختاره من رعاياه سواء كان من رجال العلم أو من غيرهم وكان المالك لهذه الجزيرة أو الأرض يحصل من الملك على عقد مختوم بختمه يدخل له ملكيتها وكان من المتبع كذلك أن تنقل ملكيتها من وريث لآخر طبقاً لما جاء بهذا العقد.

وكان منها الرغبة في استصلاح الأراضي البور وذلك بغرض زراعتها والانتفاع بها ، وكان من المتبع بالنسبة لامتلاك هذا النوع من الأراضي أن يقوم الراغب في اصلاحها بتقديم طلب إلى السلطة يحصل بمقتضاه على ملكية هذه الأراضي وذلك بوضع اليد ويصبح المستصلح منذ هذه اللحظة صاحب الحق في بيعها أو توريثها أو تاجيرها بموجب عقد يحرره أحد الفقهاء الموجودين بجهته .

ومنها كذلك طريقة الأيجار التي كانت تحدث عندما يكون المالك ليس له مقدرة على زراعة أرضه بسبب اتساعها ففي هذه الحالة كان عليه أن يقوم بتأجيرها لمن يرغب في زراعتها بحيث يحصل صاحب الأرض على الثلث ويحصل المستأجر على الثلثين . وفي بعض الأحيان كانت الزراعة من هذا النوع من الأراضي تتم بالمربعة بمعنى أن يحصل صاحب الأرض على الربع ويحصل المستأجر على ثلاثة الأرباع الباقية . ومنها طريقة التوريث التي كانت تحدث عندما يموت أي مالك لأي مساحة من الأرض ففي حالة عدم وجود وريث له ، كان على أحد الأهالي أن يقوم بوضع يده على هذه الأرض ثم يقوم بعد ذلك بزراعتها ودفن الضريبة المقررة عليها للميرى . وعندما يهمل هذا المالك الجديد في زراعتها ففي هذه الحالة تقوم الحكمدارية باخذها منه واعطائها لغيره من المزارعين ليقوم بزراعتها .

وكانت الحكمدارية تقوم بفرض ضرائب على هذه الاطيان ولكن لقلّة انتاجها عجز اصحابها عن تسديد قيمة الضرائب المقررة عليها فاضطروهم ذلك



بالتالى الى تركها والهروب الى اماكن بعيدة كى يمارسون الزراعة فى اراضى  
غير معروفة المساحة حتى لا يدفعوا عنها الضرائب ولكن لما علم بذلك  
حكمداى السودان ( موسى باشا ) اضطر الى ان يبطل هذه الضريبة المقررة  
على الاراضى وفرض غيرها على الاشخاص انفسهم .

...

---

(١) دفتر ٢٨٣ وثيقة ٣ ص ١٣٦ فى ٩ ربيع ثانى سنة ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٣م  
نقلا عن د. يوسف السيد نصر - الوجود المصرى فى افريقيا ص ١٧٤-١٧٦ .

مجودة من اجازة الشيخ عيسى بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن عيسى

السناري ١٧

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد  
المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة وسلاما  
دائمين إلى يوم الدين أما بعد فيقول محمد بن عيسى  
قد من الله تعالى على بصيرة الشيخ المبارك أحمد  
ابن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ عيسى السناري  
المشهور بين بالعلم والصلاح والبركة مدة مديدة  
ويشاركني في كتب عديدة وفنون من العلوم الشرعية  
والاشغال وله ارادة العودة الى وطنه التمس من الاجازة بها  
ظنا منه اني من اهل ذلك وانا متيقن اني لست من سلك تلك  
المسالك ولكن جبر خالفه ورجاء بركته حملاني على اجابته  
فقلت اجزت اخي المذكور بما سمعته مني وغيره مما اجاز فيه  
اشيا في ضاعف الله لهم الاجور موصياله بملازمة التقوى  
فانهما للفلاح السبب الاقوى وان لا ينساني من صالح دعواته  
في حياته وخلواته ضارعا للموت الطرير اني من علينا بالخير  
المعبر وان ينجينا من الفتنة والاهوال وان يصلح لنا ولاخواننا  
الاحوال وان ينجي لنا الخاتمة السعادة وان يجعلنا من  
لهم الحسنى وزيادة الذين دعواهم فيعاسيها من الله ونجدهم  
فيها سلاما واخر دعوانهم ان الحمد لله رب العالمين

أصل هذه الرواية محفوظة بمكتبة جامعة الخرطوم

صورة من احياء الشيخ احمد بن محمد كنية الشيخ احمد بن محمد  
ابن علي السني وولده محمد ١١

بسم الله الرحمن الرحيم  
نحمدك اللهم واحمد منك واليك ونسئلك على سيدنا  
محمد خير من دل عليك وعليه واصحابه المهاجرين  
والتابعين لهم يا حسان الي يوم الدين اما بعد فقد  
طلب مني الشيخ الفاضل الصالح والكامل النافع  
الشيخ احمد بن محمد بن عيسى السناي وولده  
العالم الفاضل محمد بن احمد بن محمد بن احمد ان اجيز كلاما  
منهم بما تصح لي اجازته وصحت لي روايته من  
العلوم منقولها ومعقولها وقد اجتمع علينا كل من  
في قراتنا بالازهر والانوار المعهورة يذكر اسمه وسمع  
كل منهما منا من العلوم منقولها ومعقولها فقلت  
اجزتها بما صح لي وعني وبسواه مني على شروط  
الاجازة المقررة المشهورة في بابها المحرم  
موصيا لها بتقوي الله العظيم وان لا ينسأ في حق  
خلواتها وجوارها من صالح دعواتها وعلي  
الله اعتمادي وهو حبيبي وكفي وسلام علي عاده  
الذين اصطفى قاله القاضي احمد بن محمد كنية القدير  
حامدا مستلياً



(۳۱-)

ملحق قسم (۱۸)

مسودہ رقم (۲)

صورة من احياء الشيخ المولى الشيخ أحمد وولده محمد

احمد بی محمد بن عبد السلام باب وادہ میر

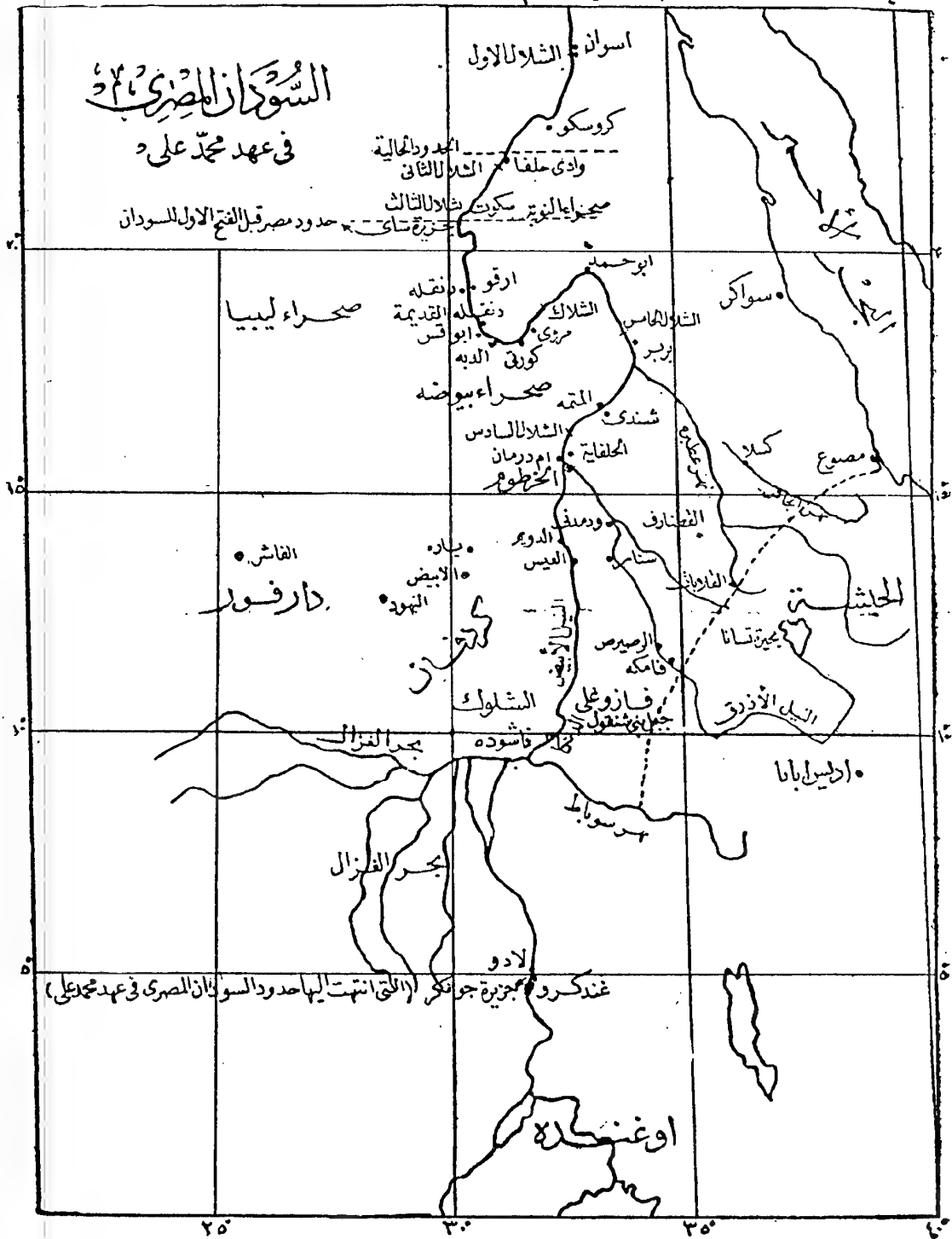
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان  
الا على الظالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد  
فقد استجبان لي كل من اخينا الفاضل والهام  
الكامل بركة الوقت وصباح الزمان الحنيف لكاه  
ما يبشرك بالمران البنات ارجو من الله ان يفتني  
ببركته وشريته بعمته المنزلة من العطايا بما اذا  
المولى البارئ الشيخ احمد بن محمد بن عبد الله بن  
وولده العالم والفاضل الامير الشيخ محمد بن  
احازني به مشايخي الكرام الذين من جلسته ما نعمتم  
هذا البث لظنة ان اهل ذلك والامن فزسا انك  
المالك فقلت وبالله التوفيق اجزة فلانها بما  
تجوز لي وعني رواية من معتزلة منتقاة دام  
الله لها السرة ان لا يسيان ان لا يسيان من العترة  
من خلقت رجالاته والناسي سنايا خبيدة احب  
يؤمن لا يتبع ما لا يثبت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى  
آله وصحبه وسلم كتبه بيده النور على العبد  
المعروف بالتحلة في ذلك آقني مذها في عبدك طريفة  
عنزلة له ولوالديه واحسن اليها واليه وجميع المسلمين  
امين ولا حول ولا قوة الا بالله  
السلام العظيم وصلى الله على  
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

١١ اصل هذه الإحصاءة مرفوعة بمجلسه الخاصة المرفوعه.

20°

۳۵۰ خریطه رقم (۱۱) ۳۰۰



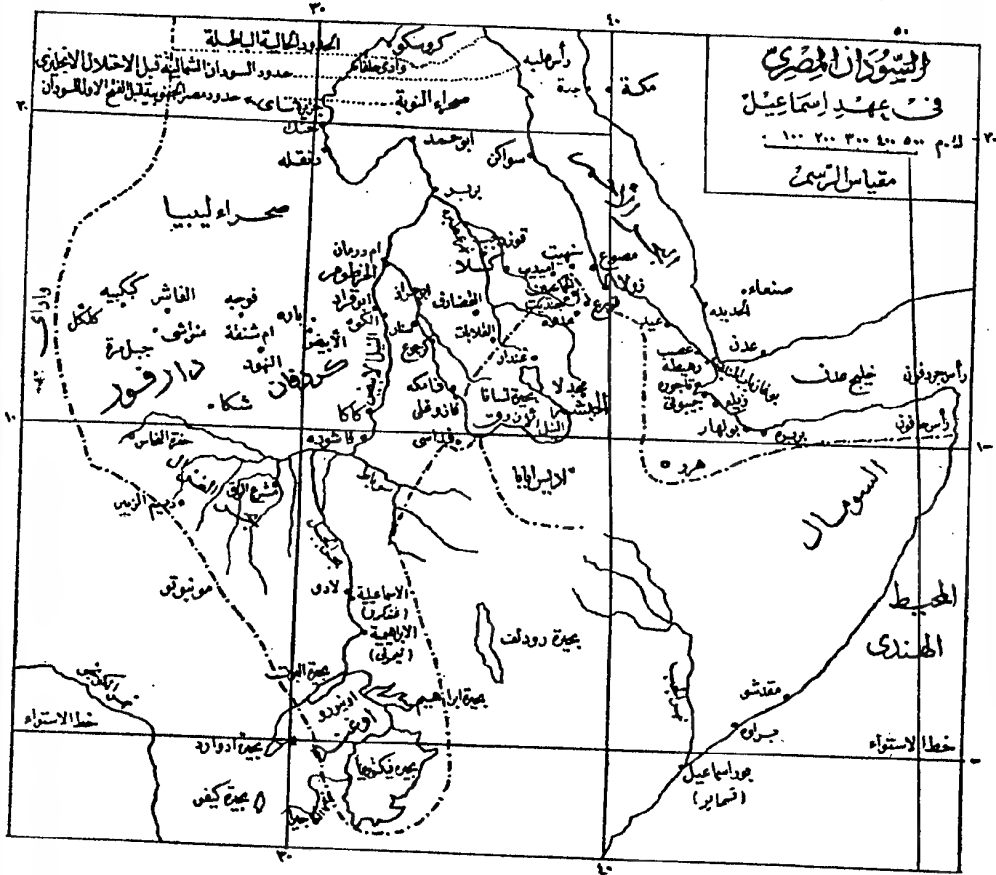
« نقلنا من مريد إليه عليه الحامى .. اسوداد صند الفانى المقدم

(٣٢٤)

صلى الله عليه وسلم رقم ١١٠

السودان المصري في عهد اسماعيل

مخططة رقم ١٩



السودان المصري وحدوده

في عهد اسماعيل

١١ مخططة الرافعي - عهد اسماعيل ٢١

المصاير والمراجع

قائمة المصادر والمراجع والدوريات

أولا : المصادر :

ابراهيم فوزى باشا :

السودان بين يدي غردون وكتشنر ( جزءان فى مجلد واحد )

• طبع على نفقة جريدة المؤيد - القاهرة ، صفر ١٣١٩ هـ .

احمد بن الحاج ابوعلی ( كاتب الشونة ) :

مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية ،

تحقيق الشاطر بصيلى عبدالجليل ، مراجعة الدكتور محمد مصطفى

• زيادة

دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦١ م .

سلاطين باشا :

السيف والنار فى السودان •

عالم الكتب - امدرمان • الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م .

عبدالرحمن الجيرتى :

تاريخ عجائب الاثار فى التراجم والاخبار ( ثلاثة اجزاء )

• طبعة دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .

محمد بن عمر التونسى :

تشحيذ الازهان بسيرة بلاد العرب والسودان •

حققه وكتب حواشيه د . خليل محمود عساكر ود . مصطفى محمد مسعد .

• راجعه د . محمد مصطفى زيادة •

الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٥ م .

محمد النور بن ضيف الله :

كتاب الطبقات فى صغوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء

• فى السودان •

• تحقيق د . يوسف فضل حسن •

دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ، الطبعة الثالثة ،

١٩٨٥ م .



محمود طلعت :

- غرايب الزمان فى فتح بلاد السودان
- مطبعة الاسلام بمصر ، ١٣١٤هـ

ثانياً : المراجع :

ابراهيم الحارذلو ( الدكتور )

- الرباط الثقافى بين مصر والسودان
- دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٧م
- ابراهيم شحاته حسن (الدكتور )

مصر والسودان - دراسة وثائقية مقارنة فى الأصول التاريخية والفكرية

- للثورتين العرابية والمهدية
- توزيع منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٨٠م
- أحمد السعيد سليمان (الدكتور)
- تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل
- دار المعارف ، ١٩٧٩م

أحمد عزت عبد الكريم :

- تاريخ التعليم فى عصر محمد على
- مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٨م

الان مورهد :

- النيل الأزرق -
- ترجمة د. نظمى لوقا
- دار المعارف بمصر ١٩٦٥م
- النيل الأبيض -
- ترجمة محمد بدر الدين خليل
- دار المعارف ١٩٦٥م

أمين سامى :

تقويم النيل وعصر اسماعيل

القاهرة ١٩٣٦م.

جميل عبيد (الدكتور )

المديرية الاستوائية

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م.

جلال يحيى ( الدكتور ) :

مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر ،

دار المعارف ١٩٨٤م.

حسب الله محمد احمد :

قصة الحضارة فى السودان

دار يوليو للترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م.

حسن أحمد ابراهيم (الدكتور) :

رحلة محمد على باشا إلى السودان ١٨٢٨-١٨٣٩م

كراسة رقم (١٥) معهد الدراسات الأفريقية والاسيوية جامعة

الخرطوم ، ١٩٨٠م.

حسن محمد جوهر وحسين مخلوف :

السودان ، أرضه وتاريخه وحياة شعبه ،

مطبوعات دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

حسن مكى محمد أحمد :

- جزور وأبعاد التبشير المسيحى فى العاصمة المثلثة .

المركز الاسلامى الأفريقى بالخرطوم ، شعبة البحوث والنشر ،

كراسة رقم (١)

- السياسة التعليمية والثقافة العربية فى جنوب السودان .

المركز الاسلامى الأفريقى بالخرطوم ، شعبة البحوث والنشر ١٩٨٣م.

حسين سيد أحمد المفتى :

تطور نظام القضاء فى السودان

أمدردمان ١٩٥٨م

حسين مؤنس ( الدكتور ) :

الاسلام الفاتح

سلسلة دعوة الحق ، مطبوعات رابطة العالم الاسلامى الرقم (٤) ، دار

الأصفهانى للطباعة ، جدة ١٤٠١هـ

زكى مصطفى عبد المجيد ( المحامى ) :

القانون المدنى السودانى ، تاريخه وخصائصه ،

معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٨م

رافت غنيمى الشيخ :

مصر والسودان فى العلاقات الدولية ،

عالم الكتب ١٩٧٩م

رئاسة مجلس الوزراء المصرى

السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١م الى ١٢ فبراير ١٩٥٣م

المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٣م

رفاعة رافع الطهطاوى :

الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، دراسة وتحقيق ————— ق

د. محمد عمارة .

المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣م

زاهر رياض ( الدكتور ) :

السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الاستقلال ١٨٢١ - ١٩٥٣م

مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦م

سليمان محمد الغنام (الدكتور) :

- قراءة جديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ١٨١١-١٨٤٠ م فى  
الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا .
- تهامة ، الطبعة الاولى ١٩٨٠ م .

السيد يوسف نصر (الدكتور) :

- الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى أفريقيا فى القرن  
التاسع عشر ، دار المعارف ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٠ م .
- الوجود المصرى فى أفريقيا فى الفترة من ١٨٢٠-١٨٩٩ م .
- دار المعارف ، الطبعة الاولى ١٩٨١ م .

الشاطر بصيلى عبدالجليل :

- تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع إلى  
التاسع عشر الميلادى .
- الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ م .
- معالم تاريخ السودان وادى النيل
- مكتبة العرب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ م .

شوقى الجمل (الدكتور) :

- تاريخ السودان وادى النيل - حضارته وعلاقته بمصر من أقدم  
العصور إلى الوقت الحاضر ( جزأان )
- مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٩ م .
- سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع  
عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ م .

صدقى ربيع :

- النوبة بين القديم والجديد
- الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

صلاح الدين المليك (الدكتور) :

- شعراء الوطنية في السودان
- دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ١٩٧٥م.

ضرار صالح ضرار :

- تاريخ السودان الحديث
- دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٦٨م.

عبدالله حسين (المحامى) :

- السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية ( جز ١ ان في مجلد واحد )
- المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٥م

عبدالرحمن الرافعى :

- عصر اسماعيل ( جز ١ ان )
- دار المعارف ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.
- عصر محمد على
- مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م.
- مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال
- دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.

عبدالعزیز امین عبدالمجید :

- تاريخ التربية في السودان (ثلاثة اجزاء )
- المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٤٩م.

عبدالمجيد الشادلى (الشيخ) :

- حد الاسلام وحقيقة الايمان
- مركز البحث العلمى ، جامعة أم القرى ، مطابع الصفا بمكة المكرمة ،
- الطبعة الاولى ، ١٩٨٣م.

عبدالمجيد عابدين ( الدكتور ) :

تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث  
دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

عز الدين الامين ( الدكتور ) :

- تراث الشعر السوداني  
معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٩م .  
- قرية كترانج وأثرها العلمي في السودان  
دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ١٩٧٥م .

على ابراهيم عبده ( الدكتور ) :

أضواء على المناقشة الأولية في أعلى النيل .  
دار المعارف ١٩٦٣م .

عمر طوسون ( الأمير ) :

تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية من فتحها إلى ضياعها ١٨٦٩ -  
١٨٨٩م ( ثلاثة اجزاء ) :  
مطبعة العدل ، الاسكندرية ١٩٣٧م .

عوض عبد الهادي العطا :

تاريخ كردفان السياسي في المهدية ١٨٨١-١٨٩٩م  
المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون ، وزارة الثقافة والاعلام ،  
جمهورية السودان الديمقراطية ١٩٧٣م .  
المجلس الأعلى للشباب والرياضة بجمهورية مصر العربية ( جهاز الشباب )

التكامل المصري السوداني

مصنع القاهرة للظروف والطباعة ، بدون تاريخ .

محمد ابراهيم أبوسليم ( الدكتور ) :

- تاريخ الخرطوم

دار الجبيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

- دور العلماء فى نشر الاسلام فى السودان - المجموعة الاولى من

معالم تاريخ الاسلام فى السودان ، دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .

محمد أحمد الجابرى :

فى شأن الله أو تاريخ السودان كما يرويه أهله

دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٤٧م.

محمد أحمد محبوب :

- الحكومة المحلية فى السودان

شركة ومطبعة مصطفى الحلبي ١٩٤٥م.

- الديمقراطية فى الميزان

دار النها للنشر ، بيروت ١٩٧٣م.

محمد سليمان :

دور الأزهر فى السودان

الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م.

محمد صالح ضرار :

تاريخ سواكن والبحر الأحمر

الدار السودانية للكتب . الطبعة الاولى ١٩٨١م.

محمد صبرى :

الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر .

القاهرة . مطبعة مصر ١٩٤٨م.

محمد عمر بشير :

تطور التعليم في السودان ١٨٩٨ - ١٩٥٦م

ترجمة هنري رياض وآخرين

دار الثقافة • بيروت ١٩٧٠م

محمد عوض محمد :

السودان الشمالي سكانه وقبائله

مطبعة لجنة التأليف والنشر • القاهرة ١٩٥٦م

محمد فؤاد شكرى ( الدكتور ) :

- الحكم المصري في السودان ١٨٢٠-١٨٨٥م •

دار الفكر العربى ١٩٤٧م •

- مصر والسودان - تاريخ وحد قواى النيل السياسية فى القرن

التاسع عشر •

القاهرة ١٩٥٨م •

- مصر والسودان - الوضع التاريخى للمسالة •

دار الفكر العربى • القاهرة •

محمد فوزى مصطفى :

الثقافة العربية وأثرها فى تماسك الوحدة القومية فى السودان المعاصر •

الدار السودانية • الخرطوم ، الطبعة الاولى ١٩٧٢م •

محمد فهمى لهيطة :

تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة

مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٤م •

مدثر عبد الرحيم :

القومية والامبريالية فى السودان

دراسة للتطور الدستورى والسياسى ١٨٩٩-١٩٥٦م •

دار النها للنشر • بيروت ، ١٩٧١م •



مكى شبيكه :

- تاريخ شعوب وادى النيل مصر والسودان فى القرن التاسع عشر
- دار الثقافة - بيروت .
- مختصر تاريخ السودان الحديث .
- مطابع دار الثقافة . بيروت ، ١٩٦٥م .
- مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط .
- معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٢م .
- السودان عبر القرون .
- دار الثقافة ، بيروت .

نسيم مقار ( الدكتور ) :

- الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان
- دراسة فى العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية ١٨٢١-١٨٤٨م .
- الهيئة المصرية للكتاب .

نعوم شقيير :

- تاريخ السودان . تحقيق د. محمد ابراهيم أبو سليم
- دار الجبيل . بيروت ١٩٨١م .

يوسف خليل يوسف :

- القومية العربية ودور التربية فى تحقيقها
- الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م .

يوسف فضل حسن ( الدكتور ) :

- دراسات فى تاريخ السودان . الجزء الأول .
- دار التأليف والترجمة والنشر . جامعة الخرطوم ١٩٧٥م .
- مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية فى السودان الشرقى ١٤٥٠-١٨٢١م .
- معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ، ١٩٧١م .

يوسف فضل حسن وآخرون :

من معالم تاريخ الاسلام في السودان ، المجموعة الاولى .  
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الخرطوم ، بدون تاريخ .

مراجع باللغة الانجليزية :

- ① Hill , Richard - Egypt In the Sudan 1820-1881  
Oxford university press - London 1959.
- ② Hill , Richard - On the Frontiers of Islam - The  
Sudan Under Turco Egyptian Rule 1822-1845 .  
Clarendon press - Oxford 1970.
- ③ Gray , Richard - A history of the Southern Sudan  
1839- 1889 - London 1965.

ثالثا : الدوريات :

أحمد ابراهيم دياب ( الدكتور ) :

العلاقة بين جدة وسواكن في فترة الحكم العثماني

المؤرخ العربى العدد ٢٠ بغداد ١٩٨١م .

جميل عبيد ( الدكتور ) :

بعثة جوبا وكيف أفادت بريطانيا من الايقاع بين مصر و تنزانيا

١٨٧٥ - ١٨٧٧ م .

مجلة كلية الآداب جامعة البصرة ، العدد ١٢ مطبعة الارشاد

بغداد ١٩٧٧م .

حسن أحمد إبراهيم (الدكتور) :

محمد على واستخدام الأرقاء السود .  
مجلة الدراسات السودانية العدد الأول المجلد الثالث أكتوبر ١٩٧١م

حسين كامل أبو الليث :

مرحلة من مراحل التطور السياسى والاجتماعى فى السودان  
المجلة التاريخية المصرية المجلد الخامس ١٩٥٦م .

سعاد عبدالعزيز أحمد

بدء تحديث السودان عام ١٨٢١م

المؤرخ العربى ١٤ بغداد ١٩٨٠م .

الشاطر بصلى عبد الجليل

- تحقيق اسماء القبائل والبدنات والشيخو والجباية الواردة فى تقرير

الكولونيل ستيوارت ( ١٨٤٥-١٨٨٤م ) الذى كتبه فى اوائل عام ١٨٨٣م

المجلة التاريخية المصرية . المجلد الثالث مايو ١٩٥٠م .

- السلطنة الفونجية فى السودان وادى النيل

المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٨ مطابع سجل العرب القاهرة

١٩٧١م .

- السودان وادى النيل

المجلة التاريخية المصرية - المجلد الثانى اكتوبر ١٩٤٩م .

عبدالرحمن زكى (القائم مقام) :

حكم دارو السودان

المجلة التاريخية المصرية . المجلد الاول ، مايو ١٩٤٨م .

محمد سعيد الفلال ( الدكتور ) :

الرؤيا - الثورة فى فكر المهدي

مجلة الخرطوم ، يونيو ١٩٨٢م .

محمد فؤاد شكرى ( الدكتور ) :

صفحة من تاريخ السودان الحديث  
مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد الثامن المجلد  
الثنى ديسمبر ١٩٤٦م

مصطفى محمد مسعد ( الدكتور ) :

سلطنة دارفور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها •  
المجلة التاريخية المصرية • المجلد ١١ القاهرة ١٩٦٣م

نسيم مقار ( الدكتور ) :

رحلة وادنجتون فى السودان ١٨٢٠-١٨٢١م  
المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٤ مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٨م

.....

الغزالي

فهرس الموضوعات

١٠	..... كلمة الشكر
١	..... المقدمة
١٢٥ - ٤	<u>الباب الأول : النظام الإدارى :</u>
٥	..... تمهيد
٨	..... ضم السودان
١٢	..... النظام الإدارى فى السودان قبل امتداد الإدارة المصرية
١٣	..... إدارة اسماعيل بن محمد على للسودان
١٥	..... حكمدارية اسماعيل باشا
١٩	..... منجزات إدارة اسماعيل
٢٢	..... ملامح النظام الإدارى فى فترة محمد على
٢٢	..... الهيكل الإدارى : الحكمدار
٢٤	..... المديرون
٢٧	..... حكمدارية عثمان بك جركس
٢٩	..... حكمدارية محويك
٣٠	..... حكمدارية على خورشيد
٣٧	..... حكمدارية أحمد باشا أبوودان
٣٨	..... زيارة محمد على للسودان
٤١	..... فتح التاكة
٤٣	..... إدارة أحمد باشا المنكلى
٤٩	..... أهم منجزات إدارة محمد على
٤٩	..... العمارة وتأسيس المدن
٥٢	..... حفر الآبار
٥٣	..... الأمن ووحدية البلاد
٥٤	..... الرحلات الكشفية
٥٤	..... الحكم على الإدارة المصرية خلال عهد محمد على

٦١	..... النظام الادارى فى عصر عباس الاول
٦٤	..... حكمدارو السودان فى عهد عباس
٦٩	..... نظام الادارة فى عهد سعيد
٨٢	..... الادارة فى عهد اسماعيل
٨٤	..... حكمدارية موسى حمدى باشا
٨٦	..... حكمدارية جعفر باشا صادق
٩٢	+ ..... حكمدارية جعفر مظهر باشا
٩٣	..... القضاء على تجارة الرقيق
٩٥	..... فتح منطقة خط الاستواء وضمها للادارة المصرية
١٠٤	..... ادارة السودان الشمالى
١٠٩	..... الحكمدار اسماعيل باشا ايوب
١١٠	..... ظهور الزبير وضم بحر الغزال الى املاك الحكومة
١١٣	..... ضم بحر الغزال
١٢٠	..... حكمدارية رؤوف باشا
١٢٤	..... ملاحظات على ادارة اسماعيل

١٩٥-١٢٦

### الباب الثانى : نظام التعليم

١٢٧	..... التعليم فى السودان قبل عصر محمد على
١٣٢	..... مدارس السودان فى ذلك الوقت
١٣٩	..... التعليم ومناهجه فى هذه المرحلة
١٤٤	..... التعليم فى السودان فى عصر محمد على
١٥٧	..... جهود عباس الاول
١٧٥	..... التعليم فى السودان فى عصر سعيد
١٧٩	..... نظام التعليم فى السودان فى عصر الخديو اسماعيل
١٩١	..... وظيفة الافتاء ودورها فى نشر العلم الشرعى

٢٣٣-١٩٦

الباب الثالث : نظام القضاء

١٩٧	..... النظام القضائى فى مملكة سنار
٢٠٠	..... المحكمة العليا بسنار
٢٠٢	..... المحاكم المغرى
٢٠٥	..... النظام القضائى فى سلطنة دارفور
٢٠٧	..... القضاء فى كردفان
٢٠٩	..... النظام القضائى فى السودان فى عهد محمد على
٢١٥	..... نظام القضاء فى عهدى عباس وسعيد
٢١٨	..... نظام القضاء فى عصر اسماعيل
٢٢٨	..... استئناف الاحكام
٢٢٩	..... تنفيذ الاحكام
٢٣٠	..... القانون السائد

٢٨٧-٢٣٤

الباب الرابع : النظام المالى والاقتصادى

٢٣٥	..... الوضع الاقتصادى فى السودان قبل عصر محمد على
٢٣٨	..... الوضع الاقتصادى فى دارفور
٢٤٣	..... النظام المالى والاقتصادى فى السودان فى عصر محمد على
٢٥٧	..... النظام المالى والاقتصادى فى فترة عباس الاول
٢٥٩	..... سياسة سعيد المالية والاقتصادية فى السودان
٢٦٦	..... النظام الاقتصادى فى عصر اسماعيل
٢٦٦	..... الزراعة
٢٧٢	..... الصناعة والتعدين
٢٧٣	..... التجارة والمواصلات
٢٧٨	..... الضرائب
٢٨٤	..... الخاتمة
٢٨٨	..... الملاحق



فهرس الملاحق

٢٨٨	..... فرمان تعيين جعفر باشا صادق	(١)	ملحق رقم
٢٨٩	..... مرسوم سعيد الاول	(٢)	ملحق رقم
٣٠١	..... مرسوم سعيد الثانى	(٣)	ملحق رقم
٣٠٤	..... عقد استخدام السير صمويل بيكر	(٤)	ملحق رقم
٣٠٦	..... نظام ملكية الاراضى فى السودان	(٥)	ملحق رقم
٣٠٨	..... صورة من اجازة الشيخ عlish	(٦)	ملحق رقم
٣٠٩	..... صورة من اجازة الشيخ احمد بن كيوة	(٧)	ملحق رقم
٣١٠	..... صورة من اجازة الشيخ على العربى	(٨)	ملحق رقم
٣١١	..... خريطة السودان المصرى فى عهد محمد على	(٩)	ملحق رقم
٣١٢	..... خريطة السودان المصرى فى عهد اسماعيل	(١٠)	ملحق رقم